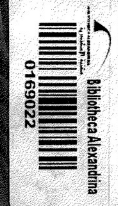
قصتى مع الشيوعية

لواء متقاعد
حسن المصيلحى
رئيس قسم مكافحة الشيوعية سابقاً



قصتي مع الشيوعية

لواء متقاعد

حسن المصيلحي

رئيس قسم مكافحة الشيوعية سابقا

بسم الله الرحمن الرحيم

وَمِنَ النّاسِ مَن يعجبك قَولُه فى الحياة الدنيا ويشهد الله عَلى مَا فى قلبه وَهُو ألدّ الخصَام.

صَدَق الله العظيم

الإهداء

لولا هذا المعهد ما استطعت أن أخرج
سطراً مما كتبت

فإلى صاحب الفضل الأول فيه
وإلى الرجل الذي ساعدني في تحقيقه
وإلى كل من عاونني من الزملاء
وإلى هذا الجيل من الشباب العربي

أهدي هذا الكتاب

حسين المسيلحي

مقدمة

تهادت الباخرة قادمة من البوغاز حتى رصيف الميناء ، حيث كنت أعمل ضابطا في شرطة ميناء بورسعيد عام ١٩٣٩ ٠

ولفت نظرى آن ذاك ، تعيين أحد العساكر حرسا على الباخرة ، لوجود أحد البحارة الروس الحمر على سطحها ٠

كل ما كنت أعلمه عن الحمر ، أنهم أهل تلك الدولة الكبيرة التى قامت فيها ثورة حمراء عام ١٩١٧ ، ولم أكن أدرى سببا لتعيين هذا الحارس حتى تبينت أن التعليمات ، تقضى بمنع هذا الروسى الاحمر من النزول الى الشاطىء لاى سبب كان ٠

ومنذ ذلك الوقت بدأت ، من حب الاستطلاع ، أسأل عن ماهية هذه الثورة. ولم يكن هناك من وسائل المعرفة ، الا ما يتردد شفاها بين بعض الاصدقاء من كلمات متفرقة لا تغنى ولا تفيد ٠

وظلت هذه بغيتى ، حتى وجدت نفسى بعد سنوات أعمل فى قسم مكافحة الشيوعية بالقلم السياسى بمحافظة القاهرة ٠ وفى هذا القسم وجدت فرصتى فى الحصول على مصادر متعددة من الكتب والمجلات والصحف والسجلات ، فضلا عن كثير من الكتيبات المتناثرة فى المكتبات ، ثم بعض النشرات والدراسات السرية والعلنية ، وتجمعت لدى بعض المعلومات التى انتهيت فيها الى أن الامر جد خطير ، ويحتاج الى المزيد من الدراسة الجادة ٠

ومع مرور الزمن وقيام ثورة الجيش واستمرارى لسنوات طويلة ، أعمل فى هذا الميدان حصلت فى النهاية ، على قدر لا بأس به من المعرفة والتجـارب العملية ، مما دفعنى أخيرا الى تسجيل كل هذا فى كتاب للناس ٠

وفى واقع الأمر ، ترددت كثيرا فى الكتابة لأنها ليست صناعتى ، فلم أكن كاتبا أو أديبا يوما ما ، فأتعرض لمثل هذه التجربة ، ولكن بقى التصميم يعتمل فى نفسى تكملة للرسالة التى قمت بها لوجه الله والوطن ٠

وأرجو منه تعالى ، أن يساعدنى فلا أميل مع الهوى ، حتى أعبر عن الحقائق كما عاصرتها ، وتستبين التجارب كما عهدتها ٠

واقف وقفة قصيرة أمام هؤلاء اللذين لن يتفق حديثى مع أهوائهم . فهذه هى أول مرة يجابهون فيها بما يعلمون عن أنفسهم قبل غيرهم ٠ فليصرخوا ما شاءوا وليهذوا ما أرادوا وليرجمونى بألفاظ السباب التى تعودوا عليها ، ولـكنهم لن يجرؤا أبدا على انـكار الوقائع الثابتـة ، ولو أمام أنفسـهم ، وهـذا هو جـل ما قصدت اليه ٠

هدى الله منهم من لم يهتد ، وأما من اهتدى فله الأجر والثواب ٠

الباب الأول

الفصل الأول :

كهانة العلم عند الفراعنة

الماركسية

الفصل الثاني :

التسلل الشيوعي في مصر

الفصل الثالث :

التسلل الشيوعي بوسائل أخرى

جمعية أنصار السلام

مسرحية الريحاني الشهيرة

الفصل الأول

كهانة العلم عند الفراعنة

لا ينكر أحد أن الفراعنة وصلوا الى مراحل متقدمة من العلوم والفنون ، ولم يصلنا من علمهم شيء سوى القشور من الرسوم والآثار التى خلدتهم ،ومعظم هذا القليل وصلنا من التحليل والتخمين .

ولعل القارىء يسأل ، وأين العلاقة بين علم الفراعنة وموضوعنا هذا ! ؟ من أول الحقائق التى توصلت اليها ، من خلال تجربتى الطويلة ، أن النشاط الشيوعى السرى بين الشباب بصفة عامة ، يستهويهم ويقع فى نفوسهم موقع السحر لا يجدون منه فكاكا أو منطقا مضادا أو حماية من الحوار السليم .

وكيف ومن أين تأتيهم هذه الحماية ، مادامت كلمة الشيوعية دائما طلسما غامضا لا يعلم عنه أفراد الشعب قليلا أو كثيرا . وظلت المعرفة بها محصورة فى طبقة معينة من المثقفين والخاصة . وحتى الكتب الجامعية المتخصصة فى الفلسفة والاقتصاد ، نجدها خلوا الا من عجالة موجزة عن النظرية الماركسية ، يكتبها الأساتذة ضمن ما يكتبون عن النظريات الاخرى ، وأما الكتب التى ترد باللغات الأجنبية ، أو مترجمة الى العربية ومطبوعة فى الدول الشيوعية وغيرها ، فكانت غالبا ما تصادر ولا تخرج للناس ، الا ما يصل منها لأيدى الشيوعيين .

ولما كان للنشاط الشيوعى وجهان ، أحدهما نشاط علنى ، والثانى نشاط سرى ، فالنوع الأول كان دائما متجاوبا مع أمانى الوطنيين وآمالهم ، ولم يجرؤ

أحد من الشيوعيين يوما ، أن يفصح عن نفسه صراحة أمام الشعب ، ولم يكن أحد يدرى أن هذه الدعاية تصدر من الشيوعيين ، أو يفرق بينهم وبين غيرهم من الوطنيين ـ ولو كان الشيوعيون قد أفصحوا عن عقيدتهم خلال نشاطهم العلنى لما سلم أحد منهم من فتك الشعب به ٠

وقد اعترف الشيوعيون بذلك ، فطالما عمدت بعض المنظمات السرية الى الاسراف فى نشاطها العلنى ، وحاولت تقوية نفسها عن طريق خلق جبهة وطنية مع أحد الأحزاب السياسية أو ممالأة الحكومة وتأييدها ، الا أنها نقدت نفسها فى آخر الأمر نادمة ، واتهمتها المنظمات الأخرى « بالذيلية » ، والكلمة مفهومة المعنى وكانت دائما سببا فى ضعف المنظمة التى اتخذتها أسلوبا للدعاية ووسيلة لاغراء الشباب وضمهم اليها ٠

وفيما يختص بالنشاط السرى ، الذى كانت المنظمات الشيوعية تلجأ اليه فيمكن تلخيص أسبابه والدافع اليه فيما يلى :

- يلجأ الشيوعيون للسرية مخافة القانون ٠

- يستفيد الشيوعيون من السرية لاخفاء مصادر تمويلهم ، وعلاقاتهم بالأحزاب الشيوعية الاجنبية ، وارتباطهم بالاممية الشيوعية « وسنأتى الى شرح ذلك تفصيلا » ٠

- مع الأسباب المتقدمة ، يقتضى الأمر « منطقيا » أن يتم تجنيد الأعضاء وضمهم للمنظمة ، فى سرية تامة ، خاصة أنهم دأبوا على اغراء الشباب فردا فردا، ولم يلجأوا الى التجنيد الجماعى أبدا ٠

- اذا وجد الشخص الصالح للتجنيد ، فانهم يبدأون فى سبر غوره ودراسة نفسيته ثم استدراجه ، بأن يلقوا على مسامعه فى سرية وغموض موضوعا يعتبر من المداخل أو من الدرجات الأول لفهم النظرية الماركسية ، مثل التطور ونشأة الكون والحياة ، وتاريخ المجتمعات ٠ ويرتقون بمعلوماته درجة درجة ـ

ودائما فى سرية تامة ـ يكون من نتيجتها أن يدخل فى روعه ، أن ما قيل له سر خطير ، اختص به وحده ، فيشعر أن له أهمية خاصة ، ويعطى نفسه قدرا أكثر مما يستحق ، فضلا عن نظرية التقديس الى معلمه بل الكاهن الذى يعلم وحده كل شيء ٠٠ وينزلق ويتورط فى انزلاقه حتى يصل الى طريق اللاعودة ٠

ويتضافر مع هذا كله ، الاجراءات التى تتبع فى ضبط الشيوعيين والتحقيق معهم التى تتم وتنتهى فى سرية تامة ، الى أن تبدأ المحاكمة ، فتعلن الجلسات سرية ،ولا يحضرها سوى المتهمين والدفاع ، وتصدر الاحكام وتنشر فى الصحف. فلا يدرى أحد تفاصيل الجريمة ، وينتف بذلك غرض من أهم الأغراض التى من أجلها شرع القانون ، وهو تحذير الناس من ارتكاب الجرم ٠

وهكذا ظلت الشيوعية سرا فى سر ، وغموضا فى غموض ، فلا يعلم الناس عنها شيئا ، ان خيرا وان شرا ، الا ما يقوله الحاكم مهاجما الشيوعيين فى مناسبة سياسية معينة ، وكأنه يوجه النقد الى حزب سياسى معارض ٠ أو ما يكتبه أحيانا بعض الادباء فى الصحف ، محللين لسياسة الشيوعيين دون تعرض لتبيان ما هى الشيوعية ومن هم الشيوعيين ؟

ويبقى ميدان الخفاء مفتوحا على مصراعيه يمرح فيه الشيوعيون وينفثون فى عقول النــاس كلاما معســـولا ، براق المظهر ، يقــع فى بعض الاذهان موقــع الاستحسان ٠

هذا ما قصدت اليه من كهانة العلم عند الفراعنة ، العلم الذى يستأثر به طائفة من الشعب دون غيرها ـ الكهنة فى عصر الفراعنة والشيوعيون فى عصرنا الحالى ٠ وفى كلتا الحالتين أدت السرية الى التأليه والجهل بالحقيقة ٠

ولا أقول أن هذا هو السبب الوحيد ، ولــكنى أردت أن أبدأ به لأنه من صميم تجاربى العملية فى مكافحة الشيوعية ٠

فكم من مرة سئلت عما هى الشيوعية ، من شباب تختلف ثقافتهم أو من رجال ، كنت أظنهم يعلمون !!

الماركسية

معنى كلمة « شيوعية » :

كلمتا شيوعية واشتراكية ، كلمتان متشابهتان من الناحية التاريخية ٠ فالأولى مستمدة من الكلمة اللاتينية (Commun. ، ومعناها متساوى ، والثانية من الكلمة اللاتينية (Socius) ومعناها شريك ورفيق ٠

وقصد بهما أصلا ، مجتمع يشترك فيه جميع أفراد الشعب فى الثروة ويتساوون كذلك فى المركز السياسى ٠

ولم يدر بخلدى ، أن أتيه بالقارىء فى بيداء من الفلسفة والنظريات ، انما رأيت أن أوجز بغير اخلال ، فأصل الى الحقائق بدون تعسف ، عن طريق مبسط كتب فيه العلماء المتخصصين آلاف الصفحات ٠

لم تكن الثورات الاشتراكية ، وليدة القرن العشرين ، بل عرفت من قديم الزمان ، اذ قامت عدة ثورات اجتماعية ، خلال الألفى عام السابقة ، ودفعت كثيرا من الفلاسفة الى وضع النظريات الاشتراكية للوصول الى العدل الاجتماعى ٠

وظهر منهم « كارل ماركس » ــ وهو من عائلة يهودية تنصرت وهو فى السادسة من عمره ــ وقدم نظريته فى منتصف القرن التاسع عشر ٠ وفى عام ١٨٤٨ أذاع بيانا سمى « بالمنفستو الشيوعى » ، دعى فيه البروليتاريا أى الطبقة العاملة فى العالم وهى التى لا تملك شيئا ، للاتحاد والثورة على باقى الطبقات ، فلا يخافون شيئا ، لأنهم لا يملكون شيئا سوى الاصفاد التى تغلل أيديهم ، وحتى ينشئوا عالما لهم يسودونه ٠

الشـيوعية :

الماركسية والشيوعية ليستا شيئا واحدا ، حقيقـة اهتم لينين وسـتالين بماركس وكذلك زميله أنجلز اهتماما بالغا ، ذلك لأنهما وجـدا فى نظريات ماركس ذخيرة أمكنهما استخدامها فى تبرير أعمالهما ٠

اهتم ماركس وزميله أنجـلز بالظـروف التى يمـكن أن تؤدى الى ثـورة البروليتاريا أو الطبقة العاملة ، وكتبا آلاف الصفحات عن ذلك ، الا أنهما لم يخصصا سوى جزء ضئيل جدا للمشاركة العملية التى تأتى بعد ثورة ناجحة ، وانتهز لينين وبعده ستالين الفرصة وأمكنهما تفسير نظريات ماركس بما يتفق مع رغباتهما فى النظام الذى يفرضانه بعد الثورة ٠

وبهذا أتت النظرية بعد التطبيق بدلا من أن تسبقه ٠

ووضعت المبادىء الشيوعية لسد حاجات الدولة الدكتاتورية ولم تطبق حتى يومنا هذا ٠ ومنذ متى كانت الدكتاتورية لمصلحة الشعب ؟

ومن المفيد أن نلخصها فيما يلى :

الطبقة العاملة :

قسم ماركس كل المجتمعات الحديثة الى طبقتين لاثالث لهما ، طبقة العمال ، وطبقة أصحاب وسائل الانتاج التى تستخدمهم ٠ ولم يعترف ماركس بوجـود طبقة وسط أو أى طبقة أخرى ٠ وانتهى ماركس الى أن كل أعضاء الطبقة العاملة سيتحدون فى الرأى فى مسائل القانون والدين والاخلاق والقومية ٠

وحلل ماركس التاريخ الى عاملين فقط ، هما العامل الاقتصادى والصراع بين طبقة العمال وطبقة المستغلين لهم ٠

وأوضح ماركس نظرياته الطبقية قائلا : « ان التاريخ يسـير نحو هدف لا محيد عنه ، هو حكم الطبقة الكادحة » ٠ وعلى هذا الافتراض قامت النظريات

الأخرى التى ابتكرتها الشيوعية • وللأسف لم يكن للطبقة الكادحة نصيب فى الحكم فى أى نظام شيوعى حتى الآن •

الصراع بين الطبقات :

قال ماركس « أن البروليتاريا تفوق الرأسماليين عددا ، ولذا فان انتصار الأولى مؤكد • ودعى كل العمال فى العالم الى الاتحاد والكفاح للوصول الى المجتمع المثالى ووعد بأن يؤدى انتصار العمال الى مجتمع اشتراكى بلا طبقات ، أى أن يجعل البشر كالمشط متساوى الاسنان • وأما الوسيلة الى التخلص من الحكم الرأسمالى ، فلن تتم الا بثورة عارمة من صفوف الطبقة العاملة ، تستولى بعدها على السلطة ، وتنبأ بزوال الدولة وقيام حكومة تسيرها الطبقة العاملة كمجموع •

الملكية العامة لوسائل الانتاج :

قدم ماركس نظريته الاقتصادية بفكرة رئيسية مجملها أن كل ما يستخدم فى انتاج السلع ، يجب أن يكون ملكا للمجموع وليس ملكا للافراد ، وأن الملكية العامة للمزارع والمصانع والآلات والمناجم ، معناها وضع حد لاستغلال العمال ، وأن هذه الملكية العامة ستؤدى الى اختفاء كل الطبقات عدا طبقة العمال ، وعندئذ يمكن تحقيق التوزيع العادل للثروة فى المجتمع الخالى من الطبقات ، فينتهى بذلك الصراع بينها ويكن تنفيذ قاعدة « **من كل بحسب مقدرته ، ولكل بحسب حاجته** » •

ولعلك أخى القارىء لاتجد صعوبة فى تفسير ما سبق اذ أن الاطاحة بالطبقة الرأسمالية أدت الى رأسمال واحد هو الحكومة الدكتاتورية •

ثورة وسيلتها العنف :

تقول النظرية الماركسية ، ان الاشتراكية ستتحقق باستيلاء الطبقة الكادحة على السلطة السياسية ، الا أن لينين شرح هذه النقطة ومن رأيه

أن الطبقة العاملة لن تستطيع الاستيلاء على السلطة السياسية ، الا اذا مثلهـا فريق متماسك مدرب من الثوريين المحترفين القادرين على اثارة الجماهير ودفعها الى العنف • وقال أيضا أن من الضرورة القصوى لكل حزب شيوعى ، أن يقرن بطريقة منظمة ، الأعمال القانونية بالأعمال الغير قانونية ، التنظيم الشـيوعى والتنظيم الغير شيوعى •

أما ستالين فلم يكن أقل ثقة بالعمال من زعيمه لينين ، اذ قال ، ان مصالح الطبقة الكادحة فى جميع أنحاء العالم هى نفس مصالحها فى الاتحاد السوفيتى ، وفى كلمة أخرى قال : **ان مصالح حكام الاتحاد السوفيتى أهم من أية مصـالح للعمال أو أى حزب شيوعى محلى ، وأن كل عمل مقبول اذا كان يخدم مصـالح السوفييت ، وعلى الحركة الشيوعية العالمية أن تدين للزعامة السـوفيتية بالطاعة العميـاء** •

لا تنسى أخى القارىء حديث ستالين السابق وستعلم الى أى مدى نفـذه الشيوعيون فى بلدك •

دكتاتورية البروليتاريا :

أيد لينين ديكتاتورية البروليتاريا التى ابتدعها ماركس ، الا أنه كان مقتنعا بأن الطبقة العاملة لو تركت لحالها لما أمكنها أن تقوم بثورة وأن تحقق الشيوعية• ويجب أن تأتى الشيوعية للطبقة العـاملة من أعلى ، عن طريق فريق مدرب من المحترفين • وقال : « هيئوا لنـا منظمة من الثوريين ، نقلب لـكم روسيا رأسا على عقب » •

واختار لينين الحزب الشيوعى كطليعة للطبقة العاملة وناطقا بلسـانها • وقال : « ان الحزب لا يمثل مصالح الطبقة العاملة فحسب بل ان وعيه للصراع الطبقى أكبر من وعى هذه الطبقة نفسها، وان الحزب الشيوعى سيواصل السيطرة على الجماهير ،حتى الوقت الذى تصبح فيه على استعداد لقبول المجتمع الخالى من الطبقات » •

وفى حين يرى ماركس أن فترة دكتاتورية البروليتاريا ستكون فترة انتقال مؤقتة ، تؤدى سريعا الى تلاشى السيطرة الحكومية ، يرى لينين أن الدولة ستبدأ فى التلاشى بعد سيطرة البروليتاريا على الحكم ، غير أنها لن تختفى تماما الا بعد أن تستقر الشيوعية • ويجب استمرار ديكتاتورية العمال ومعها الدولة الى أن يجيء ذلك الوقت •

وأما ستالين فقد خرج بنظرية « الحصار الرأسمالى عام ١٩٣٦ » • وقال : « أنه ما دام الاتحاد السوفيتى محاطا بدول غير شيوعية فمن الضرورى استمرار الدولة وأجل بذلك تلاشيها المحتوم الى أجل غير رسمى •

والمعروف أن قادة الاتحاد السوفيتى يزعمون دائما أن البروليتـاريا هى السلطة العليا فى تلك الدولة ، مع أن الحزب الشيوعى هو القائد الفعلى للحكومة القائمة ، سواء كانت تحت السيطرة الفردية وقت لينـين وستالين ، أو تحت سيطرة سكرتير عام الحزب والمكتب السياسى •

التوسع الشيوعى :

وطبقا للنظريات السابقة ، فان الطبقات الحاكمة فى الدول غير الشيوعية ستحاول دائما أن تقلب الحكومات الشيوعية ، ولذلك فلن تسلم الشيوعية فى أى مكان حتى يتم اقرارها فى العالم كله ، وأن انتصار الثورة فى روسيا ليس الا بداية الثورة العالمية وأساسها •

الاتحاد السوفيتى مركز للشيوعية الدولية :

كان لينـين يعتقد أن الثورة الشيوعية ستمتـد الى بلاد العالم فى فترة وجيزة ، ولما لم يحدث ذلك فى عصره كما كان يتوقع اضطر أن يقرر أن الاتحاد السوفيتى يكون مركزا لقيادة الثورة العالمية ، وتم بذلك تـكوين الـكومنترن (Commintern) اى الهيئة الشيوعية الدولية عام ١٩١٩ •

وسنأتى الى ذكر الدور الذى قامت به هذه الهيئة فى نشر الشيوعية عالميا، وفى الشرق الأوسط أيضا •

الشيوعية والدولة :

يزعم الشيوعيون أن الطبقة المسيطرة على وسائل الانتاج تنشىء الدولة لرعاية مصالحها والمحافظة على ملكيتها وقمع كل محاولة تنكر حقها عليها ، وقد رفض ماركس ضرورة ابقاء وظائف الدولة فى مجتمع غير طبقى ، وكتب انجلز عام ١٨٧٣ مقالا يوضح فيه « أن مفهوم الشيوعيين لزوال الدولة ، هو أن تفقد الوظائف العمومية طابعها السياسى وتنقلب الى وظائف ادارية بسيطة تسهر على مصالح اجتماعية حقيقية » وجاء فى كتاب له هذه العبارة « يحل محل حكومة الشعب ادارة تسير أمور الدولة » ·

وفى نقد نظام الدولة الرأسمالية ، ركز ماركس وانجلز على الهجوم عليها كآلة بين أيدى خصوم العمال ، وأن الحاجة اليها ستزول تدريجيا مع تقلص ظل الرأسمالية ·

وتمثل الدولة فى المفهوم الشيوعى المقومات الاجتماعية العليا التى كونتها القوى الانتاجية والتى تنطوى فى تصميمها على متناقضات ستودى بها ، وأن أول مهمة للثورة هى سيطرة البورليتاريا على الدولة وهدمها نهائيا لانها فاسدة الجهاز وليدة البرجوازية ·

ومن أقوال لينين « أن المرحلة الأولى للشيوعية تؤدى الى العدل والمساواة ـ وان لم يتحقق منهما شىء ، فستبقى فوارق فى الثورة ـ وفى هذه المرحلة يزول الاستغلال فلا يعود انسان يملك وسائل الانتاج من مصانع وآلات وحقوق كأنها ملك خاص له » ·

الاشتراكية والشيوعية :

قامت الثورة لتحقيق المجتمع الشيوعى الذى تطبق عليها قاعدة « من كل بحسب مقدرته ولكل بحسب حاجته » هذا هو الهدف من النظريات والفلسفات وكل ما كتب من آلاف الصفحات ، بل هذا ما يحفظه جميع الشيوعيين فى العالم ويرددونه ·

ونلاحظ أن كلمة الدولة الشيوعية قد شطبت من قاموس السياسة ليحل محلها تعبير آخر هو الدولة الاشتراكية ٠

وهنا فليتفضل السادة الذين يرددون لفظ الدولة الاشتراكية وفى نفس الوقت يدعون الى الشيوعية ويحفظون مبادئها عن ظهر قلب ، ويفسرون لنا كيف حادت الثورة الشيوعية عن هدفها وأصبحت وما زالت اشتراكية ؟

ستعمنا السعادة اذا قيل لنا أن الحياء هو الدافع لاخفاء كلمة الشيوعية واستبدالها تمسحا بكلمة الاشتراكية ٠

والواقع يدل على ذلك ، اذ نعتقد أن المسيطرين على مصير الشعوب فى الاتحاد السوفيتى وغيره من الدول التى تسير فى فلكه ، وجدوا أن كلمة الشيوعية كبيرة ضخمة ، لا تمثل الثورة التى قاموا بها فعلا ولا تمثل مجتمعاتهم بعد قيام الثورة ، **فاستبدلوها بالاشتراكية** ٠ ونرى أيضا أن هذا العصر قد تميز بظهور اشتراكيات أخرى تختلف تماما عن الاشتراكية الشيوعية ، ولذا أراد الحكام السوفيت استخدام كلمة الاشتراكية ، لأن كلمة الشيوعية أصبحت بعد ستين عاما كلمة مفترى عليها ، ولتمض الاشتراكية الشيوعية مع غيرها من الاشتراكيات ، حتى تتخبط الشعوب ولا تعلم الفارق بينهما ٠

قلنا أن هذا العصر تميز باشتراكيات مختلفة ، الا أنها لاتتعدى ذلك من حيث أنها تختلف فى تطبيقها من دولة الى أخرى ٠ ولم يحدث أن اعتبرت هذه الاشتراكيات رابطة تسير على نمط واحد ، أو تصبح نظاما واحدا تخضع له كل الشعوب ، ولعل السبب فى ذلك يرجع الى أن الاشتراكية محصورة فى كونها نظاما اقتصاديا ، ولا يتحتم قيام نظام واحد لكل البشر له من قواعده الصارمة ما يعوق التطور ويمنع الخروج عنه ٠

أما النظرية التى يجب أن يطلق عليها الآن « الماركسية اللينية الستالينية» فتختلف عن ذلك ، لأنها تقوم على المادية الجدلية وترفض الاتجاهات المثالية وتضع القواعد الجامدة للاقتصاد وأسلوب الانتاج وتفسر التاريخ وتحدد مساره ونهايته

وتضع المنهج لنعلم وتتدخل فى نتائجه • كما أن لها موقفا محـددا من الدين ، وتعتبر نفسها الختام النهائى للفكر البشرى مع أنها قائمة على مبدأ التطور ، واذ تؤمن بأنها الفلسفة الوحيدة التى تفسر كل نشاط البشر ، وأن ما عداها من النظريات والافـكار وهم وخيال ، وأن الماركسية هى الوريث الشرعى للفـكر الاشتراكى بأسره •

المادية فى الفلسفة الماركسية :

الفلسفة المادية عند ماركس هى أساس نظريته التى أقام عليه بناءا ضخما شـاهقا من النظريات والتفسيرات ، واذا تناولنا كل هذا البناء ، لدخلنـا فى متاهات نحن فى غنى عنها ، انما يمكن أن نقصر الحديث على النقاط الآتية :

◉ كان « هيجـل » الفليسوف الألمانى ، مثاليا يحدد أسـلوب تفـكيره ونظريته فى أن الفكر موضوع مستقل ، وهو خالق كل شىء حقيقى ويعنى بلغتنا البسيطة ،أن هناك قوة خالقة سبقت كل شىء •

◉ أما ماركس ، فان الفكرة بالنسبة له « ليس الا العالم المادى منقولا الى البشرى ومصورا فيه » واستطاع ماركس أن يقلب فلسفة هيجل ويستغل طريقته الجدلية ، وبذلك تمكن من تكييف الاوضاع الاجتماعية والفـكرية والتاريخيـة لمختلف الأمم والشعوب ، وتنبأ بما سوف يحدث فى المستقبل • ولم تصـدق نبوءة واحدة من تنبؤاته •

ومن تفسيرات أنجلز فى المادية « أن العالم المادى الذى ندركه بحواسنا والذى نحن جزء منه هو الحقيقة الوحيدة ، وأن ادراكنا وتفكيرنا مهما لاح عليهما من السمو على الحواس ، هما نتاج لعضو من أعضاء جسمنا ــ وهو المخ ــ فليس الفكر هو الذى أنتج المادة بل أن العقل نفسه ما هو الا أسمى انتاج للمادة » •

◉ وجاء ستالين مفسرا فقال : « ان المادة على عكس المثالية لا تؤمن بالفكر المطلق أو الروح الـكونية أو غير ذلك من المعانى الموضوعية ، لأنها ترى العالم

بطبيعته الاصلية ماديا · وأن الفكر نتاج للمادة وأن كافة الظواهر ما هى الا صور مختلفة للمادة فى حالة الحركة ، وأن العالم يتطور وفقا لقوانين حركة المادة » ·

ومما تقدم نرى أن المادة هى أساس البنيان فى النظرية الماركسية التى اتخذت عمادا للشيوعية ومظاهرها جميعا · ويظهر أن أصحاب هذه النظرية ، كانوا يوم وضعوها يحسبون أن المادة شيئا ملموسا مفهوما لا يحتاج الى تفسير، وكانوا يظنون أن العلم قادر على حل كل معضلة وكاشف لكل سر ، وواصل الى كل حقيقة ·

ما هى المادة ؟

هل هى حجم ؟

هل هى كتلة ؟

هل هى جوهر ؟

هل هى لون ؟

هل هى امتداد ؟

وما هو جوهر المادة ؟

كان العلم قد وصل الى أن جوهر المادة هو الجزىء · وقد ثبت منذ عام ١٩٢١ أن الجزىء ليس هو أصغر مكونات المادة · لأنه مكون من ذرات · وقد أثبت العالم « اينشتين » أن الذرة يمكن تحطيمها ·

وقد حطمها الأمريكان وحطمها الروس وغيرهم ·

وانتهت المادة الى طاقة ·

وليست للطاقة خاصية واحدة من خواص المادة ·

انتهت المادة الى معادلة رياضية أى الى فكرة ، أغمض من الروح بل هى أقرب الى المدلول الروحى !!

ان لكل حركة محرك ، ولكل معلول علة ، وبقليل من التأمل يصل الانسان العاقل النزيه الى علة الكون « سبحانه وتعالى » ٠

ومع ذلك ، لما عاد جاجرين السوفيتى من رحلة الفضاء الأولى ، صرح بأنه لم يشاهد الله فى طريقه !! « سبحانك يارب وأستغفرك » ٠

كان أولى بجاجرين أن يفسر لنا ، وقد وصل الى مقربة من القمر ، كيف سيصل الى أن يأخذ من كل بحسب مقدرته ، ويعطى كلا بحسب حاجته ٠ وكيف يطبق هذا بين البشر ٠ الا اذا كان فى مخيلته أن يصعد مرة أخرى ويحضر بشرا آخرين من السماء ، ليحتلوا الأرض ويطبق عليهم هذا النظام ٠ ومن يدرى فربما قصد الشيوعيون أن يتحقق هذا الحلم الجميل بعد قيام الساعة ٠٠٠ وسبحان من له الدوام ٠

الدين والشيوعية

يقول لينين فى كتابه الاشتراكية والدين المجلد رقم ٢ ص ٦٦ « أن حزبنا هو رابطة بين مناضلين متقدمين وواعين طبقيا لتحرير الطبقة العاملة ، ومثل هذه الرابطة يجب أن تكون مختلفة عن الجهل والغموض الذى يتمثل فى العقائد الدينية ، ان من أسس انشائنا للحزب ، أن نشن حربا ضد الحماقات الدينية بين العمال » .

وجاء فى مجلة الشباب البلشفى العدد ٥ ، ٦ عام ١٩٤٦ ص ٥٦ « اذا ما كان الشيوعى يعتقد فى الله ويذهب الى الكنيسة ، فانه يفشل فى القيام بمهامه وهذا يعنى أنه لم يتخلص بعد من الخرفات الدينية ولم يصبح شخصا واعيا » .

وجاء فى نفس العدد صفحة ٥٨ « أن فلسفة الماركسية اللينية وهى الأساس النظرى للحزب الشيوعى لا تتفق مع الدين ، فالنظرة العامة للحزب تقوم على أساس علمى مما يتنافى مع الدين ، لذا كان لزاما على الحزب أن يقوم الحزب بمعارضة الدين » .

واعتقد أنه لا داعى للبرهنة بمثل هذه الكلمات المعلنة ، ويوجد الآلاف منها، ويكفى أن أساس النظرية هو المادية التى لا تعترف بالخالق سبحانه وتعالى .

وهنا أود أن أسأل المصريين الذين يسمون أنفسهم بالمراكسة ، كيف يتفق أن يكونوا ماركسيين ويدعى بعضهم التمسك بالدين!؟

ومن طريف ما اذكره ، أنه فى يوم من عام ١٩٧٥ ، كنت متوجها فى طريق خلف مسجد عمر مكرم بميدان التحرير ، واذا بى أواجه بزعيم الحزب الشيوعى

المصرى ، خارجا من الجامع وكان يربط حزامه ويبسمل ويحوقل ، ولا شك أنه كان بداخل الجامع يؤدى صلاة العشاء · وبحسن نية اندفعت اليه أحييه ، ورد هو التحية بأحسن منها ، وتركته مذهولا وأنا أعتقد أن شيئا فى الدنيا قد غير موضعه · وقلت ان الله يهدى من يشاء ·

ومرت أيام قليلة ، واذا بى أعلم أن الشيوعيين يدعون الاسلام ومنهم من بدأ يصلى فى المساجد ، لافتا اليه الانظار ، ومنهم من سافر للحج · وجاءنى منهم من يعلم ببواطن الامور وأثق به ، وشرح لى أن هذه خطة للشيوعيين بدأوها عندما هاجمهم كبار العلماء باسم الدين ، ولما بدأت حملة الانتخابات لمجلس الشعب ، ووجد الشيوعيون أنه لا مفر من مواجهة رجال الدين ومواجهة الناخبين من أفراد الشعب ، قرروا هذه الخطة ·

والدين هو علاقة بين الانسان وخالقه ويأتى بعد ذلك ، السلام الاجتماعى وهو علاقة أفراد الشعب ببعضهم ·

ويرفض الشيوعيون مبدأ السلام الاجتماعى ، لان ماركس قد علمهم أن الثورة التى يهدفون اليها لا تتحقق الا بصراع دموى ، واذكاء نيران الحقد بين طبقات الشعب بطريقة تعجل بالانفجار والحرب الأهلية ·

فماذا يقول الماركسيون فى ذلك ، وهذا هو أهم أسس الماركسية ، انهم لن يكونوا ماركسيين ، اذا تمسكوا بالدين واعترفوا بالسلام الاجتماعى · أما هذا أو ذاك ·

ولا يفوتنى هنا أن أنوه بما نشرته أخيرا صحيفة كومسمولكايا برافدا ، أى صحيفة الشباب ، تنعى فيه انتشار ممارسة تحضير الارواح بين الشباب وطلاب الجامعات ·وقد علق أحد علماء التربية السوفييت بأن الأمر أخطر مما يبدو ، ووصف هذا الأسلوب فى تخمين المستقبل ، بأنه ظاهرة سلبية تدل على لجوء الشباب الى السر والغموض وقال : « أن هذا السلوك يثبت أن المادية العلمية

قد فشلت فى أن تصبح وسيلة للتفكير ، وأن هذا الشر المستطير بسبب شكلية التعليم التى ولدت فى الشباب عدم اليقين ٠

واذا كان لابد من تعليق على هذا الخبر ، فانى أود أن أقــول ، أن تعليم الشباب بل والأطفال السوفييت كان دائما أقرب الى التنويم المغناطيسى اكراها واجبارا ، ولذلك كانت هذه النتيجة ٠

ان الانسان أينما كان فى أى زمان يولد وعيناه متجهة الى السماء ، يبحث عن مصدر وجوده ويتلمس ملاذه ، ويبحث عن خالقه ٠

الفصل الثانى

التسلل الشيوعى فى مصر

ولا أقول نشأة الشيوعية فى مصر ، فلا ينشأ شيء الا من العدم . وماركس لم يكن مصريا ، ثم لينين الذى لحق بالثورة الماركسية فى روسيا وكان وقتئذ منفيا ، لم يكن مصريا . ولكن الماركسية أو ماسمى بالشيوعية وردت الى بلاد الشرق الأوسط ومنها مصر على أيدى غرباء من الاجانب والصهيونيين . فهى لم تنشأ فى بلادنا ولكنها تسللت اليها من الخارج .

ان أول من وضع البذرة فى مصر ، يهودى متمصر عاش بالاسكندرية يدعى « جوزيف روزنتال » ، حيث أنشأ بها أول نقابة من عمال شركة السجائر وكلهم من الجانب عام ١٩٠٨ واعتنق معظمهم على يديه الاشتراكية المتطرفة . ثم انشئت نقابات أخرى كان أعضاؤها خليط من الاجانب والمصريين ، تخضع لتوجيهات روزنتال وغيره من الاجانب اليونانيين والايطاليين والارمن ، واستمر هؤلاء فى نشاطهم حتى عام ١٩١٩ اذ ضبطت مجموعة من الارمن بلغ عددها تسع عشر فردا يكونون جمعية تدعى هـ و ج .H.O.G وكانت تدعو للمبادىء الشيوعية . وأبعدوا جميعا عن البلاد ، فكانت أول قضية شيوعية فى مصر .

ولم تكن الفلسفة الشيوعية بعد الحرب العالمية الاولى مباشرة ، قد أخذت طابعها التوسعى الذى وصلت اليه فى الوقت الحاضر ، بل ان بلادا كثيرة وخاصة

فى الشرق ، لم تكن قد سمعت بهذه الفلسفة من قبل ، حتى رأى قادة الثـورة البلشفية أن ينشروا مبادىء الشيوعية فى ربوع البلاد لاحداث الثورات المماثلة حتى يعم النظام الشيوعى تحت زعامة الاتحاد السوفيتى ، فعمدوا الى تسـلل المبادىء الماركسية للبلاد الأخرى على يد طائفة من المخربين والعملاء والانتهازيين، ولم يجدوا خيرا من اليهود الصهيونيين لحمل هذه الرسـالة بأمانة واخـلاص ، منتهزين فرصة النزعة الصهيونيةالتى بدأت تتبلور فى هذا الوقت ، كما استغلوا الاقليات فى الشعوب المستعمرة ٠

ومن جهة أخرى ، أدركت الصهيونية منذ وقت مبكر ، خطر الشعور القومى العربى على القومية الصهيونية العنصرية ، فتعاونت مع الاستعمار البريطانى فى ابقاء الوضع الانفصالى بين البلاد العربية ، وبادرت بدس العناصر اليهودية فى المنظمات الشـيوعية ،بل أن اليهود هم الذين أسسوا الأحزاب الشيوعيـة فى العراق والجزائر وتونس والشـام وفلسطين وجميع المنظمات الشيوعية السرية فى مصر بلا استثناء ٠

وقد وقفت جميع هذه الاحزاب من الحركة الوطنية العربية ، موقفا مخزيا مخربا ، ولم تجد اسرائيل من يهاجم الجامعة العربية أكثر مما هاجمها الشيوعيون العرب ٠ ولم تجد الصهيونية من يهاجم الوحدة العربية أكثر من هؤلاء الذين يقودهم ويوجههم أشد العناصر اليهودية رجعية وتعصبا ٠ بل انه بلغت القحـة بزعيم الحزب الشيوعى المصرى ، أن يهاجم حكومة الثورة فى عام ١٩٥٤ لأنهـا حكومة حرب تعمل على تقوية جيشها لزجه فى الحروب الاستعمارية ، وكان قد طالب قبل ذلك بالصلح مع اسرائيل والغاء الجامعة العربية ٠

مهلا أيها القارىء ، مالنا نستعجل الاحداث ، فسنأتى الى كل ذلك وأكثر من ذلك بالأدلة والبرهان ٠

فى عام ١٩١٨ حضر الى مصر أحد عملاء البلاشـفة ويدعى « أفيجدور » ، وبقى بها حتى أواخر عام ١٩١٩ ثم غادرها الى فلسطين وعاد مرة ثانية فى ١٩٢٢

وكان لهذا الرجل شأن كبير فى تأسيس الحزب الشيوعى المصرى وتهيئة بعض الشباب للسفر الى موسكو حيث تعلموا وتدربوا على يد الخبراء السوفييت · وقد عاد مرة ثالثة الى البلاد فى عام ١٩٢٤ لتدعيم وتنظيم الحزب الشيوعى ·

ولنرجع الى تأسيس الحزب الاشتراكى المصرى · اذ صـــدر بيان فى ١٩ أغسطس ١٩٢١ يتضمن برنامج هذا الحزب وأعلن فيه صراع المبادىء الاشتراكية العادلة مع النظم الرأســمالية ، أى بالصراع الحزبى والدعوة الســلمية · وبدأ الحزب وأعضاؤه من الاجانب وبعض المثقفين المصريين ، فى تكوين النقابات العمالية المختلفة ، وتمكنوا من تكوين اتحادا عاما للنقابات ، بمعرفة « أنطون مارون » وكان من الشيوعيين الذين تدربوا فى موسكو · ثم انقسم الحزب الاشتراكى على نفسه وتمكنت الاغلبية الماركسية من طرد باقى الأعضاء من المثقفــين المصريين الذين ابتعدوا عن نشاط الحزب عندما تبينوا أنه نشاط أممى وشيوعى متطرف ·

وتمكن باقى الأعضاء من اقامة الحزب فى فرع الاسكندرية وأطلقوا عليــه لأول مرة اسم الحزب الشيوعى المصرى وأنشــأوا له فروعا فى القــاهرة وطنطا وشبين الكوم ، وأعلنوا صراحة أن الحزب فرع من الدولية الثالثة ·

وكان هذا الاعلان أول خطوة من خطوات الخيانة ، فان تعبير الدولية الثالثة يعنى « المؤتمر الأول للحزب الشيوعى السوفيتى الذى عقد فى موسكو فى ٧ مارس ١٩١٨ وسمى بالكومنترن « الشيوعية الدولية » ·

ونصت قرارات المؤتمر على واحد وعشرين شرطا تكون أساسا لانضمام أى حزب شيوعى فى العالم الى صف الكومنترن ، ولا يعتبر حزبا شيوعيا الا بموافقته على هذه الشروط ونكتفى بذكر أهم تلك الشروط :

- على الاحزاب المنضمة للكومنترن أن تقف فى وجه الدعاية الاصلاحية المعتدلة وأن تحاربها ·

- على الثوريين أن يؤكدوا أن الاصلاحات لا يمكن أن تكون سوىاجراءات مسكنة ، وأن العنف الثورى هو وحده الذى يكفل تحقيق مصالح العمال ·

◉ على الشيوعيين ايجاد تكتلات داخل النقابات العمالية حتى تتسنى لهم السيطرة عليها من الداخل .

◉ على الشيوعيين أن يعملوا على انشاء الخلايا السرية داخل صفوف القوات المسلحة .

◉ على الاحزاب الشيوعية السرية أن تعمل بمهارة للافادة من كافة التنظيمات العلنية .

◉ عدم التخلي عن التشكيلات السرية في الأحزاب التي تباشر نشاطها بطريقة علنية .

◉ على جميع الاحزاب الشيوعية أن تؤيد دون تحفظ الاتحاد السوفيتي ، وأن تصدر الأوامر الى أعضائها بعدم نقل الاسلحة أو العتاد الحربي الى أعداء الاتحاد السوفيتي .

◉ جميع قرارات الكومنترن تكون ملزمة لجميع الاحزاب المشتركة فيه .

ولا تحتاج هذه الشروط الى شرح أو تفسير ، ويكفى ما ورد بالشرطين السابع والثامن فانهما يتوجان باقي الشروط في جسم الخيانة ، ويمثلان مع غيرهما أخبث وسائل الاستعمار والرغبة في التوسع ، بمعاونة طابور خامس من بعض المواطنين بعد حشو رؤوسهم بفلسفات خيالية .

رأى جوزيف روزنتال عند تكوين الحزب الاشتراكي أن وجود الحركة في يد الأجانب لن يكون لها مستقبل في مصر ، فدعى عددا من الشباب المصرى وضمهم الى الحزب ومنهم محمود حسنى العرابى الذى كانت له ميول واطلاعات اشتراكية متطرفة في هذه الفترة .

وأعلن الحزب الشيوعي المصرى عن مؤتمر في ٦ يناير ١٩٢٣ لاعلان اسم الحزب وانضمامه صراحة للكومنترن وموافقته على الواحد وعشرين شرطا السابقة

الذكر ، وأرسل لأعضائه دعوات مطبوعة لحضور المؤتمر · وتجد صورة من الدعوة فى الصفحة التالية · الا أن البوليس منع عقد الاجتماع فما كان من بعض الاعضاء الا الاجتماع بأقلية وأصدروا بيانا باعلان تكوين الحزب الشيوعى المصرى وبموافقته على الانضمام للشيوعية الدولية وعلى الواحد والعشرين شرطا ·

وهنا لا بد أن نذكر أن أفيجدور قد أمر بتكوين الخلايا السرية على أساس الشكل الهرمى ، وذلك لأول مرة فى تاريخ الحركة الشيوعية فى الشرق الأوسط والذى اتبعتـه المنظمات الشيـوعية فى مصر حتى اللحظـة التى انفضت بهـا التشكيلات الشيوعية · وكان من تعليمات أفيجدرو أن يعمل الحزب على تقوية علاقته مع حزب الوفد ، والعمل على تكوين جبهة معه وتنظيم النقابات والاتحاد العام بأسلوب جماهيرى يكون فيه للقاعدة شأن كبير · وتحديد مهام الحزب وجعلها أساسا للدعاية الجماهيرية ، مثل تحديد الملـكية وتأميم الشركات الاحتـكارية والبنوك وطرد الاستعمار والتنسيق بين الاحزاب العربية المختلفة ·

ومن العجيب أن تظل هذه المهام ، هى الشغل الشاغل للحزب الشيوعى المصرى الأول حتى خمد نشاطه · وتستمر موضع الدعاية العلنية للمنظمات الشيوعية التى نشأت فى الأربعينيات بعد ذلك · ويبقى شعار المطرقة والمنجل على كل المطبوعات الشيوعية حتى الآن ، وهو شعار الثورة البلشفية ·

ومنذ أول عام ١٩٢٣ ازداد نشاط الحزب ، اذ أضرب عمال بعض النقابات فى الاسكندرية وغيرها وقرر اتحاد العمل القيام بمظاهرة لتأييد باقى النقابات وأن تكون المظاهرة عامة فى باقى القطر ، حتى يوحى الى العمال أن قضيتهم واحدة لا تتجزأ تحقيقا لنداء « ماركس : ياعمال العالم اتحدوا » ·

وفى ١٨ مارس ١٩٢٣ ، قبض على المهيجين الشيوعيين للعمال ، من عملاء الشيوعية الدولية ، وعلى رأسهم محمود حسنى العرابى ، وأنطون مارون ، وأمين يحيى ، وحسن حسنى وأغلق نادى اتحاد النقابات حيث كانوا يجتمعون ، الا أنه تم الافراج عنهم فى مايو من نفس العام بغير محاكمة ، ويعتبر هذا أول اجراء اعتقال ضد الشيوعيين ·

الحزب الاشتراكى المصرى
الشعبة المصرية للدولية الشيوعية



Parti Socialiste Egyptien
(S. E. I. C.)

المؤتمر الشيوعى المصرى

حضرة الرفيق محمد زكى الشرجبى

- بعد سماع تقرير مندوب الحزب الاشتراكي المصري الرفيق محمود حسنى العرابي السكرتير العام عن المؤتمر الرابع الدولى الشيوعى بموسكو

وبعد فحص قرارات القومسيون المصري التى انتخبه المؤتمر الرابع لبحث تقرير المندوب

قررت لجنة الحزب الادارية هنا بجلستها المنعقدة فى يوم الثلاثاء ١٢ ديسمبر سنة ١٩٢٢ عقد مؤتمر من جميع اعضاء الحزب الاشتراكى المصرى بدار الحزب بشارع نوبار باشا رقم ١٨ بالاسكندرية فى يومي ٦ و ٧ يناير سنة ١٩٢٣ للنظر في جدول الاعمال الآتي:

(١) تقرير عن حالة الحزب
(٢) تقارير من سكرتاريات الشعب
(٣) تقرير عن المؤتمر الرابع الدولى الشيوعى
(٤) خطط الحزب فى عام ١٩٢٣ وبرنامج للفلاحين
(٥) المصادقة مرة اخرى على شروط الدولية الثالثة (الواحد والعشرين شرطا)
(٦) ابدال اسم الحزب باسم الحزب الشيوعي المصرى
(٧) مراجعة القانون
(٨) اسقاط مجلس الادارة وانتخاب غيره اذا رأت الجمعية العمومية ذلك
(٩) اعمال مختلفه

وسيفتتح المؤتمر جلسته الاولى في منتصف الساعة الخامسة بعد ظهر ٦ يناير سنة ١٩٢٣ ويوزع على الاعضاء قبل افتتاح الجلسة التعليمات التى وضعتها اللجنة المنتخبة لعمل الترتيبات وتحديد زمن كل خطيب

وقرارات هذا المؤتمر صحيحة ونافذة مهما كان عدد الحضور — ولا يقبل التوكيل عن الاعضاء ولا الشعب الا اذا وصل الحزب من الموكلين كتاب قبل انعقاد المؤتمر بيومين على الاقل تكون منه صورة بيد الوكيل وفى هذه الحالة يعطى الوكيل صوتا عن نفسه واصواتا بعدد موكليه

«السكرتاريه»

الرجا عند الدخول تقديم تذكرة العضوية نمرة ١٠٧

وكان الاتحاد يضم الكثير من العمال اليهود والأجانب اليونانيين والروس الشيوعيين • واستمر حال الحزب بين جذب وشد مع الحكومة حتى أوائل عام ١٩٢٤ ، اذ قبض على كثيرين من قادة الحزب كما قبض على بعض اليهود الروس من أعضائه ومنهم جولدنبرج سكرتير الحزب في القاهرة واتحاد النقابات العام • وقبض على محمود حسنى العرابى وصدر قرار بنفي جوزيف روزنتال ، الا أنه تمكن من البقاء لجنسيته المصرية ، وتوفى أنطون مارون في السجن عام ١٩٢٥ ، وحكم على بعض المقبوض عليهم بالسجن مدد تتراوح بين ستة أشهر وثلاث سنوات •

وضعفت الحركة الشيوعية بهذه المطاردة ، ثم تألفت لجنة مركزية جديدة للحزب في نفس يوم الحكم في القضية المذكورة ، بفضل السوفييتى افيجدور بصفته مندوبا عن الكومنترن ، وكان قد عاد لمصر باسم مستعار فى عام ١٩٢٤ وحضر معه مندوب من الحزب الشيوعى الانجليزى ويدعى طومسون للاشتراك في اعادة تنظيم الحزب الشيوعى المصرى • وتكونت اللجنة المركزية من عدد قليل من المصريين والباقى من اليهود واليونانيين الا أنه قبض عليهم جميعا فى ٣٠ مايو ١٩٢٥ •

والشيء بالشيء يذكر ، فقد حضرت لمصر شارلوت روزنتال ابنة جوزيف روزنتال عائدة من موسكو عام ١٩٢٥ واشتركت فى تكوين لجنة الحزب الجديد وكان لها شأن بعد ذلك فى الحركة الشيوعية الدولية فى أوربا وانتهى بها المطاف فى ملجأ للعجزة بموسكو بعد أن خدمت الشيوعية عالميا • وفى نهاية الخمسينات عطف عليها الرئيس الراحل جمال عبد الناصر أثناء زيارته لموسكو وصرح لها بناءا على طلبها ، بالحضور الى الاسكندرية لرؤية والدها • وحاولت المماطلة والاستمرار فى اقامتها ، الا أن السلطات لم تسمح لها فعادت من حيث أتت •

وقد ثبت أن شارلوت روزنتال كانت تنفق على المتهمين وعائلاتهم فى قضية الشيوعية يوليو ١٩٢٥ التى ضبطت فيها مع آخرين من اليهود والمصريين والتى أبعد على أثرها اثنين وعشرين يهوديا روسيا عرفوا بنشاطهم الشيوعى عن البلاد •

وظهرت من الوثائق المضبوطة فى القضية السابقة أن مركز الحركة الشيوعية انتقل من مصر الى فلسطين ، وأن الاخيرة أصبحت حلقة اتصال بين الاحزاب الشيوعية فى الشرق الأوسط وموسكو ، وكان يأتى بتعليمات المركز الى مصر مندوب متنكر يتسمى باسم ملك ولم تعرف شخصيته الحقيقية .

ألست معى يا أخى القارىء ، فى أن الصهيونية ـ وكانت قد تبلورت حين ذاك ـ قد تلاقت مع الحركة الشيوعية وصارت معها منذ البداية فى طريق واحد امتد طويلا طويلا .

وكما قلنا لم تنشأ الشيوعية فى مصر من عدم ، وانما تسللت اليها بتوجيه من موسكو وعن طريق عملائها من الروس واليهود بالذات . بل أن قيام الحزب الاشتراكى المصرى الأول مهد لهذا التسلل من قبل الثورة الشيوعية الروسية نفسها ، عندما كان الشيوعيون الروس يعدون لثورتهم ، فأرسلوا المندوبين والعملاء لتحويل هذا النشاط الى حركة شيوعية . **كما ثبت من التحقيق والاوراق المضبوطة لدى المتهمين فى القضية سالفة الذكر أن الأموال كانت ترد من الخارج للانفاق على المتهمين وعائلاتهم .**

ومن الطريف أن نذكر ، أنه فى تلك الفترة **وفدت بعثة بلشفية الى جدة بالمملكة العربية السعودية** ، وكتبت بعض الصحف عن خطورة هذه البعثة لقربها من السودان وشعوب أفريقيا والجزيرة العربية ، وكانت شعوب على الفطرة ، وفشلت البعثة ولم تبق طويلا اذ أجبرتها السلطات السعودية على الرحيل . وها نحن نرى عام ١٩٧٧ بعد أكثر من خمسين عاما أن التاريخ الشيوعى يكرر نفسه وكأنه يتربص هذه السنين الطوال بالمنطقة ، وينتهز الفرص كيفما تجىء ، فهو لا ييأس أبدا .

كان سكرتير الحزب الشيوعى الفلسطينى يدعى « أبريام » وهو روسى سوفيتى ، وكان من رأيه أن الطبقة العاملة العربية غير قادرة على تولى القيادة وبالتالى يجب أن تكون القيادة فى يد الاجانب . ومما يذكر أنه أصدر كتابا فى ذلك الحين عن المشكلة اليهودية فى فلسطين من وجهة النظر الصهيونية واثبت أنه أشد ولاء للصهيونية من ولائه للشيوعية .

وكان كتاب أبريام سببا فى أن يعلن الكومنترن ضرورة تعريب الحركة الشيوعية فى بلاد الشرق الأوسط ، وتم طرد بعض اليهود من الحزب الشيوعى لفلسطينى والتحق به بعض العرب ٠

فهل تم تعريب الحركة الشيوعية فعلا ؟ أبدا ، فقد استمر اليهود متربصين بالحركة الشيوعية فى البلاد العربية حتى سيطروا عليها وتولوا توجيهها وادارتها كما سنرى فيما بعد ٠

وفى عام ١٩٣١ وصلت الحركة الشيوعية الى أدنى درجات النشاط وأبلغ بعض الشيوعيين الكومنترن ، أن عددا من أعضاء الحزب متصلين بالبوليس فقرر الكومنترن وقف العمل مع الشيوعيين المصريين القدامى جميعا ، وحاول بعضهم السفر الى موسكو ولكن السلطات الروسية لم تسمح لهم بالدخول ٠ وفى هذا الوقت كان فى موسكو أحد أعضاء الحزب ويدعى على حسين حسنين السروجى ، ويقيم بها حتى عام ١٩٣٢ وقرر الكومنترن ارساله الى مصر ومعه بعض السنوريين ليبدء النشاط من جديد ، الا أن ستالين بدا أنه فقد الأمل مؤقتا فى نتيجة التكتيك الشيوعى فى البلاد المستعمرة كالصين ومصر والشام وفلسطين ، كما أنه انشغل فى دحر المقاومة التى قامت ضد النظام فى روسيا فاندفع الى مقاومتها بشدة والى التركيز فى التصنيع الحربى وزيادة القوة العسكرية للاتحاد السوفيتى أكثر من التركيز على قيام الثورات الذى بدأه لينين فى البلاد الأخرى ٠

وأستميح القارىء عذرا فى الاختصار الشديد للاحداث ، التى لجأت اليه مكتفيا بذكر أهم الوقائع التى تحدد كيفية التسلل الشيوعى وتبين بوضوح أنه حدث بخطة متكاملة نفذت بالتدريج ، وأن المنفذين لها كانوا مندوبين موفدين من موسكو لتنفيذها ، الا أنها فشلت فى النهاية لأسباب متعددة تفصيلها كما يلى :

● تبعية الشيوعيين لدولة أجنبية ـ علانية ـ مهما قيل عن وصف العقيدة بالأممية ، خاصة وأن الشروط التى وضعتها الشيوعية الدولية وقبلها الحزب الشيوعى المصرى ، تتضمن صراحة الولاء التام لدولة أجنبية والتضحية بمصالح الوطن فى سبيلها ٠

● الدور الذى قام به الأجانب « عملاء الشيوعية الدولية واليهود الروس ، نفر الشباب المصريين المتعطشين للثقافة الاجنبية من هذا النشاط ٠

● ما ثبت من التحقيقات أن أموالا أجنبية تنفق على الحركة الشيوعية فى مصر ٠

● ابتعد كثير من المثقفين الذين رأوا أول الأمر أن الحركة الشيوعية عون لهم فى مناهضة الاستعمار ، وكان هدفا عزيزا لديهم يتعاونون فيه مع الشيطان ظانين أن هذا الشيطان الاحمر سيصل بهم فى النهاية الى طرد الاستعمار من البلاد ، ولكنهم تبينوا أنه استعمار من نوع جديد أو بوسيلة جديدة ٠

● اعتمدت الحركة الشيوعية على العمال اعتقادا بأنها هى الطبقة الوحيدة صاحبة المصلحة من الثورة الماركسية ، الا أنه كان اعتقادا مشوبا بعدم الثقة ٠

● شعبية حزب الوفد برئاسة سعد زغلول فى جميع الاوساط خاصة بين العمال والفلاحين ، قد سحبت الأرض تحت أقدام الشيوعيين ٠

● قوة الدين الاسلامى وتدين المسيحيين ، فلم تجرؤ الحركة الشيوعية على الامتداد فى الريف المصرى وتوقفت عند حدها فى المدن الكبرى ٠

● الضربات المتوالية التى تلقاها الشيوعيون من السلطات وفقد الثقة فى بعض الاعضاء لتعاونهم مع البوليس ٠

الفصل الثالث

التسلل الشيوعي بوسائل أخرى

أن نظرية الحركة الثورية في المستعمرات أو شبه المستعمرات التي أعدها أتوكوزين (Ottokusin) أحد فلاسفة السوفييت للمؤتمر السادس للكومنترن عام ١٩٢٨ ، كانت متفقة مع المبادىء اللينينية الستالينية . ومع ذلك ففي عام ١٩٣٥ طبقت نظاظرية لينين في التفرقة بين الحركات الوطنية الاصلاحية ، وذلك بسياسة جد ماكرة ، تخلص الى تكوين جبهة متحدة ضد الفاشية ــ وسيأتي فيما بعد ذكر الجبهة المتحدة في مناسبات متعددة ــ وقد جاء توضيح هذه السياسة في المؤتمر السابع للكومنترن المنعقد عام ١٩٣٥ حيث أوصى بالتعاون مع الحركات الثورية والحركات الاصلاحية في المستعمرات .

وفي خلال هذه الفترة كانت السياسة السوفيتية والدعاية في البلاد المستعمرة مستترة تماما، ولم تبدأ في السفور الا في نهاية الحرب العالمية الثانية، ويبدو ذلك من التقرير الذي قدمه « زدانوف Zdanov » في اجتماع الكومنفورم في سبتمبر عام ١٩٤٧ والذي قال فيه « أن المكافحين الوطنيين ضد الاستعمار ، والأحزاب الشيوعية والقوى الديمقراطية التقدمية في جميع البلاد ، لن يمكنوا الطبقات الحاكمة فيها من أن تحكم هذه المستعمرات طبقا للنظم القديمة » .

وقد لوحظ دائما ، أن الوسائل المستمرة حتى الآن لمساعدة الشيوعيين والهيئات المماثلة لهم ، كانت تنحصر في ثلاث كلمات « الدعاية . التسلل . والتخريب » وبمعنى هذا كما كان يحدث دائما استغلال الهياج الوطني أينما حدث وكيفما كانت الأسباب لصالح الشيوعية ، والابتعاد عن الدعاية السافرة بين الجماهير لكسب عطف وتعاون البسطاء . وكل هذا سيأتي تفسيرا وتفصيلا في الأحداث القادمة .

جمعية أنصار السلام

لنبدأ هنا بعام ١٩٣٠ عندما خطب وزير الحربية السوفيتى ماليلتكوف فى الشبيبة الشوعية بموسكو قائلا ما معناه ، أن حركة ضخمة للسلام ستقوم فى العالم تجعل أعداء الثورة الشيوعية يغفلون نائمين فاذا استيقظوا فجأة . كانوا أول من يتلق الضربة القاضية بأيديهم فلا تقوم لهم قائمة بعد ذلك •

وبدأ تنفيذ هذه السياسة فعلا فى عام ١٩٣٦ ، والاستعمار الايطالى يغزو الحبشــة ، وعصبة الأمم تلفظ أنفاســها الأخيرة ، والمذاهب النــازية والفاشية تستفحل وشبح الحرب يقترب • فقام بعض الأجانب واليهود بتأليف جماعةعرفت بنادى السلم وانضم اليهم بعض المثقفين المصريين غير عالمين بنواياهم مثل الدكتور عبد الرازق السنهورى والدكتور زهير جرانة وكثير من أقرانهم الشبان ، وكان الغرض من هؤلاء المثقفين المصريين ؛ تغطية حقيقة تكوين هذه الجماعة •

أما هؤلاء المثقفين فقد كان هدفهم العمل من أجل السلام دون معرفة بمــا يجرى خلف ظهورهم ، ولذلك كانوا أول المنفصلين عنها •

ثم ترى الشــيوعية والصهيونية والمخــابرات البريطانية ــ كل بمخططه وأهدافه ــ ان الفرصة سانحة فتتكون جمعية أنصار السلم وينضم اليها عدد من الأجانب وعدد من الشبان اليهود ، ويلعب الشيوعيون دورا غامضا فى الدعاية ، ويفيد الشبان اليهود من الظروف طبقا للتوجيه الصهيونى ، وأما القلة من المصريين الذين انضموا للجمعية ، فكان جلهم من المختلطين مع الأجانب والذين تعلموا فى مدارس أجنبية ، وانضم اليها من الشبان اليهود راؤول كورييل وشقيقه الأصغر هنرى كورييل وهما مؤسسا أول حلقة شيوعية من اليهود فى مصر ، ومارسيل

اسرائيل وريمون دويك وهليل شوارتز وسلامون سدنى وغيرهم كثير ، وسيأتى ذكرهم كمؤسسين للمنظمات الشيوعية ، والسيدة سيزا نبراوى وكانت من المصريين المتفرنسين ، ويقف خلف هؤلاء صهيونى آخر ولو أنه ليس يهوديا وهو جاكو دى كومب ٠

وتبدأ الحرب العالمية الثانية ويدخلها الاتحاد السوفييتى الى جانب الحلفاء ، ويأمر البريطانيون بعدم مهاجمة الاتحاد السوفييتى ، ويجد الشيوعيون أمامهم الفرصة الذهبية للدعاية الشيوعية ٠

وبدأت الدعاية ضد المانيا النازية وايطاليا الفاشية لأنهما تحاربان اليهود ، وضد بريطانيا لأنها أعطت وعدا للوطن القومي لليهود ولم تنفذه بعد ، ومع الحلفاء ومنهم الاتحاد السوفييتى ٠

وتصدر تعليمات بريطانيا الى راؤول كورييل بالسفر الى الكونغو كعضو فى المخابرات البريطانية ، على أن يسلم ادارة الحلقة التى أسسها من الشبان اليهود الى شقيقه هنرى كورييل ٠

ثم انقسمت الحلقة السابقة الى حلقتين : الأولى بزعامة هنرى كورييل والثانية بزعامة الصهيونى جاكو دى كومب ٠

واذا دققنا النظر فى كيفية محاولة جذب المثقفين المصريين للانضمام الى الحركة الشيوعية منذ عام ١٩٢١ ، نجد أن الخطة التى اتبعت بعد قيام الحرب العالمية الثانية لا تختلف عن سابقتها منذ نحو عشرين سنة مهما تعددت المسميات واختلفت الظروف ٠

والمثقفون هنا ، كما فى أية مرحلة ، يتطلعون الى معرفة الجديد من دروب الثقافة وينهلون من المطبوعات التى غزت الأسواق فى تلك الفترة ، مطبوعة باللغة العربية فى بيروت وموسكو وكلها ماركسية الاتجاه والمحتوى ٠ وفى نفس الوقت ينظر الشباب الى الاتحاد السوفييتى نظرة جديدة متعاطفة ٠

لم يتوان الشيوعيون من اليهود والصهاينة والمصريين الذين ينقادون اليهم فى اغتنام الفرصة ، وتمكنوا من تكوين جماعات علنية تعمل وسط الجماهير وتصدر المجلات وتنشر المقالات بالصحف ، وكان لديها المجال واسعا للتحرك ، نظرا لظروف مصر آنذاك من الاستعمار والاقطاع وفساد الحكم والأحزاب ٠

كانت الأرض خصبة لاغراء بعض العناصر المصرية بالانضمام الى الشيوعيين، وبذلك بدأت نشأة المنظمات الشيوعية السرية فى مصر على يد الصهاينة ٠

أخى القارىء ، لم أستمد ما سبق وما سيأتى من المجلات والصحف أو من الكتب التى حررها بعض الشيوعيين أو بعض الأفاضل بناء على أقوال زعماء الشيوعيين ، انما سألجأ الى وقائع من القضايا التى قدمت للمحاكم وصدرت فيها أحكام بالسجن والأشغال الشاقة ، والى ما كتبه الشيوعيون أنفسهم بخط يدهم لتدارسها فيما بينهم أو مما ضبط فى نشراتهم السرية ٠

مسرحية الريحاني الشهيرة

ويرجع الفضل فى هذه التسمية للاخ الأديب لمعى المطيعى ، فعندما بدأ التسلل الشيوعى الى مصر ، اتحد ثلاثة على طريقة « حسن ومرقص وكوهين » وهم جوزيف روزنتال وأنطون مارون ومحمود حسنى العرابى كان الأخير آلة يسيرها الاول والثانى ويدفعانها الى موضع الصدارة ، ويصبح البطل الساذج عميلا للكومنترن ، والثانى محام متفرغ ويعمل في المحاماة ويخلع على نفسه صفة سكرتير الحزب ويشرف على أعماله التخريبية فى الحركة الوطنية والعمالية ، وعلى الرغم من أنه كان عربيا لبنانيا ، الا أن تكوينه المتأثر بمختلف الافكار الاجنبية الدخيلة على العربية وأصالتها سهل عليه العمالة ، أما ثالثهم فكان اليهودى الباكى على مصالح الطبقة العاملة فى مصر والذى كان أول من وضع البذور فى الارض الممتدة أمامه منتديا ن دولة أجنبية .

وقد انتهى المطاف بمحمود حسنى العرابى بعد يأسه الى ألمانيا النازية حيث عمل مدرسا للغـــة العربية ، وهذا قبل أن يعـود الى مصر ويعمل مترجما فى جريدة المساء .

وأما اليهودى روزنتال ، الشـيوعى الدولى ، فقـد احتمى بدار الحماية البريطانية التى أصبحت دارا للمندوب السامى البريطانى ، ثم غادر الاسكندرية الى لندن وواصلت ابنته شارلوت النشاط الشيوعى فى الاسكندرية والقاهرة حتى غادرت البلاد .

هل يمكن لأفراد هذه صفاتهم ، أن يقوموا بهذا النشاط نتيجة اقتناع وايمان بفلسفة معينة تدعو الى الخير وانصاف الفقراء من ظلم الأغنياء ، وانقاذ الشعوب الضعيفة من براثن الطبقات الرأسمالية ؟

هكذا بدأت المنظمات الشيوعية تتخذ طريقها الى التنظيم الدقيق بالنسبة للدعاية العلنية أو ما يطلق عليه اصطلاحا « التكتلات الديمقراطية » وتهدف الى السيطرة على جميع أوجه النشاط البشرى سواء كان اقتصاديا أو سياسيا ٠

وتتخذ هذه التكتلات فى البلاد غير الشيوعية ستارا لتغطية نشاط الحزب السرى ، فيختفى وراءها وينضم كثير من الناس الى هذه الجبهات العلنية ، ومنهم عدد كبير ينفرون من الشيوعية ، ولكنهم ينضمون عن طيب خاطر الهيئات تناضل فى سبيل السلام أو الحصول على شروط أفضل للعمل أو الحصول على حقوق للمرأة ٠٠ الى آخره ٠

والطريق الى تكوين هذه الجبهات يتم بأحد الأسلوبين الآتيين :

- تتكون الجبهة من الشيوعيين غير المعروفين عند تأسيسها ثم تضم اليها أعضاء آخرين ٠

- يتسلل الشيوعيون الى هيئة غير شيوعية يستغلونها ، أو جماعة تخضع لسيطرة الشيوعيين تنضم لجماعات أخرى غير شيوعية فى اتحاد أو جبهة متحدة ٠

وقد حدث ذلك على نطاق عالمى فى اتحادات مختلفة ، على سبيل المثال الاتحاد العام لنقابات العمال العالمى بعد عام ١٩٤٥ ٠

وفى مصر استغل الشيوعيون هذه الأشكال الجماهيرية فى تجنيد الاعضاء للحزب الشيوعي السري ، وقد بلغ عدد هذه التكتلات الديمقراطية أو الجماهيرية فى الفترة من عام ١٩٣٩ الى عام ١٩٤٧ حوالى ثلاثين شكلا ٠ وكان أولها جمعية الخبز والحرية عام ١٩٣٩ ، التى تكونت من بعض اليهود وبعض المصريين ٠ واتحاد الشباب الديمقراطى من اليهود خاصة ١٩٤٣ ، ثم جماعة الفجر الجديد التى استغلت مجلة بهذا الاسم وكتب فيها شباب من اليهود والمصريين ٠ ونضيف الى هذه الأشكال :

دار الأبحاث العلمية ٠

جمعية الدراسات الاجتماعية ٠

دار النشر للقرن العشرين ٠

لجان مكافحة الكوليرا ٠

لجان محو الأمية ٠

لجان السـلام ٠

لجنة نشر الثقافة الحديثة ٠

جمعية الفورم (Forum) ٠

وأسس اليهود هذه الجماعات ، واختاروا بعض المثقفين المصريين من الشباب ليكونوا واجهة لهذه التنظيمات ٠

وتنفرد الجمعيـة الأخيرة Forum بأنها كانت يهـودية صهيونية صرفة ، اعضاؤها من اليهود الشبان ، ويرأسها صهيوني يدعى البير هاويل ، تمكن من تجنيد الكثيرين من أبناء وبنات العائلات اليهودية لضمهم الى الصف الصهيوني وتدريبهم على الشـيوعية فى نفس الوقت ٠ وقد ضبطوا عـام ١٩٤٦ وأبعد البير هاويل عن البلاد وأخلى سبيل باقى أعضاء المنظمة ٠

ونتناول المهم من هذه الأشكال الجماهيرية ، ذات الأثر الواضح فى الحركة الشيوعية ، ولا أدرى ما السبب فى أن يخجل بعض من أرخ للحركة الشيوعية ـ خاصة من الشيوعيين والأدباء الذين استمدوا معلوماتهم من الشيوعيين ـ يخجلون من ذكر تفصيلات هذه الفترة ، بل أنهم يسمون اليهود بلفظ الأجانب ولعلهم لا يودون أن تسطع اليد اليهودية التى لعبت الدور الرئيسى فى تأسيس الحركة الشيوعية ٠

ومصر التى كانت خاضعة للاحتلال البريطانى فى ذلك الوقت ، قد أجبرت فى أوائل الأربعينيات على انشاء علاقة دبلوماسية مع الاتحاد السوفييتى بدرجة مفوضية ثم أصبحت سفارة بعد ذلك ٠

ولنسأل الشيوعيين من المصريين الذين عاصروا تلك الفترة ، هل يذكرون سلطانوف الوزير بالمفوضية السوفييتية ، الذى كان يجند بنفسه للحركة الشيوعية فى مصر عشرات من اليهود الشبان والشابات ، بل وبعض الشباب المصرى والسودانى ، وقد اتبع سلطانوف وسيلتين أو احداهما فى تجنيد الشباب اليهودى ، أصبحتا قاعدة بعد ذلك ، وهما :

- المال ، وهو أقوى الوسائل لغلبة الضعف البشرى ٠

- الاقناع ، بأن هذه الحركة سيفيد منها اليهود لتحقيق حلمهم الدائم في انشاء الدولة الاسرائيلية ٠ وقد أضاف اليهود المجندين بمعرفة سلطانوف ، الاغراء بالجنس وكم قرأنا اتهامات المنظمات لغيرها بالانحلال الجنسى وقد ظهر ذلك فى منشوراتهم ٠

ومارس تكتل الفجر الجديد بداية النشاط ومنأعضائه يوسف موسى درويش وريمون ابراهيم دويك وايزاك سعد وهم من اليهود ، ومحمود العسكرى ، وأبو سيف وغيرهم من المصريين . واستغلوا مجلة الفجر الجديد باسم أحد الشبان المصريين ٠

وكان يتزعم هذا التكتل جاكو دى كومب ، الا أنه في سبتمبر ١٩٤٦ عقب ضبط كثيرين من الشيوعيين أثناء حكومة اسماعيل صدقى أسس المذكورون منظمة شيوعية سرية تدعى « **منظمة طليعة العمال** » كتنظيم له برنامج ولائحة ومستويات هرمية الشكل ٠

وأغلقت حكومة اسماعيل صدقى ، اثر هذه الحملة ، كل التكتلات السابقة ، ومكتباتها ودورها وضبطت تلال من المطبوعات الماركسية الشيوعية ٠ وما يصيب الانسان بالعجب ما سمى وقتئذ بلجان الكوليرا التى تكونت فى عام ١٩٤٧ أثناء وباء الكوليرا فى أحياء بولاق وشبرا وبولاق الدكرور لتوعية الناس صحيا والاحتكاك بالجماهير واطلاق الدعاية ضد الحكومة القائمة وقتئذ وتجنيد الأعضاء للمنظمة من خلال ذلك ٠

الباب الثاني

الفصل الأول:

التنظيمات الشيوعية السرية

الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني

حدتو وأوجه نشاطها

الحركة الديمقراطية وثورة يوليو ١٩٥٢

الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ومنظمة حدتو

نشاط منظمة حدتو بعد الثورة

الحركة الديمقراطية وأزمة مارس والتوجيه من الخارج

القضية رقم ١٤ عسكرية عليا عام ١٩٥٥ عابدين

الفصل الثاني:

وحدة المنظمات عامي ١٩٥٥ / ١٩٥٦

الحزب الشيوعي المصري الموحد

أسلوب الدعاية للحزب الشيوعي الموحد

الحزب الشيوعي المصري المتحد

الدعاية الشيوعية خلال عامي ١٩٥٧ / ١٩٥٨

الفصل الثالث:

الأرستقراطية والحزب الشيوعي المصري

المنظمة وثورة يوليو عام ١٩٥٢م

القضية رقم ١٥٠ جنايات عسكرية عليا عام ١٩٥٦م

السبب الوحيد لهذه السياسة

إعلان وحدة الشيوعيين وقيام الحزب الشيوعي المصري

الفصل الأول

التنظيمات الشيوعية السرية

كان من آثار التكتلات الجماهيرية السابقة تمكن الشيوعيين من تجنيد العناصر الصالحة للتنظيمات الشيوعية ، ونشر الثقافة الماركسية ووجهة نظرها فى مختلف شئون الحياة العامة والحياة السياسية ٠

ولا ننسى أن الحالة العامة فى مصر ، كانت مجالا رحبا للشيوعيين والمتمركسين من اليهود والمصريين ، ليجولوا فيه كيفما شاءوا مستغلين المد الثورى للشعب المكافح للاستعمار ، المطحون اقتصاديا ، وما تبعه من فساد الحكم ورغبة الشباب المثقف فى التغيير ، وسهولة تعلقه بأية ثقافة جديدة يظن أنها قد تكون له عونا فى تحقيق آماله وأمانيه ٠

وفى معترك الحياة السياسية حينئذ ، والشباب فى ثورة مستمرة يطالب بالاستقلال والحرية ، بدأت أصابع الصهيونية والشيوعية الدولية تتلمس موضعها فى المياه العكرة كشأنها دائما ٠

وقد تكلمنا سابقا عن أهم حلقتين ماركسيتين ظهرتا فى بداية الأربعينيات ، وهما الحلقة التى يتزعمها هنرى كورييل وسماها عام ١٩٤٢ « الحركة المصرية للتحرر الوطنى » ويرمز اليها « حمتو » ٠

وأما الحلقة الثانية ، فقد أسسها اليهودى هليل شفارتز فى نفس الفترة وسماها « اسكرا » وهو لفظ روسى معناه الشرارة ٠

وكان أعضاء الحركتين فى بدء تكوينهما من عدد قليل من اليهود والأجانب وأقل منهم عددا من المصريين ٠ وأعلن هنرى كورييل رأيه بوجوب تمصير التنظيم وضم بعض العمال المصريين اليه ٠ وبالطبع سجد له المصريون الشيوعيون شكرا على كرمه وأريحيته ، مع أنه لم يتم تمصير التنظيم الا بعد عشر سنوات عندما استنفد اليهـود أغراضهم ، وأجبروا على الرحيل من مصر وبقيت علاقتهم بل وادارتهم للمنظمات أثناء وجودهم بالخارج كما سيأتى ٠

وكان للتقسيم المشار اليه معناه ، فحلقـة هنرى كورييل تسعى الى ضم العمال اليها ، وأما حلقة هليل شفارتز فكانت تسعى الى ضم المثقفين من الطلبة والموظفين والأدباء والكتاب وغيرهم ٠ وأما الهدف فواحد ٠ والمؤسسين من عنصر واحد والمسرحية مؤلفها واحد ٠ ولكن الممثلين مختلفين ، يقومون بالأدوار المرسومة لهم مغمضى الأعين لا حول لهم فى التفكير ، ولا قدرة لهم على التدبير ٠

ومن المنظمات الأخرى التى تكونت فى عام ١٩٤٣ ، اتحاد الشباب الديمقراطى ولم يبق طويلا اذ انضم أفراده ومعظمهم من اليهود الى المنظمات السرية التى تكونت بعد ذلك ٠

وخلال هذه الفترة أيضا ، حاول بعض اليهود ومعهم قلة من المصريين تكوين منظمات صغيرة لم يكن لها شأن مثل : منظمة تحرير الشعب ، وعصبة الشيوعيين المصريين التى تكوت فى أواخر عام ١٩٤٥ وكانت ذات عقلية يسارية صخرية ، أوضحتها احدى نشراتها فى مقال عن ضرورة دخول الجيش الأحمر الى مصر لتحرير البلاد من الاستعمار ولم تعش هذه المنظمة طويلا ٠ ولكن المنظمات ـ حتى عام ١٩٤٧ ـ تبلورت كلها فى الأشكال الآتية :

- **جبهة التحرير التقدمية ٠**
- **جبهة الأحرار الديمقراطية ٠**

- طليعة العمال ٠
- المنظمة الشيوعية المصرية ٠
- نواة الحزب الشيوعى المصرى ٠
- النجم الأحمر ٠
- نحو حزب شيوعى مصرى ٠
- اسكرا ٠
- الحركة المصرية للتحرر الوطنى ٠

وكانت مهمة هذه التنظيمات جميعها ، تجنيد أكبر عدد من العناصر المصرية لتؤمن بالافكار الشيوعية وتنشرها بين الناس ، مع العناصر اليهودية الصهيونية التى تمثل دورها متخفية وراء النظريات الشيوعية ٠

والمعروف أن العناصر اليهودية ، بحكم أوضاعها الخاصة فى المجتمع ونظرتها الى المستقبل القريب فى تكوين اسرائيل ، يستحيل عليها أن تؤدى هذه المهام سافرة الوجه ٠

ويستبين من تاريخ هذه المنظمات أنه كان لدى اليهود غرض آخر خفى على الشباب المصرى الذين وقعوا فى حبائلهم ، وهو تفتيت جهود المصريين التى يمكن أن تجتمع لخدمة الوطن ٠ واضاعة هذه الجهود فى معارك مفتعلة ، والانحراف عن الطريق السوى للنضال الوطنى ، وذلك بافتعال معارك وهمية وخلافات نظرية تدار بمهارة ٠

وفوق ذلك فقد أرادت الصهيونية خدمة الشيوعية الدولية ، حتى تقف بجوارها فى المحافل الدولية تساعدها على تحقيق أحلامها ٠

وفى التحقيقات التى أجرتها النيابة وضبطت فيها نشرات متعددة صدرت عن منظمات اسكرا والحركة المصرية والفجر الجديد تبين أنها تمتلىء باتهامات متبادلة بين هذه التنظيمات عن العمل لحساب الصهيونية والانحلال الجنسى والانحراف عن الماركسية ٠ وكانت هذه الاتهامات تتكرر دائما حتى نهاية الخمسينيات ، كلما ارتفعت الصيحات مطالبة بوحدة المنظمات الشيوعية ٠٠ ومع ذلك فقد اتحدت رغم سوءاتها ٠

والحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى

اتحد الصهيونى هنرى كوربيل ، صاحب منظمة الحركة المصرية للتحرر الوطنى مع زميله هليل شقارتز صاحب اسكرا ، وأسسا منظمة واحدة سمياها « الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى » واختصارها « حدتو » ٠

ونظرا لأهمية هذه المنظمة بسبب ازدياد نشاطها فى فترات مختلفة وكثرة أفرادها من اليهود والمصريين والسودانيين ، وتسللها الى النشاطات الوطنية المتعددة بين الطلبة والعمال والمثقفين الذين كانوا يحفرون الأرض بأظافرهم لطرد الاستعمار واجبار الحكومة القائمة والسراى على تحقيق آمال الشعب ٠

وتأسيسا على ما وعدت به ، من أن تكوين مصادرى محققة ثابتة ، فقد رأيت أن أوضح نشاط هذه المنظمة السرى بالدرجة الأولى وكيف كان الشبان الوطنيين يقعون فى حبائلها ٠

ولم أجد لذلك خيرا من زفرة حارة ، بل وهى صرخة مدوية أطلقها السيد / سعد محمد حسن مهدى اذ كتب يقول :

« لم انضم الى هذه المبادىء ومنظماتها الا بغرض وطنى برىء ليس من الأغراض الشخصية الأنانية ، أو الأهداف الوصولية التى تميز بها غالبية العناصر المنتمية الى المنظمات الشيوعية ٠

كنت أعتقد عن حسن نية ، أن هذا فى سبيل تحرير وطنى من الاستعمار ووضع حد لبؤس الشعب وفقره ، وأساس هذا تربيتى الدينية التى كان لها عظيم الأثر فى نشأتى الاجتماعية وعطفى على الفقراء والبائسين ٠

ولعدم وجود القيادة السياسية الصالحة المخلصة لقضية الوطن والشعب ، انحرفت عن طريق الصواب لوقت ليس بالقصير ٠

لقد شاهدت نماذج من العناصر التى لا تعمل بوحى من ضميرها الوطنى ، بل بوحى من مصالح معادية لقوميتنا ومصالح شعبنا، عناصر صهيونية واستعمارية تتخذ من التنظيمات الشيوعية وسيلة لتخريب أهدافنا القومية واستغلت حماس واندفاع الشباب الوطنى المخلص ، وكانت تلقى اليأس وفقدان الثقة فى مستقبل نضال الشعب ٠ لولا أن أراد الله أن يهدينا الى طريق الحق والحب ، وأن يمحو من نفسى البغضاء والكراهية ، وأن يجنبنى الانحراف ٠

ومنذ عام ١٩٣٥ وحتى عام ١٩٤٦ كنت أرى فى حزب الوفد الحزب المناضل من أجل الاستقلال والدستور ، وكانت قد وردت أفكار جديدة جذابة مع نهاية الحرب العالمية الثانية ظهرت فى المجلات اللبنانية والعراقية مثل مجلات الطريق والمجلة ، وكذلك فى بعض المجلات المصرية مثل مجلة اتحاد الجامعة والفجر الجديد ، وأم درمان[1] ٠ وظهرت أيضا كتيبات صادرة من دار الثقافة الحديثة ودار الأبحاث العلمية ٠

ومن هنا نشأت معرفتى بهذه الدور وسمعت فيها محاضرات ضد الاستعمار والأحلاف ومحاضرات عن سياسة الاتحاد السوفييتى ازاء القضايا الوطنية وغيرها عن الفلسفة الاشتراكية ٠

وعرفت أشخاصا من المحاضرين مثل شهدى عطيه الشافعى ، واخرين ٠ وتعرفت على عدد من المستمعين والمعلقين مثل سيد سليمان الرفاعى وهنرى كورييل ٠

وقد أدت معرفتى بالأخرين ، الى التعرف على المنظمات الشيوعية السرية ٠ كانت أول منظمة تعرفت عليها هى الحركة المصرية للتحرر الوطنى ونظمت عضوا فيها فترة من الزمن ٠ وكنتيجة لثقافتى وامتصاصى بسرعة للأفكار الماركسية صعدت الى عضو لجنة مسئولين ثم الى عضو لجنة قسم ، وتعرفت على عدد من الأشخاص منهم عبده ذهب[2] وآخرين ٠

---

(١) مجلة مخصصة للشباب السودانى ٠

(٢) عبد اللطيف ذهب ، من كبار الشيوعيين السودانيين ٠

وعرفت أن هنرى كورييل اسمه التنظيمى « أبو حجاج » وقد غير اسمه بعد ذلك الى « يونس » وتعرفت على محمد شطا « حميدو » وعلى كمال عامل نسيج وشخص يهودى اسمه جو متالون واسمه التنظيمى « مولوتوف » وآخرين لا أذكر حاليا أسماءهم ٠

كما تعرفت على أشخاص من خارج التنظيم مثل محمود فتحى وفوزى جرجس.

كان معظم عملى فى هذه الفترة هو تدريس ما أدرسه من النظرية الماركسية، كما دربت على العمل فى جهاز طبع الرونيو ، الذى كانت تطبع فيه المطبوعات والمنشورات ، وعرفت أنه توجد منظمات أخرى غير منظمتنا مثل « اسكرا » وحركة تحرير الشعب ، وقيل لى فى ذلك الوقت أنها منظمات منحرفة ومليئة بالعناصر الخائنة ، أو فى أحسن الأحوال عناصر غير مكافحة ٠

وفجأة فى أوائل عام ١٩٤٧ ظهرت فكرة الوحدة مع هذه المنظمات من أجل تشكيل تنظيم شيوعى موحد ٠ وكانت هذه مفاجأة غريبة لى ٠ ما معنى الدعوة الى الاتحاد مع هذه المنظمات الخائنة المنحلة ؟ ما كنت أدرى أو أشك لحظة فى أن الانحراف والخيانة كانا رابضين أيضا فى المنظمة التى أنتسب اليها ٠ بل كنت متحمسا لها مدافعا عنها معاديا لفكرة الوحدة ٠

ولكنى وأمثالى ، ووجهنا بخطاب باللغة الفرنسية ، ترجم الى العربية وقيل لنا أنه مرسل من الحزب الشيوعى الفرنسى يؤيد الوحدة ٠ وفهمت بعد ذلك أن الخطاب مرسل من مجموعة من اليهود المقيمين بفرنسا وهم من أصدقاء الحركة المصرية للتحرر الوطنى ومنظمة اسكرا ، وعلى علاقة بالحزب الشيوعى الفرنسى ، تابعين لقسم المستعمرات فى الحزب ٠ عارضت فى الوحدة ، ولكن معارضتى كانت من الضعف بحيث لم تجد الا تأييدا ضعيفا أمام دعوى ، أن الاخلاص للأممية يقتضى تنفيذ الوحدة ٠

وتأسست بهذه الوحدة ، الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى ، ومنذ اللحظة الأولى عوملت بحذر لمعارضتى للوحدة وعزلت فى أحد الأقسام الخاملة النشاط ،

ووصل بهم الأمر أن دبروا لى مؤامرة لخلق ارتباك عائلى ، أساسه الجانب المادى ، فقد كنت موظفا مستقرا ماليا ، لست فى حاجة الى أية معونة بل أدفع التبرعات الى جانب اشتراكى الشهرى للمنظمة ٠

هنا قرروا احترافى ، وكنت لشدة حماستى فى ذلك الوقت ، أفضل التفرغ لأواجه الأعمال التخريبية فى التنظيم ٠ وبالفعل قدمت استقالتى من وظيفتى ، ورغم أن مرتبى كان ١٦ جنيها فقد قرروا أن أتقاضى ثمانية جنيهات ٠

وبعد خمسة أسابيع أبلغونى أنه قد تم اعادة النظر فى ميزانية المحترفين ومن الضرورى تخفيضها ، وأنه لا يمكن صرف أى مبلغ لى ٠ وعرفت الغرض من قرار احترافى وأنه لاذلالى واخضاعى لارادتهم ٠ ثم وفقت لعمل آخر وقطعت على المتآمرين خط الرجعة ٠

كانت الوحدة قائمة على أساس الصراع على مراكز القيادة فى التنظيم الموحد٠ وسرعان ما فشلت ٠

كان الخلاف حول تقرير سياسى قدمه هنرى كورييل ، فتفجرت الخلافات عن انقسامات متعددة منها « التيار الثورى » بقيادة شهدى عطيه الشافعى « سليمان » و « المنظمة العمالية » بقيادة أحد الذين أصبحوا من العلماء فيما بعد « عادل » و « نحو حزب شيوعى » بقيادة هليل شفارتز « شندى » و « المنظمة الشيوعية المصرية » بقيادة سلامون سدنى وزوجته وعدد آخر من المنظمات ٠

ولما وجد هنرى كورييل وشلته فى القيادة أمثال : سيد سليمان الرفاعى، ومبارك عبده فضل ، ومن يتسمى باسم تنظيمى « خليل » ، أنه فى حاجة الى العناصر التى كانت تربطهم بها علاقات قديمة فى المنظمة السابقة « الحركة المصرية » بدأوا فى الاتصال بى وتبرير ما وصلت اليه « حدتو » من تدهور وانقسام وتملصوا من مسئوليتهم ٠ وقال هنرى كورييل بأنه يعتبر مستقبل الحركة أمانة فى عنق عناصر الحركة المصرية ٠ وكون منى ومن مصطفى طيبة « شكرى » وآخرين مجموعة بهدف توثيق علاقته من جديد بعناصر القاعدة ٠

وكنت أظن الاخلاص فى هنرى كورييل لما كان عليه من براعة فى تغطية جرائمه وتبرير أخطائه ٠

وما أن قبض على كورييل ، حتى تحررت من تأثيره الفكرى وبدأت أشك فى اخلاصه ثم انتهيت بالحكم عليه بسوء النية ، بل وبالخيانة نتيجة علاقته بعناصر صهيونية ، مثل شخص قدمه لنا باسم « صلاح » وهو يهودى من عائلة « حزان » ٠ وهى عائلة علمت أن لها أصول فى فرنسا وفروع فى اسرائيل وقد قال لى صلاح هذا أثناء سرده لتاريخ حياته ، أنه كان صهيونيا ثم اعتنق الماركسية وأن المنظمات الصهيونية تدرس الماركسية لاعضائها أيضا حتى تستطيع استخدامهم كأدوات داخل الحزب الشيوعى ٠

وعلمت منه أيضا أن جو متالون الذى كان يسمى نفسه مولوتوف كان قديما يعمل لصالح المخابرات البريطانية ولكنه تركها واعتنق الماركسية ٠

هاتان الحادثتان تفجرتا فى ذهنى وأصبحت على هديهما أقيس أعمال هنرى كوزييل من جديد ، فاقتنعت بخيانته وطرأت فى ذهنى فكرة البعد عن كافة التنظيمات القائمة فى ذلك الوقت والتى كانت تتميز بوقوعها تحت سيطرة عناصر يهودية مشكوك فى اخلاصها لقضية الوطن ٠

نشأت نفس الفكرة عند عدد من العناصر منها مصطفى طيبه « شكرى » وصبرى جبر وموريس يوسف وعدد آخر لا أذكره ٠ وبدأنا نفكر فى العمل بعيدا عن كافة المنظمات واتفقنا على عدم تكوين أى تنظيم جديد ٠ ولكن علينا أن نعمل على نشر المراجع الماركسية حتى يستطيع المخلصون فى كافة التنظيمات أن يتبينوا طريقهم السليم فى مواجهة مؤامراتهم وتضليل القادة الصهاينة ٠

وكانت مع أحدنا مطبعة سرية ، فقد بدأنا فى طبع كتيبات مثل الجزء الاول والثانى من تاريخ الحزب الشيوعى البلشفى ، وكنا نصدرها ببطء لقلة المال ٠

فوجئت بانضمام المجموعة التى أنتسب اليها ، وكانت تدعى «تكتل المطبعة» الى منظمتى « نحو حزب شيوعى » « والعمالية الثورية » ، وكونوا منظمة واحدة

باسم « نحو حزب شيوعى مصرى» واختصارها « نحشم» فعارضت هذا التصرف، واعتبرته خروجا على الأساس المبدأى الذى اتفقنا عليه كأفراد ، وهو عدم الوثوق بالعناصر اليهودية ومنظماتها واعتبرت أن هذه الوحدة سوف تدمر الخطوة التى بدأت لاخراج الشيوعيين المصريين من التخبط والجهل وسيطرة العناصر الاجنبية، وكان هذا هو ما تم فعلا ، فانفصلت عن هذه العلاقة فترة من الزمن بعيدا عن كل المنظمات ٠

ما زلت أسجل ما حرره السيد / سعد محمد حسن مهدى ، ويستطرد قائلا:

« بعد فترة التقيت بابراهيم عرفة « خضر » وكنت أعرفه سابقا فى «حدتو» وفوزى جرجس وكنت أعلم أنه فى منظمة العصبة الماركسية ، واتفق الرأى بيننا فيما يختص بالعناصر الأجنبية فى الحركة الماركسية ٠ وبدأت أعمل فى هذه المنظمة حتى تحولت الى منظمة « نواة الحزب الشيوعى المصرى » ٠

وتعرفت على أشخاص مثل : عبد الله كامل ، وفخرى لبيب ، وعامل فى الترام وعامل نسيج فى امبـابة ولويس بقطر وآخرين لا أذكرهم ٠٠ وحـدث انقسام وخرج من المنظمة فخرى لبيب وعبد الله كامل وانضموا الى منظمة «طليعة الشيوعيين » ٠

وقامت الثورة بقيادة الرئيس جمال عبد الناصر ، فطردت الملك ، وأصدرت قانون الاصلاح الزراعى ، وللحقيقة أصدرنا بيان نؤيد كل الخطوات التى تمت ونطالب ببعض المطالب السياسية والاقتصادية مثل الغاء النظام الملكى ومصادرة أملاك الاسرة المالكة ٠وقد أخذت علينا المنظمات الأخرى هذا التأييد ٠ وفسرنا موقفنا على أساس أن الأعمال التى تمت هى أعمال تقدمية لصالح الشعب ويجب تأييدها ، وعلينا أن نتريث حتى تظهر كل أهداف الثورة ٠

وفى ٢٩ سبتمبر ١٩٥٢ قبض على وعلى فوزى جرجس غطاس ونصر خليل وحسن عبد السلام وابراهيم عرفة وأحمد الصباغ وعبد الفتاح دربالة وآخرين٠

وفى أثناء السجن ظهرت فكرة الوحدة من جديد بين المنظمات الموجـودة عندئذ مثل « حدتو » « وحدتو التيار الثورى » « والنجم الاحمر الذى كان به

عدلى جرجس وأحمد خضر ومحمد عباس وآخرون ومنظمة الطليعة الشيوعيــة ومنظمة الديمقراطية الشعبية وقد تغيرت الى طليعة العمال وآخيرا منظمة الحزب الشيوعى المصرى ٠

ومرة أخرى تتكرر تمثيلية الوحدة ثم اعلان الحزب الشيوعى الموحد عــام ١٩٥٦ بعد مساومة على توزيع مناصب القيادة ٠

عارضت هذه المسرحية بشدة ، لأنها لم تتم على أسس سياسية واضحة ومكنت من جديد لنفوذ العناصر اليهودية ٠ وقد كنا نعلم أن هنرى كورييل كان يرسل رسائل من روما بتوجيهات الى حدتو وكأن العناصر التى تدعى القيادة ، ما هى الا أدوات فى يد عناصر أجنبية ٠

كان ضمن القضايا التى جاءت الى السجن ، قضية الصهيونية المشهورة من الاسكندرية وبها « البير أزولاى » وآخرين من اليهود ٠ وكذلك قضية شيوعية من القاهرة بها البير آرييه ومحمد شطا وآخرين ٠

كان اسمى الحركى « سمعان » وتسميت باسمين آخرين ، هما منير ورشاد، وعرضت على عضوية اللجنة المركزية للحزب الموحد ، فرفضت لايمانى بخيانة القائمين على هذا العمل ٠

بدأت فترة طابعها الاساسى الشك فى العناصر المكونة للتنظيمات الشيوعية والشك فى صلاحية الماركسية ذاتها لظروفنا الخاصة ببلادنا ، وصممت على عــدم التقيد بالمنظمات القائمة رغم علاقتى الطيبة ببعض عناصر الحزب الشيوعى المصرى وحزب العمال والفلاحين الذى كان قبل ذلك يسمى طليعة العمال ٠

وبعد خروجى من السجن اتصل بى أشخاص من المنظمة الاخيرة لاقنــاعى بعدم التوقف عن العمل ، خاصة وأن الحزب كان يؤيد سياسة الرئيس جمال عبد الناصر ، فاقتنعت أنه من الممكن أن أشارك فى كشف أساليب منظمات الحزب الموحد ٠ وكان يحضر الى منزلى بعض الاشخاص الذين كانوا معى فى السجن مثل

سيد عبد الله ونسيم يوسف وغبريال ولمعى يوسف دانيال ، وشوقى مجاهد حجازى وشخص اسمه فوزى من المطبعة الاميرية ، وسيد طه ، وفريد وهو طالب بالطب وبعض الزيارات من محمد حلمى يس ، وآخرين • وكانوا يجيئون فى غير انتظام •

ولم أمانع فى بادىء الأمر ، الا أنه حدث ما جعلنى أقرر الحزم مع هؤلاء الأشخاص ، وهو اعلان الوحدة بين الأحزاب الثلاثة ، وجاء ذلك مؤكدا الخيانة التى بدأت من أواخر عام ١٩٥٥ ، ولذلك استمرت علاقتى بزملائى فى السجن مجرد علاقات عائلية مع بعض المناقشات فى مسألة الوحدة مع سوريا • وكنت أؤيدها وتناقشنا فى الاتحاد القومى كتنظيم • وكانوا يرون ضرورة المحافظة على وجود تشكيل سياسى للشيوعيين ، مع تأييد فكرة الاتحاد القومى لكل الشعب واجراء انتخابات لتنظيمات الاتحاد القومى •

وحدثت محاولة أخرى لربط الحزب الشيوعى المصرى بعد ظهور انقسام حدتو الأخيرة • الا أن خطاب الرئيس جمال عبد الناصر فى ديسمبر عام ١٩٥٨ كان الحد الفاصل بينى وبين التفكير الماركسى وكفرت بالتنظيمات الشيوعية وانتهت علاقتى بكل هذا التاريخ الأليم •

الى هنا تنتهى رسالة السيد / سعد محمد حسن مهدى ، والله يهدى من يشاء • واذا كنت لا أجد تعليقا على هذه الرسالة فان لى بعض الملاحظات :

● ان ما جاء بالرسالة ، ينطبق تماما على مالدى من معلومات محققة وثابتة فى عدة قضايا منها القضايا التى أشار اليها فى حديثه •

● رغم أن الرسالة تتضمن قصة طويلة حدثت لصاحبها ، فان الوقائع التى ذكرها تخصه شخصيا • فهو يكتب من زاوية واحدة ، هى زاويته التى رآها • ونستفيد منها كيفية اغراء الشباب وتجنيدهم وربطهم بالحركة الشيوعية ربطا محكما كما أشرنا سابقا • وقرأنا بعضا من تاريخ المنظمات الشيوعية •

◉ لما كانت المنظمات الشيوعية تعيش فى الظلام وحولها هالة من الاسرار والغموض ، فان فردا واحدا لا يمكنه أن يلم بكل أسرارها ٠

والسؤال الآن ، ماذا يمكن أن يكون فى جعبة الآخرين ؟ ! هؤلاء الذين وقعوا تحت سيطرة اليهود الصهيونيين منذ بدأ الحركة الشيوعية فى مصر واستمروا فى تنفيذ توجيهاتهم ٠

وما دمنا فى صدد الحديث عن الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى ، فسنرجع قليلا الى الوراء لتبيان مسار الحركة الشيوعية ٠

فمنذ تكوين هذه المنظمة فى عام ١٩٤٧ ، من زعيمين يهوديين هما كورييل وشفارتز ، ازداد النشاط العلنى والسرى وانتهز الشيوعيون فرصة الثورة التى كانت فى نفوس الشباب من نير الاستعمار وصراع الاحزاب على السلطة ، وتهاون حزب الوفد فى تقدير خطر الدعاية الشيوعية ، وتركه الشيوعيين يتسللون الى مستوياته المختلفة ، خاصة مستويات الشباب وذلك بغرض استغلال امكانيات الدعاية الشيوعية لضرب الأحزاب الأخرى ، برغم كثرة العناصر اليمينية فى الوفد ٠ وانتهز الشيوعيون الفرصة فكونوا الهيئات العديدة للعمل بين الجماهير ، مثل اللجان الوطنية للطلبة والجبهة الوطنية الشعبية وما كونته حدتو مثل رابطة الطلبة المصريين ومندوبى العمال فى مؤتمر النقابات العالمى « احدى الهيئات العالمية التى تخضع للشيوعية الدولية وهى كثيرة » ٠ وقد دعت حدتو وباقى الشيوعيين الى عقد مؤتمر بنادى الحقوقيين ، حضره ـ بحسن نية ـ بعض الأساتذة والأدباء والشباب ، لوضع ميثاق وطنى لالزام الزعماء وجميع المشتغلين بالسياسة بالكفاح الشعبى وهاجم بعضهم الحكومة القائمة ودعا للكفاح المسلح ضد الاستعمار الانجليزى وسياسة الاحلاف ٠ وقد كانت هذه مطالب وطنية لا يمكن لأى وطنى أن يتخلف عن المطالبة بها ٠ وأما الشيوعيون فيحشرون بينها مطالب تهمهم بالدرجة الأولى ، مثل المطالبة بالغاء البوليس السياسى ، الجهاز المكلف بمطاردتهم والمطالبة بالغاء الاحكام الصادرة فى القضايا السياسية ، ولا يهمهم منها سوى الاحكام الصادرة ضدهم ٠ وكذلك المطالبة بحق تكوين الجمعيات والهيئات والأحزاب وهم يقصدون بالطبع تكوين حزبهم الشيوعى ٠

عدو وأوجه نشاطها

اذا سرنا على ضرب التفسير والتفصيل لأوجه نشاط هذه المنظمة ، فلن يكفينا مجلد ضخم ، وقد رأيت ــ رحمة بالقارىء ــ أن ألخص له فى نقاط مستمدة من القضايا التى حكم فيها وثبتت الوقائع التى تناولها وكذلك بعض الاحداث التى لصقت بذاكرتى ، ولكن رجائى من أخى القارىء أن يمعن النظر لتفهم الأصبع الصهيونية التى لعبت الدور الفعال فى كل هذه الاحداث ، وانى لأعتذر لما قد تسببه قراءتك من أسف ورثاء وامتعاض من أبناء جنسيتك ، وقاك الله ورعاك ٠

دابت هذه المنظمة على تجنيد كثير من الشباب المصريين والسودانيين ٠ وكم من الأسماء قرأنا فى الصحف ، منذ شكلت الوزارة السودانية قبل ثورة النميرى البطل ومن بينها أربعة من الشيوعيين الذين درسوا فى مصر ،ووقعوا فى شباك الشيوعيين٠ وعند قيام الانقلاب الشيوعى فى السودان ، كم من الاسماء قرأنا فى الصحف من هؤلاء الذين درسوا فى مصر وكانت لهم اليد الطولى فى الانقلاب الشيوعى ، ولكن الله سلم وجنب القطر الشقيق العزيز هذا الشر المستطير ٠

ورحم الله زميلى القدير اللواء عبد الرحمن عشوب الذى تخصص فى نشاط الشيوعيين السودانيين ، وكان يحفظهم جميعا عن ظهر قلب على كثرتهم ، وكان له رأى ردده لنا كثيرا وهو أنه رحمه الله كان يشفق على أمن السودان العزيز بعد أن يستكمل هؤلاء الطلبة دراستهم ويعودوا الى وطنهم ٠

وأذكر واقعة قديمة لها دلالتها ، اذ أحضر رحمه الله الى المكتب طالبا سودانيا كان يدرس فى كلية الهندسة بجامعة القاهرة ويدعى حسين ابراهيم ، وكان له نشاط شيوعى فائق الحد . وقد حاولت أنا تبصيره بمواطن الخطر فى هذا النشاط وذكرته بأنه يتقابل مع فتيات صهيونيات ، فهل يرضى عن هذه الزمالة ؟ وكان خفيف الظل ، حلو الحديث ، وكانت اجابته أن كشف عن ساقه وقال متسائلا : وما رأيك اذا التصقت هذه الساق بلحم أبيض ، هل تقاوم ؟

رغم وجود العناصر اليهودية الصهيونية فى مراكز القيادة بالمنظمة ، فقد تمكنت مع الأسف ، وبوسائل ماكرة ، من تجنيد الكثير من الشباب خاصة فى أوساط الطلبة والعمال بعد تدريس الماركسية لهم ثم دفعهم الى الايمان بما تتضمنه من مبادىء الأممية التى يتساوى فيها الجميع أينما كانوا .

وقد قامت المفوضية السوفيتية والسفارة بعد ذلك ، منذ افتتحت فى أوائل الأربعينيات بتجنيد عدد كبير من الفتيات اليهوديات للعمل فى أوساط الشباب واغرائهن بشتى الوسائل .

وأعود الى تجنيد السودانيين ، فقد بلغ عددهم فى اللجنة المركزية خلال فترة من الفترات أربعة أشخاص وثلاث من رؤساء المناطق وعشرات من أعضاء الأقسام والخلايا .

وفى نوفمبر عام ١٩٦٠ سافرت الى السودان وشاهدت بعض مظاهرات الشيوعيين فى منطقة السوق وفى الجامعة ولاحظت عدم تجاوب الشعب معهم ، بل كان أفراد الشعب يهاجمونهم ويستنكرون أفعالهم . كما لاحظت أن بعض سفارات الدول الشيوعية تضم عددا كبيرا نسبيا من موظفيها ، خاصة الصينية ، يتكلمون اللغة العربية ، ويقيم عدد منهم فى مساكن بالأحياء الشعبية والعمالية ، كالحى الذى يسكن فيه عمال السكة الحديد ويشتركون مع جيرانهم فى لعب الكرة الشراب ، وفى الأفراح الشعبية ، ويوزعون المطبوعات والكتب والمجلات على كل من يتصلون به .

٣ ـ برز نشـاط الحركة الديمقراطية حتى أوائل الخمسينيات لضعف المنظمات الاخرى التى لم يكن لها هذا الأسلوب بين الجماهير ، وأمكنها التسلل الى فئات كثيرة كالطلبة والموظفين بل وضباط الجيش ، اذ جندت عددا من الآخرين كان لهم شأن فى سنوات الثورة الاولى وفى أحداث مارس عام ١٩٥٤ وغيرها ٠

واذا رجعنا الى أوائل عام ١٩٤٨ فاننا نجد انقساما حدث بداخل الحركة الديمقراطية بعد ضربات بوليسية وجهت الى أعضائها ٠ وأسفر الانقسام عن عدد آخر من المنظمات ، ورغم أن السيد / سـعد مهدى قد أشار اليها فى اعترافه ، الا أننا رأينا أن نذكرها فيما يلى :

الحركة المصرية للتحرر الوطنى بزعامة هنرى كورييل ، كما كانت قبل الوحدة ، ولكنها أبقت اسم الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى ٠

منظمة أسكرا بزعامة هليل شيفارتز ٠

المنظمة العمالية الثورية ٠

منظمة صوت المعارضة واصبحت بعد ذلك المنظمة الشيوعية المصرية ٠

وأما المنظمة العمالية الثورية فقد خرجت منها مجموعـات من الأشخاص كونوا التنظيمات الآتية ٠

النجم الأحمر ٠

نحو حزب شيوعى مصرى ، وقد انضمت بعد ذلك للمنظمة الأولى ٠

نواة الحزب الشيوعى المصرى ٠

اعذرنى أخى القارىء ، فأنت ترى فى هذا التيه عجبا ، ولكن ما ذنبى فقد تظن أن هذه الانقسامات المتعددة لا معنى لها ، أو أنها حدثت بسبب خلاف فى الرأى أو تمسك البعض بسياسات خاصة بكل منهم ٠ ولكنى أوضح رأيى بأنها كانت مسرحيات ، قصد بها تعدد هذه المنظمات ، كل يعمل فى بيئة خاصة ووسط

معين وبسياسة مختلفة حتى يمكنها تجنيد أكبر عدد من مختلف الفئات ، ويصل الأمر بينهما كما قدمنا الى السباب والاتهام أقسى الألفاظ ٠٠٠ واتخـذ بعضهم شعار الاصلاح الاجتماعى مع أغفال الهدف الوطنى والدعاية الشيوعية بين العمال ، واتخذ بعضهم شـعارا ، أن يكون التنظيم للمحترفين والعمـال فقط ، والبعض الآخر قرر أن يعتمد على المثقفين وأن تهتم المنظمات الأخرى بالمسألة الاجتماعية والثورة الاشتراكية ٠

ومع ذلك فقد كان هذا التخبط بالاضافة الى العوامل السابق ذكرها ، سببا فى ضعف النشاط الشيوعى بعد عام ١٩٥٠ ٠ وهناك سبب آخر أهم من هـذا كله ، وهو ضبط عدد كبير من قادة المنظمات الشيوعية اليهود ، وابعاد الـكثير منهم خارج البلاد ، ورحيل عدد آخر الى اسرائيل وبلاد أوربا ٠ وقد أحدث ذلك خللا فى كيان المنظمات الشيوعية ، وفقدت العقل الذى كان يفكر لها ، ولا أجد شكا فى أنها فقدت المعين المادى التى كانت تعتمد عليه ٠

ففى عام ١٩٥١ ، اشتركت مع الرجل التقى الصـالح اللواء محمد أحمد المنياوى المحافظ السابق، فى مراقبات تخفينا فيها حتى تمكنا من ضبط وكر للطباعة فى جهة من حدائـق شبرا على جسر النيـل خاص بالحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى ٠ وقد هالنا ما وجدناه من عدد وآلات ، منها مقص للورق ضخم الحجم يستعمل فى قص آلاف من ورق الطباعة دفعة واحدة ، ومطبعة هائلة وأدوات لها ، وأوراق مطبوعة وغير مطبوعة ٠ وقد عجزت سيارة نقل واحـدة كبيرة عن نقـل محتويات هذا الوكر فاستعملنا سيارة أخرى ٠

ولا يصدق أحد أن منظمة سرية مهما بلغت اشتراكات أعضـائها يمكنها الانفاق على المحترفين وشراء مطبعة كهذه والصرف على متطلباتها ٠ والقول الفصل هنا ، أنه لم يمكن لهذه المنظمة أن تنشىء مطبعة بهذا الحجم بعد رحيل اليهود الا فى عـام ١٩٥٨ ، بعد أن وجد الشيوعيون مصدرا هاما آخرا سنأتى على ذكره فيما بعد ٠

وبقى فى البلاد بعض اليهود الذين قرروا حمل الراية خاصة وانهم يحملون الجنسية المصرية ٠

وفى عام ١٩٥١ اختفى هنرى كورييل حتى ضبطه الزميل الفاضل محمد أحمد المنياوى بشارع عبد الخالق ثروت لابعاده خارج البلاد ، ولما أحضره للمكتب تحادثت معه فوجدته ليقا جدا فى حديثه ، حتى أنه بدأ فى اقناع بعض رجال المكتب بحسن نواياه مع شرح المبادىء التى قبض عليه من أجلها !!

ومما يذكر أن بعض الناس كان يعتقد ، أن كورييل من أصحاب الملايين ٠ وحقيقة الأمر أنه يروج هذه الشائعة ليخفى مصادر المال الذى ينفقه على الحركة الشيوعية ٠ وما كان يملك سوى مكتبة صغيرة فى ميدان مصطفى كامل تسمى مكتبة الميدان ٠

ذهب هنرى كورييل الى روما وكون وآخرين ما أسماه « بمجموعة روما » وقد ثبت من تحقيقات بعض القضايا أن هذه المجموعة يرأسها هنرى كورييل وأنها استمرت فى ادارة منظمة الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى الى ما بعد قيام ثورة يوليو بسنوات طويلة ، وبناء على توجيهاتها طالبت المنظمة فى نشراتها المضبوطة بالصلح مع اسرائيل فى الوقت الذى كانت المنظمة تؤيد قيام الوطن القومى لليهود مطالبة بأن يعيش العرب واليهود فى جو من التفاهم حتى يفوتوا على الاستعمار أغراضه ٠

وقد سلم هنرى كورييل راية الزعامة قبل ابعاده ليده اليمنى سيد سليمان الرفاعى « بدر » وكان يعمل ميكانيكيا فى السلاح الجوى وضبط فى عام ١٩٤٦ مع آخرين لنشاطه الشيوعى وظل زعيما للمنظمة يتلقى الأوامر من مجموعة روما ، وكان يرأس فى المنظمة بعض المثقفين الشيوعيين من ذوى المراكز الأدبية المرموقة ومنهم بعض ضباط الجيش ٠

وأما هنرى كورييل ، فقد انتهى به الامر الى ضبطه بمعرفة السلطات الفرنسية التى اتهمته بالتجسس ونشرت الصحف هذا الخبر هناك ، وقد ورد

أخيرا عن وكالات الأنباء أنه ضبط بمعرفة البوليس الفرنسى واتهم بأنه يرأس شبكة من الارهابيين أمثال كارلوس ويغذيهم بالمــال ، ثم قتل فى العام الماضى فى باريس ولم يعرف قاتله ٠

وحاولت المنظمــة السيطرة على عدد من النقابات ، وفى نفس عام ١٩٥١ انتهزت فرصة الحالة السياسية المتوترة ، واهتمت بتكوين الجبهة الوطنية مــع حزب الوفد ، وأصدرت شعارات كان يرددها الشباب من الطلبة والعمال فى مظاهراتهم الكثيرة ، وقد شاهدت بنفسى مظاهرة كانت تسير فى شارع ٢٦ يوليو يردد المتظاهرون بعض الهتافات الوطنية ٠ وفجأة اعتلى أحد الشيوعيين ـ عادل فهمى ـ أكتاف المتظاهرين وردد نفس الشعارات الوطنية ، ثم تدرج فيهــا من شعار الى شعار ثم الى بعض الشعارات المــاركسية المغــرية كالخبز والحرية ، ثم الهتاف تحيــا روسيا تحيــا روسيا ، ومن عجب ، أن المتظاهرين كانوا يرددون وراءه ما يهتف به ، وهم فى حماسة لاهون عن التفكير السليم ٠

كان للمنظمة فى هذه الفترة صحيفتان علنيتان أحدهما الملايين والأخرى الواجب ، تنشران خطوطها السياسية العلنية ، وتطالب فيها بعقد معاهدة صداقة مع الاتحاد السوفيتى بين ما تطالب به من تحقيق أمانى الشعب ٠

وأما نشراتها السرية ، فكانت تتضمن برنامجا شيوعيا تقول فيه ، أنهــا تناضل من أجل الطبقة العاملة وتدافع عن كل طبقات الشعب وتسترشد بنظريات ماركس ولينين وستالين ، وهدفها بناء الاشتراكية ثم الشيوعية فى مصر ٠

الحركة الديمقراطية وثورة يوليو ١٩٥٢

فوجئت المنظمة بقيام ثورة يوليو ، رغم الصلة التى كانت تربط قادة المنظمة وبعض قيادات الثورة ــ كما سيأتى ــ وبدأت المنظمة تؤيد قيام الثورة وتهادن النظام الجديد . وقد أفرجت الثورة بعد قيامها بأيام عن المعتقلين الشيوعيين ، ومنهم محمد كمال أحد قادة حدتو الذى ضبط قبل الثورة مجتمعا مع بعض الفلاحين فى احدى قرى مركز دكرنس ، وكان معه أحد الشيوعيين الفرنسيين ، الذى قدم للبلاد مع مجموعة من السائحين وتبين أنه عضو بالحزب الشيوعى الفرنسى .

بدأت المنظمة تشيع أن حركة الضباط ما هى الا نتاج لنضال الشيوعيين ، وبمعنى أوضح ، حاولوا ركوب الثورة وساعدهم على ذلك بعض الضباط الشيوعيين من أعضائها الذين أطلقوا الشائعات ومنها ، أنه بعد استقالة على ماهر سيحدث تعديل وزارى قريبا وأن ثلاثة من أعضاء حدتو سيشتركون فى الوزارة .

ثم بدأت المنظمة بعد الثورة مباشرة ، تصدر المنشورات السرية تطالب فيها الضباط الأحرار باعادة الحياة النيابية ودعوة البرلمان الوفدى السابق للانعقاد .

وكثرت النشرات السرية فاستدعى الرئيس جمال عبد الناصر أحد الاشخاص المقربين وكان عضوا قياديا بالمنظمة باسم حركى « عبد الفتاح » مسئول الأحذية ــ أى مسئول عن الاتصال برجال الجيش الذين يلبسون أحذية ضخمة مميزة ــ وطالبه الرئيس الراحل بايقاف هذه النشرات وحمله مسئوليتها لأنها

تتعارض تعارضا أساسيا مع الخطة المرسومة للمضى بالثـورة • وقـد أوقفت النشرات فعلا لفترة قليلة •

وأصدرت منظمة حدتو مجلة شهرية ثقافية باسم « الغد » وأخرى باسم « التحرير » وكتبت هاتان الصحيفتان والملايين أيضا تعبر عن الثورة وأهدافها ، بأسلوب ، وكأن التعبير عن الثورة انعقد لها دون منازع •

وبدأت تدعى لنفسها فضل قيادة الحركة الوطنية ، وتضع العراقيل أمام مجلس قيـادة الثورة ، بعد آن تأكدت أن قادة الثورة قد أثبتـوا أنهم أشـداء عصيين على مؤامرات الشيوعيين وأنهم يرفضون وصاية أى تنظيم سياسى •

وقد حاول بعض قادة المنظمة فى جريدة الملايين كتابة مقالة يعبرون فيها عن سياستهم ، الا أن السيد الرئيس السادات ــ وكان مختصا برقابة هـذه الجريدة من موقعه بجريدة المصرى ــ شطب على المقالة • الا أن الجريدة صدرت بالمقال بعد ذلك . ويبدو أن بعض الحيل بذلت فى هذا الصدد ولا نعرف مصدرها .

ثم أسفرت المنظمة عن وجهها الحقيقى ، فبـدأت فى مهاجمة الثورة كما سيأتى •

والرئيس الراحل جمال عبد الناصر وتنظيم حدتو

كان من وعى الرئيس الراحل قبل قيام الثورة ، أن اتصل ببعض التشكيلات السياسية التى كانت قائمة فى هذا الوقت ، وأظنه اتصل بها ليعلم من أسرارها وخباياها ما يؤهله الى اجتناب شرها .

وكنا نراقب الشيوعيين ونتعرف على تحركاتهم ، فشاهدنا خلال ذلك شخصا طويل القامة معقوف الأنف يلبس البنطلون والقميص ، ويتصل ببعض الشيوعيين ومنهم سيد سليمان الرفاعى ، وآخرين حينذاك وغيرهم ، وعلمنا أن الاسم التنظيمى لهذا الشخص هو « موريس » .

ولم أفاجأ فى حياتى مثلما فوجئت عند رؤيتى للرئيس الراحل شخصيا فى يوم ٢ مارس ١٩٥٣ ، وذلك عندما توجهت الى الثكنات العسكرية بميدان التحرير لأعرض احدى القضايا الخاصة بالحزب الشيوعى المصرى التى ضبطت فى ٢٨ فبراير ١٩٥٣ . فقد وجدت أن الرئيس الراحل هو موريس بشخصه .

هدأ روعى عندما قوبلت مقابلة طيبة ، فبدأت أعرض القضية وتطرقت الى بعض النقاط ومنها قصة موريس دون الاشارة لصاحب الاسم . وهنا سألنى أحد أعضاء مجلس الثورة ... هل قمت بضبطه ؟ !! ونفيت ذلك وحمدت الله .

وأضيف بذلك أنى قرأت بنفسى رقم التليفون الخاص بالرئيس الراحل فى ورقة مع سيد سليمان الرفاعى زعيم المنظمة وكان يحتفظ بها فى جيبه .

نشاط منظمة حدتو بعد الثورة

نجد فى ملفات القضية رقم ٣٩ جنايات عسكرية عليا عام ١٩٥٤ معلومات مفصلة عن نشاط اثنين وسبعين متهما فى الفترة من يناير ١٩٥١ حتى تاريخ ضبطهم فى ١٠ أغسطس ١٩٥٣ . وتقدم لنا هذه القضية مؤشرا جيدا لنشاط هذه المنظمة فى فترة هامة من تاريخ البلاد .

اتهمت النيابة المتهمين وعلى رأسهم سيد سليمان الرفاعى بأنهم آداروا ونظموا جمعية سرية ترمى الى قلب نظام الدولة الأساسية ، سياسية واجتماعية واقتصادية . والقضاء على طبقة الملاك وارأسماليين وسيادة الطبقة العاملة وحكمها المطلق ، والغاء الملكية الخاصة بالأسلوب الثورى الذى اتبعه لينين وستالين فى الثورة الروسية . وبتحريض العمال على الاعتصام والاعتداء على حق الغير ، وتحريضهم على بعض طائفة الملاك تحريضا من شأنه تكدير السلم العام .

ويحسن أن نلخص هذه القضية فى النقاط التالية :

- ضبطت أجهزة المنظمة الخاصة بالطباعة فى الاسكندرية .

- من بين المتهمين كليمان موسى ليبوفتش ، وهو يهودى وكان عضوا باللجنة المركزية ومسئولا عن النشاط فى الاسكندرية .

- امتد نشاط المنظمة الى الدقهلية وبعض بلاد المحافظات الاخرى .

- من بين النشرات السرية المضبوطة نشرة بعنوان « الطليعة ــ عام أسود فى ظل الدكتاتورية العسكرية » .

◉ ثبت أن السيد / سليمان الرفاعى هو السكرتير العام للمنظمة بعــد هنرى كورييل وليس له مهنة أخرى أى أنه محترف شيوعى وثبت من التحقيقات أن كثيرا من أعضاء لجان أنصار السلام ، أعضاء فى المنظمة وسيأتى لهذه اللجان فصل خاص ٠

◉ ضبط تقرير تحليلى لحركة الضباط جاء فيه « أن أكبر المهــام التى تواجه الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى هو الـكفاح للقضاء على الديكتاتورية العسكرية ، واعادة الحياة الدستورية ، وأن تضع الحركة لحزبها تقاليد الماركسية اللينينية ، ومنها الاعتراف بالخطأ واصلاحه ٠ وأن الأيام أثبتت خطأ المنظمة فى تحليل حركة الضباط ، بوصفها حركة تمثل البرجوازية الصغيرة ٠ الا أن حركة الجيش تقف مع البرجوازية الـكبيرة وتتخذ موقف الخيانة الصريحة بانضمامها الى جبهة الاستعمار ، وأصبحت فى خدمة أعوانه ويجب العمــل على ابعادهم عن الحـكم ٠

◉ ضبط مقال بعنوان « خطة دعائية » ، يرسم سياسة المنظمة الدعائيــة لنشر الماركسية اللينينية الستالينية بين الأعضــاء ، وتدريس الصراع الطبقى وتطور المجتمع ، وعاب المقال على بعض أعضاء التنظيم ، لتعاونهم مع الدكتاتورية العسكرية ٠٠٠ » منذ قامت الثورة تعاون عدد من ضباط الجيش وبعض المدنيين وكانوا أعضاء فى منظمة حدتو وغيرها من المنظمات الشيوعية وقطع بعضهم صلته بالمنظمات وان بقيت ميوله كما كانت وتولى بعضهم وظائف مدنيــة فى أماكن مختلفــة » ٠

◉ مقال بعنوان « تحذير » يبدأ بأن أعداء الشعب ومخابراتهم يلجأون الى تشكيك الناس فى الحركة الشيوعية ٠

◉ ضبط فى القضية عبد الرحمن الخميسى ، الكاتب والقصصى والشاعر والسينمائى وسبع صناعات أخرى ، « وقد انتهى به المطاف للاقامة الدائمة فى موسكو أخيرا ،واستدعى اليه بعض أبنائه ليجدا فرصة مجانية فى التعليم فى الاتحاد السوفيتى ومازالوا هناك حتى الآن » ٠

● جاء فى منشور بعنوان « أيها الخونة » كفوا عن المفاوضات ـ يسقط الاستعمار الغربى ـ طريق المفاوضة طريق الخيانة · العصابة العسكرية تجرى فى أذيال الاستعمار

● ضبطت ترجة لمقالة صدرت فى صحيفة برافدا السوفيتية فى ١٤ يوليو عام ١٩٥٣ عن اضطهاد التقدميين فى مصر واتهامهم بعضوية الحزب الشيوعى ومنهم الكاتب المعروف الخميسى ·

● ان كانت هذه النقطة آخر ما نسجله من نقاط عن هذه القضية ، فانها أخطرها وأكثرها دلالة ، وهى خاصة بالمتهم أنور مقار فلتس من نقابة عمال الفنادق وعضو المنظمة · وقد قرر فى التحقيق أن المنظمة انتدبته لحضور مؤتمر الشعوب فى فيينا ، وأنه كان مفلسا فتوجه معه محمد عبد المنعم الغزالى الىشركة الطيران وسلمه تذكرة السفر ، وعندما وصل الى فيينا وجد بها من ينفق عليه ، ثم سافر الى باريس ومنها الى روما ثم الى ميلانو ، وتقابل مع شخص يدعى روجيرو قدم له المسكن والعشقة وأنفق عليه عن سعة ثم عاد الى القاهرة فى ٣١ يوليو ١٩٥٣ · وبعد وصوله زاره سيد خليل أحد قادة المنظمة فحكى له تفاصيل الرحلة ، وسأله المذكور اذا كان قد قابل يونس أى « هنرى كورييل » فأجابه بالنفى · فعلق محدثه قائلا « يعنى جاى فاض ما جبتش فلوس » ·

هذا عن المال ، المال الذى باعوا أنفسهم للشيطان من أجله وأما عن تنفيذ التعليمات التى ترد اليهم من الخارج فلنقرأ معا هذه الأمثلة وليست الوحيدة من نوعها :

● كتب « بالم دات » زعيم الحزب الشيوعى البريطانى تقريرا يهاجم فيه الثورة فى مصر ·

● كتبت صحيفة اتحاد النقابات العالمى مقالا تهاجم فيه الثورة المصرية بقلم عمر اسكندر عضو حزب تودة الشيوعى الايرانى ، ونشرت الصحيفة صورة

للدبابات وهى تحاصر قصر عابدين ومدافعها مصوبة الى القصر ، وكتبت تحتها « هذه المدافع سرعان ما وجهت الى الشعب المصرى » ٠

◉ مقالات متوالية « لمجلة الأزمنة الحديثة » التى تصدر فى موسكو صورت الثورة فى صورة الانقلاب العسكرى الفاشى الذى يعمل لحساب الاستعمار الأنجلوا أمريكى ٠

وبهذا المال وبهذه التبعية ، استمرت المنظمة فى مهاجمة الثورة بنفس الخط السياسى الذى أوردناه فى السطور السابقة ، حتى انقسمت على نفسها مرة أخرى الى منظمتين :

◉ الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى بزعامة سيد سليمان الرفاعى الذى لم يكن قد ضبط فى القضية السابقة ، وكان عدم ضبطه مثار تساؤلات بين الشيوعيين ، وساءت سمعته لديهم واتهموه بالبوليسية ٠

◉ الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى التيار الثورى بزعامة محمد محمد شطا أحد قادة التنظيم وهو عامل نسيج اسما ولم يعمل فى حياته ٠

وفى ١٩٥٣/١١/٣ ضبط عدد كبير من قادة وأعضاء المنظمة ومنهم اليهودى البير جاك أرييه وكان يعمل مع والده فى محل جاك بميدان مصطفى كامل بالقاهرة ٠ وضبط مع آخرين بوكر للطباعة وهو فيلا لها حديقة فى شارع أحمد كامل المتفرع من شارع الهرم وكان مسئولا عن طباعة النشرات وتوزيعها بسيارته.

اعترف الدكتور / محمد فؤاد منير بأسماء باقى أعضائها وأسمائهم الحركية ونشاطهم وتأيدت اعترافاته بما جاء فى الأوراق والنشرات التى ضبطت لدى المتهمين ٠

واعترف أيضا ريمون فرانسوا حبيب خريستوف بأنه سلم آلات الطباعة الى المتهم البير أرييه ٠ وقيدت القضية برقم ١٥١٩ أمن دولة عام ١٩٥٣ ٠

ظلت المنظمة تعمل بغير زعامتها ، فسيد سليمان الرفاعى مازال هاربا يشك فيه الشيوعيون ويتهمونه بالخيانة ، والمنظمة الثانية تعمل بغير زعيمها محمد محمد شطا الذى كان فى السجن مع كثير من قياداتها وأعضائها. فضعف نشاطهم وتخبطت سياستها لفترة طويلة ولم ينقذها من هذه الحالة ، الا صفقة الأسلحة التى عقدتها مصر مع الاتحاد السوفيتى وتحسن العلاقات بين البلدين ٠

لقد كتب الكثيرون عن أزمة مارس عام ١٩٥٤ ، ولن أتعرض هنا لأحداثها الا من زاوية واحدة ، فقد طالب كثير من الضباط بتغيير بعض الأوضاع ولعب الشيوعيون دورا خلفيا فى هذه الأزمة ٠ وبلغ الأمر ذروته حتى أعلن الرئيس الراحل جمال عبد الناصر فجأة تنصيب اللواء محمد نجيب رئيسا للجمهورية على أن يكون الصاغ خالد محى الدين رئيسا للوزراء ٠ وأعتقد أن الرئيس الراحل لم يكن فى نيته اطلاقا تنفيذ هذا القرار عندما أعلنه ٠ انما كان يرمى الى امتصاص حالة الهياج بين الضباط ، اذ سرعان ما تغير الحال وأبعد اللواء نجيب عن الحكم ، كما طلب الى خالد محى الدين أن يسافر الى أوروبا ٠

وبذلك تجنبت مصر حكما شيوعيا لا محالة ٠

ولعل هناك من يسأل ، كيف تكون النتيجة كذلك ؟

ولا أجد أفضل من أن أسبق الأحداث للاجابة على هذا السؤال ، فأضرب مثلا ، أوضح فيه كيف يتحول الحكم الى حكم شيوعى وذلك فى مجال آخر قد يظن البعض بعد التشابه بين الحالتين ٠

فقد كانت جريدة المساء فى عام ١٩٥٨ تعج بالكتاب الشيوعيين ، وعند ضبط كل الشيوعيين فى مصر فى أول يناير ١٩٥٩ ضبط ٢٨ شيوعيا من المحررين فى الجريدة ، وقدم معظمهم للمحاكمة وصدرت ضدهم أحكام متباينة ٠ وكان يرأس تحرير الجريدة فى هذه الفترة السيد / خالد محى الدين ٠ ومرة أخرى قد يسأل البعض أن هذا حدث فى جريدة وليس فى دولة ٠ نعم ٠٠ هذا صحيح ولكن أليست الجريدة دولة صغيرة ٠ وما القول اذن اذا ذكرنا منجستو الذى استولى على الحكم فى الحبشة وحولها فى غمضة عين الى دولة شيوعية ! وكذلك ما حدث فى اليمن الجنوبية وفى أفغانستان ٠٠

الحركة الديمقراطية وأزمة مارس والتوجيه من الخارج

رغم كل ما كتب عن هذه الفترة ، لم يوضح أحد دور الشيوعيين فيها ولعل ذلك يرجع الى سرية العمل الشيوعى وعدم دراية الغير شيوعيين به أو لرغبة المسئولين حينئذ فى عدم اثارة هذا الدور .

وفى الواقع ، فان الشيوعيين جميعا سواء من هذه المنظمة أو غيرها قد قاموا بدور كبير فى اثارة الضباط ، بالدعاية المدروسة ضد قادة الثورة وبما كانوا ينشرونه من تحليلات عنها ، وساعدهم على ذلك ، الضباط المنتمين الى المنظمات الشيوعية ، وما أسهل انقياد الكثيرين من حسنى النية . فالشعارات وطنية المظهر والمطالب مصاغة فى القالب الذى لا يشك فيه أحد .

ولا ننسى أبدا أن الشيوعيين من هذه الحركة الديمقراطية وغيرها لم يتخلوا فى أى وقت من الاوقات عن قيادة اليهود للحركة الشيوعية ، سواء منهم من بقى بالبلاد أو من غادر الى اسرائيل أو الى روما مكونا مجموعة توجه المنظمة من بعيد .

واستند فى ذلك الى ما يأتى :

- اليهود الذين ضبطوا فى هذه الفترة من قادة المنظمة .

- من بين المضبوطات فى القضية السابقة تقرير بعنوان « تقرير يونس عن الجبهة » ـ ويونس كما تذكر هو هنرى كورييل ـ ووصل التقرير للمنظمة فى أول يوليو ١٩٥٣ ، ويتضمن ردا منه على خطاب أرسله اليه الزعيمان بدر وحميدر ـ محمد محمد شطا ـ يبلغانه بوجود خلافات بين الشيوعيين المصريين حول نظرية الجبهة .

وفى اجابة هنرى كورييل ما يثير الدهشة ، اذ احتج على الزعيمين بسبب الطريقة غير الماركسية لطلب رأيه دون اعطاء تفاصيل وافية !! وكتب يقول « أنه يجب تكوين الجبهة ، الأمر الذى كان يجب اجراءه منذ السنة الأولى لتكوين حدتو وأنه يجب جذب الفلاحين لداخل الجبهة » ويتضمن خطاب كورييل توجيهات أخرى عن كيفية العمل فى الريف ومع البرجوازية والطبقة العاملة · ووعد بأن يرسل مقالا سوفيتيا عن مراحل الديمقراطية الشعبية راجيا القيام بطبعه ·

تحضرنى قضية أخرى هامة ، هى القضية رقم ٢٧٥٣ حصر أمن دولة عام ١٩٥٤ ، وتتخلص الى أنه بتاريخ ١٤ ديسمبر عام ١٩٥٤ ضبط كل من :

صــلاح حافظ	صحفى بمجلة روز اليوسف
بدير على النحاس	كاتب بالصحة
محمود توفيــق	محـــام
محمد عبد الجابر خلاف	محـــام

وكانوا مجتمعين على مائدة بسكن الاخير بالعجوزة ، وضبط معهم محضر اجتماع على المنضدة وعدة تقارير شيوعية · وضبط مع الأول أفلام مأخوذة لبعض التقارير والمنشورات الشيوعية · وقد حكم على الأول بثمانى سنوات وعلى الرابع بعشر سنوات وعلى الباقين بمدد مختلفة · وكان الأربعة أعضا فى اللجنةالمركزية لحدتو · أما الأفلام التى ضبطت مع الأول فلم يعرف اذا كانت واردة من الخارج أو معدة للتصدير ·

وهكذا ، تبلغ السذاجة الخائنة أو الخيانة الساذجة هذا المدى المقزز ، من مصريين يدعون الوطنية والكفاح ضد لاستعمار ، وهم لا يؤدون الا ما يوجه اليهم من أعداء البلاد بحجة النظريات والفلسفات وعقائد الببغاوات ·

٤ ــ وأما علاقاتهم بالاحزاب الشيوعية الأجنبية ، وكم من أعضائها يهود، فنحن نمسك بتلابيبهم ، مما يكتبون وينشرون ، ومما يضبط لديهم ، فهـذه خطابات معنونة الى اللجنة المركزية لبعض الاحزاب الشيوعية الأجنبية ، كالحزب الشيوعى النرويجى والحزب الشيوعى السوفيتى ، بتوقيع اللجنة المركزية لحدتو، تبدى اعجابها بالعمل العظيم الذى تقوم به الاحزاب الأجنبية من أجل رفاهيـة الطبقة العاملة ومن أجل العرب الذين تضطهدهم حكومة الرجعية فى بلدهم مصر . ويطعنون فى سيدسليمان الرفاعى لانقسامه عن الحركة · **ثم تكليف المنظمـة لهنرى كورييل المقيم فى أوروبا ، بكتابة تحليل لحركة ضباط الجيش ·**

القضية رقم ١٤ عسكرية عليا عام ١٩٥٥ عابدين

الشيء بالشيء يذكر ، ومع ذلك ما الذى دفعنى لذكر هذه القضية ، بعد القضية السابقة التى اتهم فيها صلاح حافظ وآخرين ، ربما لأنها ترتبط بها ارتباطا وثيقا حيث المنظمة التى ينتمى اليها هؤلاء المصريين ، وهؤلاء الصهيونيين وربما قضية تثبت مرة أخرى وليست أخيرة كل ماذكرناه عن الحركة الشيوعية فى مصر ، انها تسلك مع العملاء اليهود لتخدم الصهيونية والشيوعية العالمية عن طريق الشراك التى نصبتها ، مع شديد الاسف ، لبعض المصريين ٠

ومن مصادفات القدر ، أن يكون المتهم الأول فى هذه القضية يهوديا يدعى هنرى كوهين ويشترك فى نفس الاسم مع هنرى كورييل الذى أصبح ذا شهرة عالمية والذى قيل بعد قتله أخيرا فى باريس أنه كان يحرك عصابات الارهاب الاوروبية ، وقد تطوع بعض الكتاب فذكر أنه كان مليونيرا فى مصر ٠مع أنه كان فقيرا مرهفا ينفق آلاف الجنيهات من مصادر أخرى ٠

الاثنان يختلفان فى اسم الأب ٠ وحديثنا عن هنرى فيتا كوهين وكان رساما مصورا بصحيفة الاهرام ٠ وقد ضبط فى ١٩٥٤/١٠/٤ مع جوزيف داود أوزمو ونسيم ابراهيم تحمياس وآخرين من زملائهم اليهود وحكم عليهم بالاشغال الشاقة لادارتهم منظمة سرية هى الحركة الديموقراطية للتحرر الوطنى ٠

ويلفت النظر ما ضبط مع الأول من تقارير شيوعية محررة بمعرفة بعض الشيوعيين المسجونين بسجن مصر وهم من المصريين اعضاء نفس المنظمة ٠

واما الأوراق التى ضبطت معه ، فمنها ما يدل على أن هذه المنظمة تتصل بهيأت أجنبية وبأشخاص يقيمون فى الخارج وانها تتلقى التوجيهات والأوامر من هذه الجهات الأجنبية ٠

ومن بين هذه الاوراق فيلما بالتقارير المشار اليها ٠٠٠ لا أدرى هل هذه شيوعية أم هى جاسوسية وعماله ، لا أكثر ولا أقل ٠ ومن العجيب أنه ثبت أيضا من مضبوطات هذا المتهم وزميله الثانى أنهما على صلة وثيقة بهنرى كورييل الآخر ، وضبطت خطاباته بسكن المتهم الثانى وبها توجيهات للنشاط الشيوعى فى مصر .

ولم تكن هذه القضية هى الأولى من نوعها فقد سقتها العديد من القضايا التى اتهم فيها يهود وصهيونيون ومصريون ٠

ومع ذلك ، فقد استمر نشاط هـذه المنظمة ، حقبه طويلة ، وتخرج على يدها كثير من الاسماء اللامعة التى نسمع عنها فى الفترة الحالية .

الفصل الثانى

وحدة المنظمات عامى ١٩٥٥/١٩٥٦

يفتح الستار ، فاذا بالمسرح يعج بالتنظيمات الشيوعية ، وكل منها يتوكأ على عصاه من كثرة الضربات التى تلقاها ، حتى ضعف نشاطها ، فبدلا من محاولة تكوين جبهة مع الفلاحين والعمال وغيرهم كتوجيه اليهود من روما ، فجأة برزت تمثيلية الوحدة ٠

ومن العجيب أن تبرز هذه التمثيلية كلما شعر الشيوعيون بضعف نشاطهم ، وهنا نجد المنظمات الموجودة على المسرح وكأن يدا واحدة تحركها من وراء الستار ٠

والمنظمات التى كانت موجودة فى تلك الفترة هى :

- **الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى ٠**
- **الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى « التيار الثورى » ٠**
- **نواة الحزب الشيوعى المصرى ٠**
- **طليعة العمال ٠**
- **النجم الأحمر ٠**
- **نحو حزب شيوعى مصرى ٠**
- **وحدة الشيوعيين المصريين ٠**
- **المنظمة الثورية للعمال والفلاحين ٠**
- **طليعة الشعب الديمقراطية ٠**
- **الحزب الشيوعى المصرى ٠**

وتنضم جميع هذه المنظمات فى أبريل عام ١٩٥٥ « ماعدا المنظمتين الأخيرتين » وتشكل منظمة واحدة هى :

الحزب الشيوعي المصري الموحد

ونسرع الخطى حين نقول أن هـذه الوحـدة تمت بعد خلافات شديدة على مراكز وقيادة التنظيم ، كما قال الأخ سعد مهدى ونضيف أن كل منظمة كانت تريد الاستئثار بمصادر تمويلها ٠

وفضيحة أكبر وأخطر أن أبدا حديثى عن هذه الوحدة بأهم نقاط الخلاف الذى نشأ عند تكوينها ٠ هو اشتراط منظمة الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى الاحتفاظ لهنرى كورييل بكرسى فى القيادة أى فى اللجنة المركزية ، على أن يظل شاغرا لغيابه ٠

وفى ذلك الوقت نشر الحزب الشيوعى الفرنسى فى جريدته ٠٠ ان هنرى كورييل جاسوس عالمى وحذر على أعضاء الحزب الاتصال به نهائيا ٠

ومع ذلك تمسكت به حدتو ، وكانت تريد له القيادة ولو على مقعد شاغر ٠ ومن آثار اليد الصهيونية فى نشاط الشيوعيين ، ماطبعوه ونشروه عام ١٩٥٦ ولم يمض على الغزو الثلاثى أيام قليلة ، وتضمن قرار اللجنة المركزية للحزب الشيوعى الموحد باعادة هنرى كورييل واعتبرت اللجنة قرار الحزب الشيوعى الفرنسى غير ملزم لها ٠

أسلوب الدعاية للحزب الشيوعي الموحد

فى احدى النشرات التى ضبطت فى قضايا هذه المنظمة ، نجد نشرة بعنوان المسؤلية السياسية تقول « أنه خـلال عام ١٩٥٦ وفى ظل المواقف السـلامية الاستقلالية وزيادة التبادل التجارى بين مصر والدول الاشتراكية ، يمكن القيام بتعبئة فكرية فى الريف لوضع هذه المواقف بين يدى الجماهير لحمياتها وتطويرها ، وبنشر كتيب عن أثر بيع القطـن المصرى الى معسـكر الشـعوب ـ أى الـدول الشيوعية ـ مما عاد على أغنيا الريف ومتوسطى الزراع بفوائد جمة ٠ ويمكن تعبئة العمال الزراعيين للمطالبة برفع الأجور وتوضيح أن زيادة أسعار القطن ، نتيجة اتساع التبادل التجـارى مع معسكر الشعوب يتيح للعمال فرصة كبيرة لتحقيق هذا المطلب ٠

ان عدم تنفيذ خطتنا بشكل سليم ، قد يتيح الفرصة للعدو ليضرب الحركة الوطنية كلها ٠

يا سـبحان الله ، كيف حدث هـذا التغيير بين يـوم وليلة ؟ الأمر ليس بمستغرب ٠ فانظر الأسباب التى وضحها الشيوعيون لهذا التلون ٠

جاء فى نفس النشرة السابقة « أن التطور المستقل لمصر خلال عام ١٩٥٥ ـ أى علاقة مصر بالدول الشيوعية وصفقة الأسلحة ـ ساعد على تغيير العلاقة بين العمل السرى والعمل العلنى بين الشيوعيين ، وامكانية قيام الشيوعيين بكفاح علنى ، من أجل التطور المستقل للبلاد ، وتتطلب هذه الأوضاع الجديدة تعديل خطة العمل فى مختلف المجالات لانجاز الواجبات المسارية الاستقلالية الملقاة على عاتق الرفاق ، والا يفقد الحزب قيادته للتكتل ، وتتأخر تعبئة الجماهير لحمايتها

من مؤامرات الاستعمار ، وتطورها لمصلحة الشعب ، وحتى لا تنعزل عن الجماهير ، وهذا انحراف يسارى ، كما أن التحرك مع الكتل الشعبية فى الظروف الجديدة بدون خطة وبشكل تلقائى يعتبر انحراف يمينى » ٠

وتتلخص خطة المنظمة المشار اليها الى ثلاث أسس :

- **تأييد الحكومة فى علاقتها بالكتلة الشرقية ٠**
- **مطالبتها بالحرية السياسية وبتحسين الحالة الاقتصادية للجماهير ٠**
- **العمل الجماهيرى أى الدعاية العلنية ٠**

هذا التأييد المفاجىء للحكومة بسبب علاقتها الجديدة مع الدول الشيوعية هو التبرير الوحيد لرسم الخطة السابقة ، معتمدين على أن الحكومة ستغض الطرف عنهم اضطرارا أو حرجا ٠

وما ذكره الشيوعيون عن بيع القطن المصرى للدول الشيوعية ، يوضح بجلاء أسلوب الدعاية التى يرددها الشيوعيون لصالح البلاد الشيوعية ــ دون النظر الى مصلحة أوطانهم ، مع علمهم بأن هـذه الدول تعيد تصدير القطن الى البلاد الأخرى ، بثمن أغلا وبالعملات الصعبة ٠ وقد ثبت ــ ولو متأخرا ــ كيف أضيرت مصر من احتكار البلاد الشيوعية لمعظم انتاجنا من القطن ٠

أما نشرة « المسؤلية التنظيمية » التى صدرت عن نفس المنظمة تعد تكملة للخطة السابقة ٠ فقد جاء فيها « أن على العضو أن يستفيد من الخطة السياسية فى تحريك المظاهرات وتسييرهـا ، وفى تنظيم المظاهرات بحيث يضمن تأييد الجماهير » ٠

وفى أبريل عام ١٩٥٦ كان الحزب الشيوعى الموحد قد استعاد تنظيمه تماما بعد أن اتحد جناحا للحركة الديمقراطية بقيادة خليل والتيار الثورى بقيادة محمد محمد شبطا ٠ وسجل هذا الاتحاد احد اعضاء القيادة وهو محام فى وثيقة نشرت فى مجلة الكادر التى أصدرتها المنظمة فى أبريل ١٩٥٦ ٠ وأعلن فيها :

ان المنظمة تؤيد الحكومة لأن هذه هى أسهل وسيلة لاسقاطها :

هل هذه هى المكيافيلية بأجلى صورها ؟ .. ربما كان هناك وصف آخر أشد ضراوة .

كانت منظمة طليعة العمال قد اتخذت موقف تأييد الحكومة ولعب السيد / لمعى المطيعى من داخل السجن دورا كبيرا فى قيادة هذا الاتجـاه ، كما لعب من خارج السجن اثنان من قادة المنظمة وهما أبوسيف يوسف أبو سيف وآخر لم يحكم عليه ، نفس الدور . وأعلن زعيم الحزب الشيوعى المصرى الذى كان مجهولا حتى هذا الوقت تأييد الحكومة أيضا .

وعندما بدأت معركة الغزو الثلاثى المسلح على بور سعيد عام ١٩٥٦ ، أعلن الشيوعيون أنهم سيحاربون المستعمر متحدين مع الحكومة الوطنية . والأمر الذى أعجب له حتى الآن ، أن الحكومة سمحت لهم بالتدريب على حمل السلاح ، ولانسمى هذا الأمر غفلة ، ولكننا نعتقد أنه نتيجة لأسلوب ظهر فى خضم الأحداث ، وهو اصدار القرارات من أية جهة غير مسئولة ، خاصة تلك القرارات التى تستوجب أخذ رأى جهات الأمن المختصة والسلطات العليا .

وقد التف حول الحكومة ، أشخاص وجدوا من حقهم اصـدار القرارات ، ونذكر على سبيل المثال أن أحد الضباط السابقين وكان معروفا بصلته بالشيوعية رحمه الله ــ وقد عين نفسه قائدا لقطاع المطرية حيث كان يسكن ــ واصدر قرارا بقطع وبيع الشـجر المزروع فى شـوارع المنطقة حتى لا يختبىء الأعـداء بين أغصانه ، وقد أوقف هذا القرار فى اللحظة المناسبة .

وبرغـم تدريب الشيوعيين فى منطقة الاسماعيلية عـلى حمـل السـلاح واستعماله ، فلم يشارك أحد منهم فى القتال برصاصة واحدة . وان كان نفر قليل منهم مثل محمد عبد المنعم شتلة ، وشكرى عبد الوهاب ، قد تسللا الى بور سعيد ، وليتهما رفعا سلاحا مع أعضاء المقاومة فى بور سعيد ، ولكنهما قاما باصدار صحيفة أسمياها الانتصار « **جريدة الجبهة الوطنية** » !!

ولم تمنعهم مأساة الغزو ، من أن يضعوا فى نشراتهم شروطا لتأييد الحكومة ، ومنها الافراج عن المسجونين الشيوعيين والدعوة الى حرب العصابات التى يشترك فيها الجيش والمسئولين والـوزراء • وهـذا تكتيك معروف عن الشيوعيين ، اذ يشاركون فى حروب التحرير الوطنية ثم يحولونها الى ثورة شيوعية •

ومات أحد الشيوعيين أثناء العدوان ، فهللو للبطل المكافح وعددوا مفاخر التضحية الشيوعية وقلبوا الدنيا تيها واعجـابا وصدرت عنهم النشرات بهذا المعنى ، الا أنهم تعروا ولم يخجلوا عندما كشف الأمر وتبين أن الشـهيد عمره **اثنى عشرة عامـا** ، ولم يكن بالطبع شيوعيا بل كان له شـقيق مسجون بتهمة الشيوعية • ولم يكن هناك شهيد ثان من الأبطال الشيوعيين •

ولما رفضت الدولة مطالب الشيوعيين تحطم أملهم **وبـدوا** يعدون لخطـة جديدة ، وجـد الشيوعيون مرتعا خصبا ، اذ توثقت العلاقة بين مصر والـدول الشيوعية ، وازداد الحصار الاقتصـادى الذى فرضته الـدول الغربية • فكانت الفرصة للشيوعيين •

استمروا يؤيدون الحكومة ، وفى نفس الوقت يدعون الى الانضمام للاتحاد القومى • لأنه حزب الحكومة العفن ويجب عليهم افشاله من الداخل •

وفى موقف التأييد السابق للحكومة ، كان هناك السم الذى ينفثونه ••• يطالبون برفع أجور العمال وهم يعلمون بالأزمة الاقتصادية ، ويطالبون باصلاحات تعجز الحكومة عن تنفيذها لنفس السبب ويهاجمون القومية العربية ويطالبون بالافراج عن الشيوعيين والانحياز الكامل للدول الشيوعية •

وكان بعض الشيوعيين يطلب فى نشراته السرية « ان اسقاط الحكومة ليس مطلبا عاجلا مباشرا فى هذه المرحلة انما يأتى بعد عدة مراحل من الدعاية ، ويبدأ الخلاف بين المنظمات الشيوعية ، فواحدة تتهم الأخرى بالانتهازية والخروج عن الخط الماركسى اللينينى بالبوليسية ، وأخـرى تتمسك بقيادة اليهود للحـركة الشيوعية ويبرئون اليهود من العطف على اسرائيل •

الحزب الشيوعي المصري المتحد

قلنا أن الحزب الشيوعى الموحد ، تكون من اتحاد ثمان منظمات أكبرها منظمة الحركة الديمقراطية بشقيها • وكانت هذه الأخيرة تضم تيارين مختلفين :

◉ اليونسيون ، أى التابعون لهنرى كورييل ويضم هذا التيار : محمد محمد شطا ، خليل قاسم ، دكتور شريف حتاته ، حليم طوسون ، والبير آرييه ••• وآخرين • وكان هنرى كورييل يتزعم من الخارج • وكانت هذه المجموعة تجنح الى مهاجمة الحكومة ، وفى نفس التيار مجموعة أخرى كان رأيها مهادنة الحكومة • وأفرادها هم : فؤاد حبشى ابراهيم ، مبارك عبده فضل ، محمد على عامر الزهار ، محمد كمال ••• وآخرين •

◉ التيار الثانى ، وكان يخالف التيار السابق •

ومع كل هذه الخلافات ، تبدأ أحاديث الوحدة بين الحزب الموحد وبين منظمتى الحزب الشيوعى المصرى وطليعة الشعب الديمقراطية التى غيرت اسمها الى « حزب العمال والفلاحين الشيوعى المصرى » •

وفى يوليو عام ١٩٥٧ تكونت منظمة الحزب الشيوعى المصرى المتحد من كل المنظمات المتقدمة مع الحزب الشيوعى المصرى ، وتبقى منظمة حزب العمال والفلاحين مستقلة •

ويتزعم هذا الحزب المتحد قيادة لم تذكر أشخاصها من قبل وهم :

الدكتور فؤاد مرسى السيد الحداد ، الدكتور اسماعيل صبرى عبد الله ، عادل سيف النصر ، وابن عمه ، أنجى أفلاطون ، محمد عباس سيد أحمد ، شهدى عطيه الشافعى ، محمد عبد المنعم شتله ••• وآخرين •

وقد ضبط تقرير بتوقيع الرفيق خالد وهو الدكتور فؤاد مرسى كما ظهر فيما بعد ، بعنوان مسألة تكوين الحزب وأسلوب التنظيمات الشيوعية · ومؤرخ ١٠/٩/١٩٥٧ ملحقا للنشرة السرية « الشيوعى » ·

كان الدكتور زعيم الحزب أمينـا فى هذا التقرير ـ من وجهـة نظره على الأقل ـ ونكتفى بتلخيصه ـ بأمانة ـ فيما يلى :

◉ لم تكن شخصية خالد معروفة حتى ذلك الوقت ·

◉ يشرح الزعيم خبرة الحزب الشيوعى السوفييتى والصينى والمصرى ودور اليهود فى الحركة الشيوعية فى مصر منذ عام ١٩٤٢ ، وأنه كان من الصعب كشف انتهازية هذه القيادة اليهودية ·

◉ تحدث عن الانقسامات التى حدثت فى الحركة الشيوعية والضربات التى أصابتها وظهور تنظيمات متعددة اثر اعلان الحكم الاستثنائى فى عام ١٩٥٣ وفترة الانتقال وذكر أسماءها كما قدمنا ·

◉ أنه فى مارس ١٩٥٤ ، قامت هبة ثورية ضد الحكومة ، اثر عودة نجيب وحدوث خلاف داخل الجيش · واشتركت الجماهير اشتراكا تلقائيا فى الهبة التى قادها الاخوان المسلمين « عملاء الاستعمار البريطانى » ، فلم يستطع الشيوعيون تولى قيادتها ، لأنهم كانوا داخل السجون والمعتقلات ، وأصدر أحد قادة حدتو من داخل السجن بيانا بتأييد الحكومة ، فى الوقت الذى كانت فيه الجماهير على وشك الاطاحة بها ، وهذا الرفيق هو خليل ـ وكافأته الحكومة بالافراج عنـه وكلفته بالسفر الى السودان لاقناع الشيوعيين السودانيين بتأييد الانضمام الى مصر فى الاستفتاء ·

رحلة السودان

فيما يختص بتكليف الشيوعيين بالسفر الى السودان ، فقد حدث أن طلب الصاغ صلاح سالم ، عضو مجلس قيادة الثورة رحمه الله ، الافراج عن بعض قادة حدتو للسفر الى السودان لاقناع زملائهم الشيوعيين بتأييد مصر فى الاستفتاء ، وقد أفرج عنهم وأرسلوا اليه . وتقابلت مع السيد صلاح سالم رحمه الله فى مكتبه وحاولت أن أشرح له موقف الشيوعيين وأنهم لن يفيدوا فى هذه المهمة الا أنه استنكر منى التدخل فيما لا أفهمه ، وكانت النتيجة أن فشلت مهمته فى السودان . وقد كانت حدتو على صلة بالشيوعيين السودانيين ، وحاولت أن أشرح له رحمه الله أن شعار الشيوعيين جميعا ـ هنا وهناك ـ هو « فليرفع الاستعمار المصرى يده عن السودان » .

◉ استطرد الزعيم خالد قائلا فى نشرته أن الهبة فشلت وعاد الحكم العسكرى من جديد وبدأ عهدا ارهابيا .

◉ ان الحزب الشيوعى الفرنسى أعلن أن هنرى كورييل جاسوس وحذر الأعضاء من الاختلاط به ، وأن المنظمات الأخرى طالبت حدتو فى أواخر عام ١٩٥٤ بعزل قيادة حدتو القائمة لسوء سمعتها ، وأن حدتو اضطرت لفصل خليل ومساعديه وايقاف يونس وترك مكانه شاغرا الى أن تحل المشكلة فى المؤتمر بواسطة الأحزاب الشقيقة . وطعن فى الحزب الشيوعى المصرى الموحد وقال أنها وحدة انتهازية قامت على أساس توزيع الكراسى المركزية وبقاء العناصر الانتهازية وعدم توافر الضمانات للصراع الفكرى ، واتهم سياسة الحزب الموحد بالزيلية للحكومة ، وأن الكتلة اليونسية كانت تسيطر على المنظمة واتهمهم بالوقوف ضد اضرابات العمال ، واشتراكهم مع رجال هيئة التحرير والبوليس فى اقناع العمال بالعدول عن الاضراب بحجة المحافظة على الوحدة الوطنية .

◉ قال أن الشيوعيين جميعا قاتلوا الى جانب الحكومة بعد العدوان الثلاثى واشتركوافى معسكر طويحر فى الشرقية !!! ـ « لا أدرى اذا كان الاشتراك فى معسكر تدريب يعد قتال ضد العدوان الثلاثى · ولم يكن هناك حرب فى الشرقية فى معسكر طويحر وسبق أن أوضحنا ذلك » ·

◉ وقال أن منظمته « الحزب الشيوعى المصرى » انضمت الى الحزب الموحد وكونت منظمة الحزب المتحد · وعاب على المتحدين تعارضهم أثناء الانتخابات ·

هذا ما كتبه زعيم الشيوعيين خالد الذى عين بعد ذلك وزيرا للتموين وان أقل ما يمكن التعليق به على هذا التقرير ، أنه يناقض نفسه ، اذ كيف يتحد وهو الزعيم المعلم مع هؤلاء الانتهازيين التابعين لليهود ، وكيف ينتهى بدعوة منظمة طليعة الشعب أن تنضم الى هذا الاتحاد حتى يتم تكوين الحزب الشيوعى المصرى كما سيأتى ·

وكيف يتهم الاخوان المسلمين بأنهم عملاء الاستعمار البريطانى · وهو بلا شك لم ينس نشرته راية الشعب رقم ١٦٠ التى أصدرها حزبه فى ٧ سبتمبر عام ١٩٥٦ وما زالت فى ملفات القضايا ، ويدعو فيها الاخوان المسلمين باسم الكفاح المشترك فى سبيل الاستقلال والديمقراطية والسلام الى توحيد صفوف الوطنيين جميعا للوقوف بجانب حكومة عبد الناصر فى سياستها المعادية للاستعمار وهم ـ أى الاخوان ـ الوطنيين الذين ينصتون لصوت الوطن ويلبون دعوته وينسون كل شىء الا اعلاء كلمته ·

وقد نسى زعيمنا وكبيرنا ومعلمنا خالد ـ كما كان يدعونه تلامذته ـ أنه قال فى عام ١٩٥٤ « فاشى مصر المفلس ينشد المجد فى باندونج » ··· بحق أن الذين لا يختشون ، ما زالوا أحياء ·

ولن أنته من تقرير الزعيم خالد قبل أن أكمل حديثه الى الاخوان المسلمين فقد قال أن عبد الناصر وقف فى وجه المستعمرين وأحلافهم ومؤامراتهم وكال لهم الضربات ، ما رفع من شأن مصر وأكد استقلالها ، ان لكم فى السجون والواحات

شباب عزيز ولنا معكم رفاق عزاز ، ولكننا نرى أن تأييدنا وتأييدكم لعبد الناصر، من شأنه أن يدفع به الى سبيل اطلاق الحريات • فتعالوا نؤيد الحكومة ولنعمل على أن يطلق عبد الناصر صراح جميع المسجونين الوطنيين ، تعالوا الى جبهة الوطن العريضة •

وليس لدى تعليق • ومن يجد فى نفسه الكفاءة فى التحليل والأسلوب الأدبى المؤدب فى الوصف ، فليتصدى بالتعليق على هذه الانتهازية أو هـذا التضليل أو هذه السخرية بعقول الجماهير • أما أنا فعلى أن أسجل فقط •

وليتنى أنتهى من هذا اليونس « هنرى كورييل » لأبدأ فصلا جديدا ولكننى أسبق الزمن قليلا قرب نهاية عام ١٩٥٧ ، اذ توجـد وثيقتان من مضبوطات القضية ٣ حصر أمن الدولة عام ١٩٦٠ •

الأولى تفيد أن الحزب الشيوعى المصرى احتج على وجـود هنرى كورييل عضوا باللجنة المركزية ، وذلك فى محادثات الوحدة ، **فبقى عضوا عاديا •**

والوثيقة الثانية نشرة داخلية بعنوان « آخر تطورات الوحدة ، العناصر من أصل يهودى » • جاء بها أن ممثلى الأحزاب الثلاثة فى مكتب الوحدة **وافقوا على عدم وجود رفاق يهود فى القيادة الجديدة ، باعتبار أنه موقف مؤقت يتفق مع الظروف الراهنة للحركة الوطنية العربية ، وأن أمامهم مجال النضال فى الحزب كله دون قيادته ، وان الاجراء مؤقت محدود بالظروف التاريخية التى تمر بها البـلاد •**

الدعاية الشيوعية خلال عامى ١٩٥٨/٥٧

فى نوفمبر عام ١٩٥٧ ، صدر بيان ممثلى الأحزاب الشيوعية والعمالية فى مؤتمر موسكو • ونجد فيه دعوة الى الأحزاب الشيوعية والعمالية ، للنضال من أجل قيام **جبهة وطنية** واسعة ، تمهد للانتقال الى الاشتراكية الماركسية — وأساس هذه الدعوة كما سبق أن قلنا قول لينين « **أن الحزب الشيوعى يسند الأحزاب الأخرى كما يسند الحبل المشنوق به** » •

وتنفيذا لهذه التعليمات ، قام الشيوعيون فى مصر بالدعاية **للجبهة الوطنية المتحدة** ، مع تأييد الحكومة لوقوفها ضد الاستعمار وعلاقتها الجيدة بالمعسكر الشيوعى والدعاية لتكوين لجان الجبهة فى المصانع والأحياء والقرى والمعاهد ، ولجان لأنصار السلام وجمع التوقيعات وتدريب الشعب على حمل السلاح ، وعقد معاهدة صداقة مع الدول الاشتراكية الصديقة والاتحاد الفيدرالى مع سوريا •

وفى نفس الوقت تركزت الدعاية ضد الاتحاد القومى ، حزب الحكومة العفن • • •

وقد أصدرت الطليعة الشيوعية نشرة صوت الشعب فى أكتوبر ١٩٥٨ ، وهاجمت السيد الرئيس محمد أنور السادات لحديثه مع يوسف ادريس الكاتب بصحيفة الاهرام ، عن الاتحاد القومى وقالت أنه حزب سياسى لحكومة طبقة كبار الرأسماليين •

وشـــعار **الجبهة الوطنية المتحدة** من أخطر الشعارات التى يلجـــأ اليها الشيوعيون للسيطرة على السلطة ، وقد استعملوه فى حالات متعددة بعد الحرب العالمية الثانية ، اذ تسللوا عن طريق شعار الجبهة الى الأحزاب الأخرى فى بعض البلاد الأوروبية ، والى بعض الحكومات والهيئات العالمية ، فنخروا عظامها من الداخل واكتسبوا الانهازيين فى صفوفهم ٠

وعندما اشـــتد ساعدهم تمكنوا من السيطرة على البـلاد ودعوا القوات العسكرية السوفييتية لاحتلالها ، وقد حدث ذلك فى جميع بلاد الكتلة الشرقية الأوروبية بصورة أو بأخرى ، وتمكنوا أيضا بنفس الأسلوب من الاستيلاء على بعض الهيئات العالمية ، كاتحاد العمال العالمى الذى انسحبت منه الدول الغربية بعد ما سيطر عليه الشيوعيون ٠

الفصل الثالث

الإستقراطية والحزب الشيوعي المصري

أليس غريبا ، أن أبدأ حديثى عن الحزب الشيوعى المصرى بالشيوعية الأرستقراطية أو الأرستقراطية الشيوعية ؟!

فى الواقع أن المنظمة بعد تأسيسها وانضمام الأعضاء اليها أصبحت ككل المنظمات تضم شبابا ورجالا وسيدات من جميع الأوساط وسيلحظ القارىء من بين قادة المنظمة عددا لا بأس به من الشباب الاستقراطى ثقافة وأصلا ونسبا ٠

فاذا رجعنا الى عام ١٩٤٩ واتجهنا رأسا الى باريس ، نجد اثنين من المبعوثين المتفوقين علميا ٠ الأول كان ينتهى من دراسته والثانى عاد لمصر فى أغسطس ١٩٥١ ٠

الأول هو الدكتور فؤاد السيد مرسى الحداد ، والثانى الدكتور اسماعيل صبرى عبد الله ٠

كان الثانى عضوا فى الحزب الشيوعى الفرنسى (عضو لجنة قسم) ، وقد وصلتنى هذه المعلومة من أحد قادة المنظمة الذى كتبها فى أوائل الستينات فى مذكرة له عن تشكيل المنظمة ، عندما اعتقل عدد كبير من الشيوعيين ٠

ولن نلصق هذه المعلومة بالأول ، لسبب يجعلنا نحجم عن ذلك وهو أنه لم تصلنا عن أى طريق .

اتفق الاثنان ومعهما آخرين على تأسيس الحزب الشيوعى المصرى ، ووضعا له لائحة وبرنامج ونفذ الأول الاتفاق بمجرد عودته من الخارج . وجاء باللائحة ، فى مادتها الأولى (أن الحزب الشيوعى المصرى) هو حزب الطبقة العاملة الذى يعبىء فى صفوفه العمال وغيرهم من الفلاحين والمثقفين المعتنقين لنظرية الطبقة العاملة فى كفاح واحد من أجل التحرر والرخاء والديمقراطية والسلام ثم من أجل الاشتراكية ، مستوحيا تعاليم نظرية ماركس وانجلز ولينين وستالين . ومترسما خطا الحزب الشيوعى البلشفى ومستنيرا بتجربة الحزب الشـــيوعى الصينى وتعاليم قائده ماوتسى تونج .

وجاء فى المادة الثانية (يكون عضو بالحزب الشيوعى المصرى ، كل شخص تتوافر فيه بعض الشروط ومنها أن يقرأ برنامج الحزب وأن يدعو له بين الجماهير وأن يعمل على تحقيقه) (١) .

وجاء فى أسس التنظيم السرية بعض التعليمات والأوامر ، وما يلفت النظر فيما جاء ببعض الأوراق المضبوطة فى عدة قضايا عن هذه الأسس ، أن الحزب الشيوعى المصرى حزب ثورى يكافح ضد المجتمع الرجعى القائم ويرفض قوانينه ، فلا يجوز لأحد أن يدعى أنه يمكن العمل فى حماية هذا المجتمع أو قوانينه . أننا حزب ثورى لا يحتمى الا بقوة الجماهير ، والدولة كلها مجهزة بكل سلاح للقضاء عليه بوصفنا الحزب الثورى القادر على حل مشاكل الجماهير . ولذلك وجب على حزبنا أن يتخذ شكل التنظيم الذى يمكنه من مواصلة كفاحه الثورى ويحميه فى نفس الوقت من جهـــاز الدولة ، بعيدا عن البوليس والرقبـــاء والجواسيس والمتطفلين .

---

(١) انظر صورة صفحة من اللائحة .

مواد اللائحة

أولاً

الحزب الشيوعي المصري وشروط الانضمام اليه

مادة أولى ـ الحزب الشيوعي المصري هو حزب الطبقة العاملة الذي يجمع في صفوفه العمال وغيرهم من الفلاحين والمثقفين المعتنقين لنظرية الطبقة العاملة في نضال واحد من أجل التحرر والاشتراكية الديموقراطية والسلام ثم من أجل الاشتراكية، مسترشدا بتعاليم نظرية ماركس وانجلز ولينين وستالين، ومترسما خطى الحزب الشيوعي البلشفي، ومستنيرا بتجربة الحزب الشيوعي الصيني وتعاليم قائده ماوتسي تونج .

مادة ٢ ـ يكون عضوا بالحزب الشيوعي المصري كل شخص تتوافر فيه الشروط الآتية :

١) أن يقرأ برنامج الحزب وأن يدعو له بين الجماهير، وأن يعمل على تحقيقه

ووقع هذا التقرير (خالد) وثبت أنه الدكتور فؤاد السيد مرسى الحداد كما سيأتى ٠

وكانت العبارة الدارجة بين أعضاء التنظيم هى ما قاله لينين أن (أ٠ ب العمل الشيوعى هو الكفاح ضد البوليس من أجل استمرار النضال الثورى) ٠

وقبل أن أستطرد فى الحديث عن المنظمة ، أود أن أنوه بأنها لم تكن امتدادا للحزب الشيوعى المصرى القديم الذى بدأ فى أول العشرينيات وانتهى تماما فى أوائل الثلاثينيات ٠

بدأت هذه المنظمة عملها بالأسس السابقة الذكر التى لم تتغير حتى القضاء عليها ٠ ولم تكن هذه الأسس تختلف عن الأسس التى قامت عليها باقى المنظمات الاخرى ٠ الا أن منظمة الحزب الشيوعى المصرى تفوقت على غيرها فى التطبيق ، حتى أننا لم نصل الى معرفة حقيقة شخصية (زعيمنا ومعلمنا وكبيرنا خالد) كما أسماه أعضاؤها ، الا فى منتصف عام ١٩٥٨ أى بعد تأسيس المنظمة بعشر سنوات تقريبا ٠

وبدأت المنظمة فى الدعاية بطبع النشرات السرية مثل الثقافة الجديدة والفلاح وراية الشعب والحقيقة وغيرها من الكراسات التعليمية فى النظرية الماركسية وملحقاتها ، وأما راية الشعب فهى خاصة للتوزيع بين الجماهير ولذلك أطلق على المنظمة اسم حزب الراية ، ومن باب العلم فان هذا الاسم وأسماء كثيرة للنشرات والشعارات أطلقت على مثيلاتها بمعرفة البلاشفة قبيل الثورة الروسية٠ وقبل ثورة الجيش تمكنت من توزيع الكثير من هذه النشرات ، ومع ذلك فلم يضبط من أعضائها الا عدد قليل فلم تتأثر المنظمة تأثيرا كبيرا فى نشاطها ٠

وكان من هذه القضايا ــ من ناحية المضمون وليس الشكل ــ القضية رقم ٢٣٣١ جنايات مصر الجديدة عام ١٩٥١ ٠ اذ ضبط أصلان موسى كوهين يحوم حول منزل المرحوم مفتى فلسطين ولم يكن معه سوى مفتاح مسكن ولم تجد

معه ما يدل على شخصيته أو عنوان مسكنه • ولما شاهده المختصون تعرفوا عليه وعلى مسكنه ، وانتقلت مجموعة ودخلت المسكن بالمفتاح المضبوط ، وفوجئت بأحد الشيوعيين المعروفين وهو محمد عباس سيد أحمد وكان نائما فى السرير مع لوسى كوهين زوجة أصلان موسى كوهين وأوديت سلامون سدنى زوجة سلامون سليم سدنى وهما من الشيوعيين المعروفين •

وأننا نربأ بأنفسنا عن ذكر فضائح ليس لها داعى ، وانما نود أن نذكر أن لائحة كل المنظمات الشيوعية تدعو العضو أن يسلك مسلكا طيبا بين الجماهير وأنه لا يقبل فى صفوف الحزب الأشخاص الذين يؤدى مسلكهم الخلقى والاجتماعى الى تشويه سمعة الحزب أمام الجماهير الشعبية •

حكم فى هذه القضية على المذكورين جميعا بالحبس مع الشغل والغرامة • وأذكر أنه ضبط فى المسكن مبلغ حوالى ستمائة جنيه مصرى ادعت احداهن أنه لها ، فضلا عن الأوراق الشيوعية ومعظمها خطى بالعربية والفرنسية ، وقد استفدنا من هذه الاوراق كثيرا فى معرفة خبايا منظمة الحزب الشيوعى المصرى التى ترقى فيها محمد عباس سيد أحمد الارستقراطى الى عضوية اللجنة المركزية فيما بعد •

المنظمة وثورة يوليو عام ١٩٥٢

لو اجتمع كل أعداء مصر فى ذلك الوقت على مهاجمة الثورة المصرية التى أبعدت الملك وتولت السلطة وأعلنت مبادئها ، لما توصل المجتمعون الى أسلوب مهاجمتها ورجالها والطعن فى وطنيتهم ، مثلما قامت به منظمة الحزب الشيوعى المصرى عند قيام الثورة ٠ فقد اتهمت رجال الثورة بالخيانة وبأن أمريكا دفعتهم الى الثورة ، وبالفاشية والدكتاتورية وغير ذلك منذ اليوم الاول لقيامها ، ولم تقف المنظمة عن مهاجمة الثورة ، الا بعد اتفاقية الاسلحة مع الاتحاد السوفييتى وياليت هذا الموقف لم يكن مشوبا بما يشوهه فان الشيوعيين من هذا الحزب لم ينسوا لحظة ما تعلموه من النضال لاسقاط الحكومة بالصراع الدموى وتقليب الطبقات عندما يحين الوقت المناسب ٠

كانت أولى القضايا الهامة التى تعتبر ضربة قوية فى صميم السرية التى غلف بها الحزب أعماله والتى ان دلت على شئ فانما قد دلت على أنه كانت هناك أموال تنفق عن سعة للمحترفين والدعاية والطباعة والأجهزة ولم يكن لدينا فى هذا الوقت دليل مادى على ذلك ٠

كنا نسمع من الأقوال المتواترة بين الشيوعيين أن الحزب لديه أوكار تحت الأرض لا يمكن الوصول اليها ، وأن له مخزن فى حجرة مصفحة تحت الارض وتستعمل لاخفاء النشرات وحفظ أرشيف كامل لكل مطبوعاته ٠

وفى فبراير من عام ١٩٥٣ ، ضبط عدد كبير من أعضاء الحزب الشيوعى المصرى ومنهم سعد باسيلى جرجس الذى فتش مسكنه بالدور الأرضى من منزل بشارع الجسر بشبرا ، وقد أمكن رفع عدة بلاطات من أرضية حجرة النوم تحت السرير فظهرت حجرة مصفحة فعلا بها أدوات طباعة وأوراق وأرشيف للحزب

من تقارير ونشرات مما ناءت بحمله سيارة نقل • وأذكر أن مهندسى المبانى الذين انتدبتهم النيابة للمعاينة ، أبدوا دهشتهم عن كيفية بناء هذه الحجرة دون ملاحظة خطورتها على المبانى •

وحكم على المتهمين بالسجن مددا تتراوح بين سنة وعشر سنوات مع الأشغال الشاقة • وقيدت القضية برقم ٢٨٦ عسكرية عليا لعام ١٩٥٣ •

وملاحظة بسيطة عن القضية السابقة تخلص الى أن جميع المتهمين فيها من الشباب والعمال متوسطى الحال والطلبة من أسر عادية • أما قادة المنظمة فمن أبناء الأسر الغنية ولم تخلو عائلاتهم من أحد الباشوات السابقين أو كبار المثقفين الحاصلين على أكبر الدرجات العلمية ، وهؤلاء يعيشون فى أبراج عالية ويحيطون أنفسهم بسياج من الحرص والسرية ليأمنوا المخاطر • ولكنهم يرسمون الخطط ويخططون للاستيلاء على السلطة وينصبون أنفسهم أولياء على الطبقة العاملة وأوصياء على الجماهير •

كانت هذه أول ضربة كبيرة حاقت بالمنظمة ، وقد كتب أحد قادتها فقال فى نشرة (كيف نحمى أنفسنا وتنظيمنا من غدر الفاشية وجواسيسها وأقلام مخابراتها وبوليسها ومأمورى الاستعمار • علينا أن ندرس أساليب العدو الذى نكافحه) • وهكذا يفكر القائد فى وسيلة لحماية الذين وقعوا فى حبائله •

تحضرنى صرخة من صرخات الندم التى أطلقها أحد أعضاء هذه المنظمة وقد عبر بهذه الكلمات (أربعة عشر عاما سلختها من عمرى ثم ألقيت بها فى البحر ، وكثيرون من قبلى سلخوا من أعمارهم سنوات وألقوا بها فى الظلام ••• قضيت معظم هذه المدة بين اختفاء ومعتقل وسجن وبعد أن شرح بعض التفاصيل كتب قائلا أية مبادىء تقول لكم أن المدللين من أبناء الاقطاع والباشوات وسيدات الصالونات وعارضات الأزياء والارستقراطيين هم قادة الطبقة العاملة المصرية ، سوى مبادىء الدجل والتضليل ؟!) •

ألم أبدأ حديثى بارستقراطية الحزب الشيوعى المصرى ؟ وللعلم فان هذا الخطاب وصلنى بعد عامين من احالتى للتقاعد وأكتفى منه بهذا القدر •

القضية رقم ١٥٠ جنايات عسكرية عليا عام ١٩٥٦

كانت هذه القضية عبارة عن عدة قضايا ضمت الى بعضها ونستمد من أدلتها المعلومات عن الحزب الشيوعى المصرى التى توصلنا اليها خلال هذه الفترة .

واصلت المنظمة نشـــاطها بعد فبراير ١٩٥٣ وظلت تصـــدر القرارات والبيانات بخط اليد ومنسوخة باكربون ، وقامت بتنظيم دقيـــق وفى حرص شديد بعد تغيير الاتصالات والتحركات ثم عادت من شهر مارس ١٩٥٣ ، تصدر نشرات راية الشعب والحقيقة والفلاح والطلبة « والنصر مخصصة لرجال الجيش » ومصر المكافحة باللغة الفرنسية للأجانب ، غير ما كانت تصدره ، من دراسات ثقافية ماركسية ٠

وفى ٢٧ فبراير عام ١٩٥٤ أى بعد سنة كاملة من ضبط وكرها فى شبرا ، ضبط العديد من أعضاء المنظمة من قادتها كما ضبطت أوكارها السرية للطباعة وتخزين المنشورات فى القاهرة والاسكندرية وطنطا وقرية تابعة للتوفيقية ٠ وكان أخطر أوكار الطباعة ما ضبط بمدينة طنطا ، وكان يتولى طباعة النشرات الهامة كراية الشعب وغيرها ٠

كان هذا الوكر يقع فى شقة بالدور العلوى من المنزل ٥٦ شارع الجيش وبتفتيش المسكن وجدت به بعض الاوراق الشيوعية والمنشورات ، وكنا نعتقد أن آلات الطباعة موجودة بتلك الشقة ٠ ونظرا لأن الناظر الى المسكن من الخارج يرى أربعة شبابيك ، فى حين أنه من الداخل توجد ثلاث حجرات لكل حجرة شباك واحد ٠ وأخيرا اكتشف **فى نهـــاية الطرقة حوض مركب فوقه صنبور بالحائط ، وبفتحه لم تنزل منه المياه وتبين أنه غير متصل بمواسير المياه ،** وبفحص ماسورة الصرف أسفل الحوض وجدت غير متصلة ببلاعته ويتدلى منهـــا سلك قصير ٠ وبشد هذا السلك وبدفع ماسورة الصرف للداخل انفتح باب ثقيل

أسفل الحوض أدى الى حجرة(١) وجدت بها مطبعة كاملة ولوحات كبيرة لحروف الطباعة وفوقها صورة ستالين معلقة على الحائط(٢) ، كما وجدت نشرات وأوراق للطباعة وأصول نشرات ، وفوق المطبعة حروف معدة لنشرة الفلاح العدد ١٩ ، وتبين أن باب الحجرة السرى عبارة عن باب خزينة حديد طلى من الخارج حتى يماثل الحائط عند اغلاقه بغير أن يظهر وأنه ينفتح عند شد السلك بطريقة هيدروليكية دقيقة •

وضبط أيضا عند أحد المتهمين متولى محمد بحر وهو سكرتير المدرسة الابتدائية ببلدة الضهرية مركز ايتاى البارود ، جهاز رونيو للطباعة وأوراق ومنشورات مطبوعة وأصولها •

ونخرج من هذه القضية المكونة من عدة قضايا حتى تمت المحاكمة فى عام ١٩٥٦ بالملاحظات الآتية :

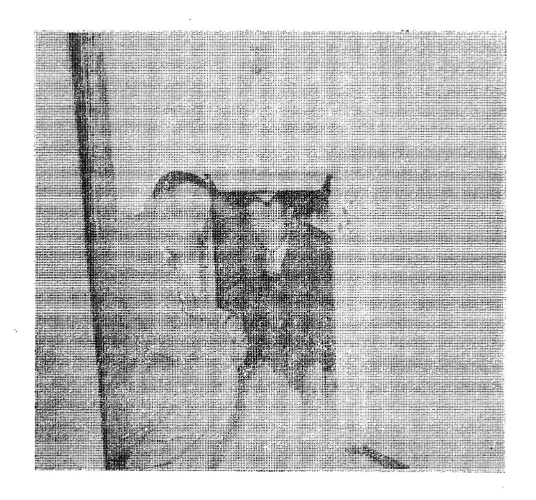
◉ من بين المضبوطات أوراق مبين بها حسابات بالمصروفات ، ولا يوجد من بينها ورقة واحدة عن الايرادات والاشتراكات التى تحصل من الاعضاء •

◉ ما زال السؤال الحائر يتردد علينا ، وهو من أين يأتى الحزب الشيوعى المصرى بالأموال التى تكفى الانفاق على كل هذا النشاط من محترفين واتصالات وسفر بين القاهرة وطنطا وكفر الزيات المحلة الكبرى كما ثبت من تحقيق القضايا ؟

◉ قدمت النيابة ٦٩ متهما فى القضية منهم ستة من العاطلين المحترفين للنشاط الشيوعى وأما باقى المتهمين فمن الطلبة والعمال البسطاء وأصاغر الموظفين ، ويستثنى منهم الدكتور اسماعيل صبرى عبد الله الذى كان قد عين مستشارا اقتصاديا بمجلس الوزراء قبل ضبطه بيومين • وعادل سيف النصر من عائلة سيف النصر المعروفة •

---

(١) انظر صورة باب الوكر •
(٢) انظر الصورة التالية للمطبعة •
(٣) صورة لوحات الحروف وفوقها صورة ستالين •



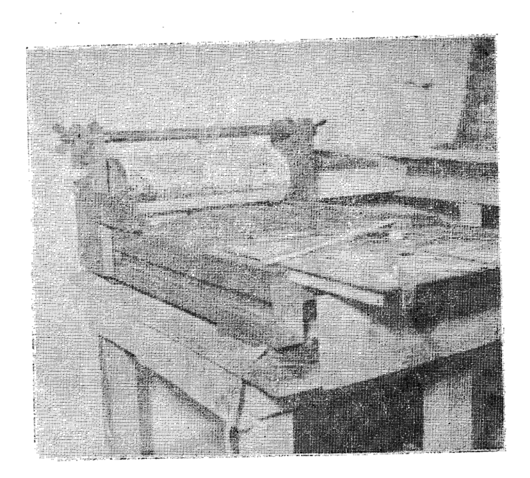
باب الوكر

◉ الدكتور اسماعيل صبرى عبد الله أحد المتهمين فى هذه القضية كما قلنا ، وأنا أكن لعبقريته تقديرا خاصا ، وقد كدنا نقع فى خطأ غير مقصود ، وعذرنا الظلام الحالك الذى كنا نسير فيه • فقد اعتقدنا أنه زعيم التنظيم ، حيث وصلتنا بعض المعلومات المتواترة عن صفات الزعيم وأوصافه مما انطبق تقريبا على الدكتور اسماعيل صبرى خاصة وأنه كان مدرسا للاقتصاد وأعلى مستوى بين الأعضاء وصلنا اليه •

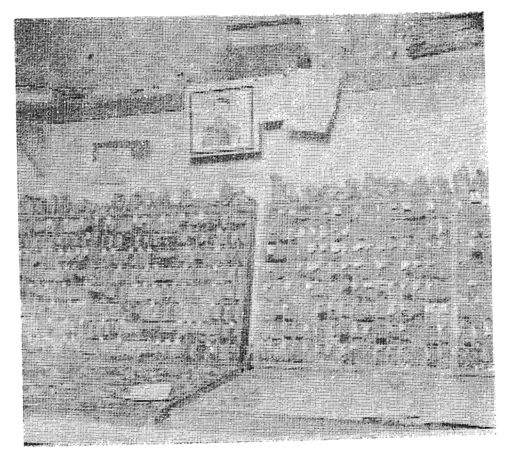
ضبط كتيب من الكتيبات التى أصدرتها المنظمة بعنوان (من هم الشيوعيون المصريون وماذا يريدون) بقلم خالد سكرتير عام الحزب الشيوعى المصرى • وورد

به (أن الشيوعيين لن يمسوا مبدأ الرأسمالية الفردية ولن يصادروا أموال الرأسماليين بالجملة وعلى العكس فان سياستهم بالنسبة للرأسماليين ، هى حماية وتشجيع الصناعة والتجارة بشرط ألا تكون احتكارية جشعة تسيطر على الحكام وتتحكم فى أقوات الملايين) .

ولما واجهت النيابة الدكتور اسماعيل صبرى فى التحقيق بهذه العبارات . قرر أن ما ورد بالكتيب صادر عن شيوعيين مبدؤهم الغاء الملكية الفردية ، ان عاجلا أو آجلا ، وان قالوا غير ذلك فان قولهم يكون من قبيل الدعاية السياسية المقصود بها طمأنة بعض الناس .



ماكينة الطباعة



صناديق الحروف وفوقها صورة ستالين

● ضبطت مع المتهم ثروت الياس سلامه عدة ورقات محررة بالحروف الأفرنجية قال انها محررة باللغة الالمانية ، وتبين أنها محررة بالشفرة وأمكن حل رموزها وتبين انها خطابات محررة بالسجن من متهمين محبوسين والباقى تقارير أدت الى ضبط متهمين آخرين من أعضاء المنظمة ٠

● من بين التقارير المحررة بالشفرة ، تقرير بعنوان (مسألة طهران) **ويدل على أن الحزب الشيوعى المصرى على اتصال مستمر بحزب توده الشيوعى الايرانى** عن طريق عضوين بالحزب الشيوعى المصرى هما مجدى عبـد المقصود شاهين وعويس محمد أحمد، وكان الأخير كاتبا بفرع شركة مصر للطيران بطهران، وسبق الحكم على كل منهما بعشر سنوات أشغال شاقة فى القضية رقم ٤٩٠ عسكرية عليا عام ١٩٥٢ ٠

ولفت النظر ، أن هذا التقرير أشار الى مستندات أرسلت من الحزب المصرى الى حزب توده ومنها شعارات الحزب واسم مجلته وهى راية الشعب • وان حزب توده فكر فى الاعلان عن الحزب الشيوعى المصرى فى جريدته السرية ، وأشار الى سرعة البت فى المسألة المادية بالذات ••• كما أشار التقرير الى أسماء بعض أعضائه بطهران وهم على نعمان ومحمد سعيد وقدسى ناظمى وآخرين ممن اتصل بهم مجدى شاهين ، والشاعر محمد مهدى الجواهرجى وهو عراقى أبعد عن بلاده فى ذلك الوقت وأقام فى ايران وتبين سابقة حضوره لمصر واتصاله ببعض الشيوعيين ثم عودته •

وحزب توده معروف بأنه من الاحزاب الشيوعية القديمة ، ومتصل منذ تأسيسه بالشيوعية الدولية • ويظهر من طلب سرعة البت فى الناحية المادية الواردة بالتقرير أن الحزب الشيوعى المصرى أصبح تابعا للشيوعية الدولية **ويمول من الخارج •**

◉ من بين النشرات المضبوطة فى هذه القضايا ، نشرة بعنوان (يسقط صلاح وعبد الناصر) ومؤرخة ٢ سبتمبر ١٩٥٤ ونلخصها فيما يلى :

(ان الحزب الشيوعى المصرى فضح عصابة السفاح عبد الناصر منذ يومها الاول ، لقد أوضح الحزب تبعيتها للاستعمار الانجلو أمريكى •• لخدمة مشروعاته العدوانية واستنزاف موارد شعبنا • وبالأمس سجنت رشاد مهنا أحد أعضائها ثم نفت خالد محيى الدين الى الخارج • وبعد أن انفضحت العصابة بتسليمها الشعب السودانى للاستعمار ، يحاول الجاسوس عبد الناصر أن يلقى تبعة الخيانة على الصاغ الخليع صلاح سالم • أيها الوطنيون ، لنتحد جميعا ضد الاستعمار ولنسرع فى اسقاط العصابة المتناحرة على خدمة أسيادها) •

أرجو من القارىء أن يعى هذا الكلام جيدا ويتذكر ما كتبناه عن سياسة المنظمات الشيوعية فى الفترات السابقة التى لا تختلف عن سياسة الحزب الشيوعى المصرى •

ـ كان بعض المنظمات يتهم البعض الآخر بالعمالة للاستعمار ومع ذلك توحدت كلها !! • لحساب من كان موقف هذه المنظمة وغيرها ؟

والسبب الوحيد لهذه السياسة

يسير كل الشيوعيين فى خط الهجوم العشوائى ضد الحكومة ، وذلك حتى يوم فوجىء فيه الشعب والعالم كما فوجىء الشيوعيون أيضا باتفاقية الاسلحة مع الاتحاد السوفييتى .

وهنا وبغير مقدمات ينقلب الشيوعيون فجأة من موقف المهاجمة ، ويغيروا من لون جلودهم ، وتصدر عنهم البيانات بتحليل جديد للحكومة ، انتهوا فيه الى أنها حكومة وطنية . وشذت منظمة واحدة أصدرت نشرة قالت فيهـــا (ان عبد الناصر أحضر السلاح ليخمد به أنفاس الحركة الوطنية) ، وفى نشرة أخرى تقول (**ان استقلال البلاد لن يتم الا على أيدى الجيش الاحمر**) .

أليس هـــذا الهجوم شذوذا فى التفكير ؟ أليس هذا التأييد شذوذا فى العقل ؟ بل وأعلى مراتب النفاق والانتهازية ؟

سافر الرئيس الراحل جمال عبد الناصر لحضور مؤتمر باندونج ، وطلعت نشرة راية الشعب العدد ١٤٤ فى ابريل عام ١٩٥٥ تقول (فاشى مصر المفلس يبحث عن المجد فى باندونج ، واستنكرت عليه الجلوس مع قادة الشعوب المتحررة، مثل شواين لاى وهوشى منه . وقالت انه فاشى خائن يحاول اخفـــاء صفاته بالتمسح فى أذيال الشيوعية) .

وفى نشرة أخرى فى ١٩ أغسطس عام ١٩٥٥ تقول (لن يخدع المصريون بموافقة عبد الناصر على زيارة الاتحاد السوفييتى ، واذا كان يريد أن يقيم علاقات مع قادة الاتحاد السوفييتى ، فلماذا ينكل بالشيوعيين المصريين ، قادة الشعب المصرى . واذا كان عبد الناصر يريد أن يقيم علاقات مع السوفييت ، فليعقد ميثاق عدم اعتداء مع الاتحاد السوفييتى . وذيلت النشرة بالهتاف بحياة الاتحاد السوفييتى وسقوط قائد بلدهم مصر) .

أليس هؤلاء الناس سوفييتيين فى مسوح المصريين ؟ .. ومن أين تأتيهم صفة المصرية وقد **وضعوا من ثدى الصهيونية ، وتغذوا على فتات السوفييت .**

وزار الرئيس الراحل موسكو ، وبعد فترة أعلن عن صفقة الاسلحة التشيكية وبدأ عهد جديد فى العلاقات المصرية السوفييتية .

واذا بأصحاب الحنكة السياسية ، والآراء التقدمية الماركسية التى لا تخطىء، يحولون سياستهم تماما الى تأييد للحكومة المصرية ، أو تأييد مغلف بالسموم . وتنشر راية الشعب العدد ١٦٠ فى ٧ سبتمبر عام ١٩٥٦ ما يأتى :

(ان الحكومة خلال عامى ١٩٥٥ ـ ١٩٥٦ خطت خطوات لا بأس بها فى توثيق العلاقات الاقتصادية بيننا وبين الدول الاشتراكية ودول الديمقراطيات الشعبية وكان لهذه الخطوات آثار ملموسة فى تخفيف وطأة الأزمة التى أوجدها الاستعمار وطالبت النشرة بزيادة توثيق هذه العلاقات وهللت باستجابة عبد الناصر لبعض مطالب الشعب فى الدفاع عن السلام العالمى والاتجاه نحو الاستقلال وتأميم شركة القناة الاستعمارية ، وطالبت بتعبئة الشعب فى حرب شاملة ضد الاستعمار وبحرية جيش التحرير وحرية الوطنيين للاجتماع والتظاهر وتنظيم أنفسهم وفى حمل السلاح بلا قيود !!) . الوطنيون هنا أى الشيوعيين .

يا للخجل ؟ لو كان الخجل رجلا لاشتد كسوفه من نفسه حتى اختنق . ماذا يقال بعد ذلك ؟ وبعد أن كتبت مجلة الحقيقة الخاصة بالحزب فى عدد نوفمبر عام ١٩٥٦ (ان عبد الناصر بدأ مناهضته لخطة الاستعمار منذ آخر عام ١٩٥٤) . **كيف الحال يا سادة ؟!**

أوجه هذا السؤال للشيوعيين اولا ، وخاصة لزعيمهم ومعلمهم « خالد » ورجاله الأبطال الذين يرسمون سياسة حزبهم الشيوعى ويصدرون نشراته ودعايته ... يا ترى ، ماذا يقولون ؟

وأوجه نفس السؤال الى كل من يقرأ كتابى هذا . لعله يجد له اجابة اجابة شافية ويجد للشيوعيين وصفا دقيقا يميزهم عن الناس .

ترى أخى القارىء ، ان ولاء الشيوعيين لم يكن يوما لبلدهم ، وان ادعوه ، وان من يغير جلده ، بين يوم وليلة يكشف عما فى نفسه بغير موارية ، وفى نفس الوقت ، يدعى أنه وأصحابه وحدهم منقذوا الوطن من الاستعمار ، والطبقات الفقيرة من براثن الطبقات الرأسمالية ، والمكافحون المناضلون الشرفاء — أى والله الشرفاء — الذين لا يوجد سواهم وسط الملايين من أبناء الشعب ، والذين يتخذون من دون الأسلحة سلاحا واحدا ، هو العبارات الجوفاء ، التى قد تلقى هوى فى نفوس البسطاء والسذج ، ويدافعون عن آرائهم بالكلمة الوقحة والارهاب الفكرى، ويحتمون بالسرية لتحاشى مواجهة الناس والتهرب من حسابهم ٠

لم تكن هذه السياسة مقصورة على منظمة الحزب الشيوعى المصرى ، لكنها شملت جميع الشيوعيين فى مصر ، الذين هاجموا نظام الحكم فى الداخل والخارج، وبمجرد علمهم بعقد الاتفاقيات العسكرية والتجارية مع السوفييت ، هـللوا وكبروا للحكومة الوطنية ٠ ناهيك بموقف الشيوعيين من العدوان الثلاثى على مصر ٠ ويكفى أن نذكر التقرير الذى بعث به هنرى كورييـل ومجمـوعته من الصهاينة ، ونشرة الشيوعيون فى مصر ، يطالبون بالصلح مع اسرائيل ، مع عدم ابراز عدوان اسرائيل ٠ ويؤيدهم فى ذلك جميع الأحزاب الشيوعية فى البلاد العربية ٠

وكمـا ذكرنا ، فقد جاءهم رسـول من قبل الأحزاب الشيوعية العالمية ، يدعوهم الى وحدة شاملة مع باقى المنظمات الشيوعية فصدرت النشرات التى تدعو الى الوحدة من مختلف المنظمات ٠ تحدد شروط الوحدة ، كما تدعيها كل المنظمات ، وأقول شروط الوحدة ، ولكنها فى الحقيقة ، مناقشات يتيـه فيها الأعضاء ، وينشغلون فى أحاديث لا فائدة منها للوحدة أو للشقاق ، ولكنه أمر مقرر فى الخارج ، ينفذه الزعماء ٠

ومن النشرات التى ظهرت ، نشرة داخلية للأعضاء ، مضبوطة فى احدى القضايا ، بدأت بأقوال لينين عن « الحزب المتلاحم البنية كصخرة من صوان ، موحد بصورة متينة ، حزب للثورة الاجتماعية ولدكتاتورية البيروليتاريا ، وان وحدة الارادة والنظام الحزبى الصارم ج يتفقان مع وجود انشقاقية وتكتلات » أشير الى ذلك فى مؤتمر الحزب الشيوعى البلجيكى ، ومؤتمر الحزب الشيوعى الالمـانى ٠

إعلان وحدة الشيوعيين وقيام الحزب الشيوعي المصري

نحن الآن فى أواخر عام ١٩٥٧ ، وقد خلقت العلاقة بيننا وبين الاتحاد السوفييتى فرصا مواتية لزيادة النشاط الشيوعى ، الى حد لم يصل اليه من قبل ، ولم يخرج الشيوعيون عن وسائلهم فى التنظيم السرى والدعاية العلنية منذ تأسست الحركة الشيوعية فى مصر • فهناك الشيوعيون المنظمون ويعملون فى السر ، وهناك الشيوعيون المكشوفون ، أى المعروفين باعتناقهم المبادىء الشيوعية ، مثل الكتاب والأدباء والفنانين ، ويقف خلف هؤلاء جميعا العاطفون على الشيوعية من غير أعضاء المنظمات •

أما الأولون ، فيقومون من خلف الستار بتوجيه الآخرين لتأدية واجباتهم فى النشاط العلنى •

وكانت هناك عوامل ساعدت على انتشار هذا النشاط ، تتلخص الى ما يأتى :

- اطمئنان المنظمات السرية لموقف الحكومة منها ، اذ رأت الأخيرة ـ لأسباب ليست من شأننا توضيحها ـ أن تغض الطرف عن نشاط الشيوعيين فى ذلك الوقت •

- الدعاية السوفييتية التى تتمشى المنظمات الشيوعية مع سياستها ، وتتناسق معها وتعاونها بكل الامكانيات ، كما سيأتى •

- تسلل الشيوعيين الى الصحافة ودور النشر والاذاعة والتمثيل المسرحى وقصور الثقافة وبعض الوظائف التى تفيد سياستهم •

● التساهل فى القيود على تحركات الشيوعيين واتصالاتهم فى الخارج ٠

واسمح لى أخى القارىء أن أوضح المدى الذى وصلت اليه الدعاية الشيوعية فيما يلى :

الصحف والمجلات المحلية :

هذا هــو أهم الميادين التى يسعى الشيوعيون للتسلل اليها ثم السيطرة عليها ، فقد استغلوا المواقف فى الصحف والمجلات وجعلوها منـــابر للدعاية للشيوعية ــ بحــذق ومهــارة ــ وكتب العـــديد منهم فى صحف المساء ودار روز اليوسف وصباح الخير وعمل بعضهم فى الجمهورية والشعب ، وكان الكثيرون من هؤلاء أعضاء فى المنظمات السرية بل ومنهم بعض قادتها ٠

دور النشر :

أسس بعض الشيوعيين ، عددا من دور النشر ، أصدرت الكثير من الكتب ذات الاتجاه الشيوعى ، وذات العناوين الوطنية البراقة وكانت كلها تباع بأثمان رخيصة ، جعلها فى متناول جميع الطبقات ، ومنها ما يختص بالنشاط العمالى والنقابى ٠ وكان بعض المؤسسين لهذه الدور من أعضاء اللجنـــة المركزية فى المنظمات الشيوعية ٠

الكتب والمجلات المستوردة من الخارج :

يهتم السوفييت بالكتب والمجـــلات ، لنشر الشيوعية منــذ قيام الثورة البلشفية ، ويعتبرونها أهم أسلحة الدعاية ، وقبل قيام الثورة فى مصر ، ورد للسفارة ثمانية صناديق كبيرة ممتلئة بالكتب السياسية الا أنها احتجزت فى الجمارك ولم يسمح بتسليمها ، وعند بدء المفاوضات الخاصة بالأسلحة مع السفير السوفييتى السيد « سولود » طلب الافراج عن تلك الصناديق ٠ وعندما سئل هل هى كتب سياسية ؟ أجاب قائلا « أنها ليست كلها كذلك !!!

وما أن أفرج عن الصناديق ، حتى أصبحت فى يد الشيوعيين جميعا ، وضبط فى حيازتهم الكثير منها ، واستمر تدفق الكتب والمطبوعات من كل البلاد الشيوعية ، باللغات الفرنسية والانجليزية والعربية وحتى باللغة الروسية لمن يدرسون فى فصول اللغة بالمركز الثقافى ٠

يضاف الى ذلك ، ما كانت تصدره الصحافة والمراكز الثقافية ٠ وما كانت تبيعه التوكيلات التى أنشئت لبيع هذه المطبوعات فى أهم شوارع القاهرة ٠

ولمعرفة أهمية هذا النوع من الدعاية ، يكفى أن نذكر أن انطون تشيكوف ــ القنصل السوفييتى ــ وهو خبير بالشئون المصرية ، وكان يوزع بيده المطبوعات والمجلات السوفييتية فى بور سعيد ، مجانا على صغار الطلبة الذين يمرون من أمام السفارة ، وكان بعضها يتضمن مقالا دعائيا عن تعاليم الماركسية ونظريات لينين فى الحكم وأثرها على النظام ٠ كما وزعها على العمال فى اسوان ٠

المراكز الثقافيـــة :

منذ أنشئت المراكز الثقافية التابعة للاتحاد السوفييتى والدول الدائرة فى فلكه ، وهى تقوم بوظائفها التى حددت لها ٠ ولما كانت خطة السوفييت الدعائية تقوم على دعامات متباينة رئيسية ، فان من أهم الدعامات ، المراكز الثقافية التى أقامتها فى مصر لتحقيق مخططها فى الدعاية ٠

وتجمل المهام الملقاة على عاتق هذه المراكز فى جملة واحدة ، هى « تثقيف الجماهير » ٠ ولذلك تجد هذه الجملة دائمة التكرار ، فى المنشورات الشيوعية التى صدرت عن جميع المنظمات الشيوعية ٠ وهى تقول أن أهم واجبات الحزب الشيوعى هى تثقيف الجماهير بالثقافة الماركسية اللينينية ٠ وأن كادرات الحزب يجب أن تتسلح بالثقافة الشيوعية ٠

واذا تتبعنا نشاط المراكز الثقافية ، منذ أنشئت ، لوجدنا هذا النشاط وقد تعددت مجالاته واتسعت ميادينه ، مما يعد خطرا لا يقل عن خطورة المنظمات السرية ٠ ومن ذلك ما يأتى :

● **اغراء الشباب خاصة ، وفئات الشعب المختلفة بصفة عامة ، للتردد على مراكز الثقافة ، بالوسائل الآتية :**

● توزيع المطبوعات ذات الجاذبية الخاصة ـ أناقة فى الطبع ، وعناوين تغرى على القراءة بالمجان ـ ومنها المجلات والكتب ٠

● اقامة حفلات موسيقية وتشجيع الهواة على تعلم الموسيقى٠ وقد أوفدت بعضهم الى موسكو لدراسة الموسيقى والحصول على الشهادات منها ٠

● اقامة الحفلات فى المناسبات الوطنية ، سواء كانت هذه المناسبات سوفييتية أو مصرية ، ودعوة بعض الأساتذة والعلماء لالقاء المحاضرات العلمية والاجتماعية والاقتصادية على الحاضرين ٠

● من المناسبات الخاصة جدا ، ما أقيم لمناسبة ذكرى مولد لينين وذكرى الثورة البلشفية ٠

● امتدت هذه الحفلات الى المناسبات الدينية ، فقد احتفل المركز الثقافى السوفييتى بمولد الرسول « محمد عليه الصلاة والسلام » ودعت أحد رجال الدين لالقاء محاضرة مناسبة !!

● افتتحت فصولا لتعليم اللغة الروسية متعددة المراحل ٠

● اغراء المتفوقين فى اللغة ، بالألتحاق بجامعة لومومبا ، التى أنشئت خصيصا لتعليم أبناء آسيا وأفريقيا وبلاد أمريكا اللاتينية ، ومن شروطها النجاح فى العلوم الماركسية ٠

● استيراد الأفلام الروسية ومنها ما يدعو للشيوعية ويحرض عليها ، وقد اتفق المركز السوفييتى مع احدى دور السينما فى القاهرة ، لعرض هذه الأفلام بصفة مستمرة ٠

◉ استقدمت المراكز الثقافية ، كثيرا من الفرق الفنية المختلفة ، لتعرض فنونها فى القاهرة وبعض عواصم المحافظات · كالسيرك والباليه وفرق الرقص الشعبى والغناء · وكلها فرق مبهرة للشعب بكافة طبقاته ، تعكس مدى التقدم الذى أحرزه السوفييت فى ظل النظام الشيوعى ·

◉ **وظيفة المراكز الثقافية فى النشاط السرى :**

◉ تعتبر المراكز الثقافية ، أنسب الأمكنة للمقابلات التى تتم بين بعض الشيوعيين أو بينهم وبين بعض الدبلوماسيين المتخصصين ·

◉ تقوم المراكز بانتقاء العناصر الصالحة من الشباب ، لالحاقهم بالجامعات السوفييتية المختلفة ·

◉ ارشاد الشيوعيين المحليين فى بعض ما يعترضهم من مشكلات طارئة ، فى ظروف مفاجئة ·

◉ ترسم المراكز ـ بحكم اتصالها بالجماهير ـ صورة للرأى العام المحلى فى المناسبات السياسية والاقتصادية المختلفة ·

المجلس القومى المصرى للسلام :

وكان فرعا من مجلس السلام العالمى ، أحـد أجهزة الدعاية السوفييتية العالمية ، وكان بعض أعضائه لفترة من الشيوعيين المنظمين ·

وقد انتخب السيد خالد محيى الدين والسيدة سـيزا نبراوى فى مركز قيادى بمؤتمرات المجلس العالمى للسلام ، التى تنعقد فى احدى بلاد أوروبا ·

أدى هذا الانفتاح الى أن يعتبره الشيوعيون فرصة العمر ، فكشفوا عن أنيابهم واتسع نشاطهم السرى والعلنى ، وأسرعوا فى تحقيق الوحدة التى تضم جميع الشيوعيين لأول مرة فى تاريخ الحركة الشيوعية ·

أدت هذه العجلة الى تنازل المنظمات عن الكثير من نقط الخلاف الفكرية ، التى شغلوا بها الأعضاء فترة طويلة ، واقتصرت المناقشات على تحديد نسبة القياديين من كل منظمة ، وقد غض الطرف عن اليهود ، على أن يشتركوا كأعضاء عاديين فقط ، سواء الغائبين منهم أو الحاضرين أو الذين أسلموا ·

الباب الثالث

الفصل الأول :

إعلان الحزب الشيوعى المصرى
الحزب الشيوعى فى سوريا ولبنان
والوحدة بين مصر وسوريا
الشيوعية الدولية وأثرها فى الشيوعية المحلية
ما العمل ؟؟

الفصل الثانى :

مرة أخرى ، ما العمل ؟؟

الفصل الثالث :

القضية رقم ٣ حراسى الدولة عام ١٩٥٩
وشملت تحقيقات ثلاثة منظمات لكل منها قضية

الفصل الرابع :

قضية الحزب الشيوعى المصرى " الراية "
منظمة طليعة العمال والفلاحين
القضية رقم ٣٥٥ عليا عام ١٩٦١

الفصل الخامس :

المدرسة

الفصل الأول

إعلان الحزب الشيوعي المصري

فى ٨ يناير عام ١٩٥٨ ، أعلن الشيوعيون جميعا تكوين الحزب الشيوعى المصرى ، بقيادة يوسف أبو سيف يوسف — سكرتيرا عاما للحزب ، وكانت زعامة اتفق عليها حتى لا تستأثر منظمة الراية بكل المناصب الهامة .

وظل الحزب الشيوعى المصرى يعمل فى الميدان ، حاملا فى طياته عوامل هدمه — كما يقول الماركسيون — اذ شعرت المنظمات أنها مغبونة فى توزيع الكراسى للجنة المركزية واستأثرت منظمة الراية بعدد من عضوية اللجنة المركزية ، وأما الأعضاء العاديون ، فيساقون خلف قياداتهم الأصلية ليس لهم فى « الطور ولا فى الطحين » .

وصل الخلاف ذروته ، وتمكنت الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى من **سرقة أجهزة للطباعة** وردت حديثا من الخارج ، وما زالت فى لفافاتها ، ووضعتها فى منزل بالمطرية ، حيث ضبطت فى يوم ٣٠ يونيو من عام ١٩٥٨ .

أحدثت هذه السرقة ذعرا فى الحزب الشيوعى المصرى بهيلمانه ، وكانت القشة التى قصمت ظهر البعير .

وانقسم الشيوعيون الى منظمتين :

◉ **الحزب الشيوعى المصرى ٠**

◉ **الحزب الشيوعى المصرى من فريق « حدتو » ٠**

وكل منهما يدعى أنه هو الحزب الشيوعى المصرى ٠

ويحسن بنا أن نقف قليلا حتى لا يختلط علينا الأمر ٠ ونعرج نحو وحدة القطرين الشقيقين : مصر وسوريا ، التى أعلنت فى ٢٢ فبراير عام ١٩٥٨ ٠ ولم تدم طويلا ، وكان للشيوعيين العرب ــ أستغفر الله أقصد الشيوعيين فى البلاد العربية ، دور كبير فى افشالها ٠

لذلك تأتى المناسبة لذكر تاريخ الشيوعيين فى بعض البلاد العربية ٠

الحزب الشيوعي في سوريا ولبنان والوحدة بين مصر وسوريا

كما حدث في مصر ، فان الحركة الشيوعية في الشام ـ وكان يضم سوريا ولبنان ـ بدأها بعض الأجانب والأرمن في أول العشرينيات ، وكان الحزب الشيوعي الفلسطيني هو مركز الحركة الدولية في منطقة الشرق الاوسط ويرأسها يهودي كما قدمنا .

وفي عام ١٩٣٣ بدأت مرحلة تعريب الحزب السوري اللبناني ، وكان على رأسه أرتين مادويان وبوبودجيان وزاديك دادوريان وفؤاد الشمالي . وكان الأخير من عملاء الشيوعية الدولية وبدأ دوره فيها منذ أول العشرينيات بالاسكندرية مختصا بنقابات العمال وعضوا مؤسسا بالحزب الشيوعي المصري . وفي ٢٥ مايو عام ١٩٢٣ ، انفصل عن الحزب وأسس مع بعض السوريين واللبنانيين حزبا أطلق عليه اسم « الحزب الاشتراكي السوري اللبناني » ولم يسمع عنه شيء بعد اعلانه . وانتقل فؤاد الشمالي للعمل بالحزب الشيوعي بالشام .

وبعد اجتماعات ومؤتمرات في بيروت ، تدخل فيها الحزب الفلسطيني ، تمكن خالد بكداش قطوش الكردي من اتخاذ قرار بطرد العناصر الاجنبية وتكوين قيادة عربية للحزب .

ونجمل ما يهمنا فى نشاط الحزب الشيوعى السورى فيما يلى :

◉ كان بالشام فريق من الوطنيين ، تسمى « بالكتلة الوطنية » وهى حزب جماهيرى يكافح الاستعمار الفرنسى فى ذاك الحين ، وكانت هذه الكتلة على رأس النضال الشعبى • وقف الحزب الشيوعى فى الشام موقفا متطرفا ، هاجم فيه الكتلة الوطنية ونعتها بالحزب الانتهازى الاصلاحى ، وكان موقفــه يدعو الى السخرية • اذ كان فى خط الاستعمار وسياسته • واعترف فيما بعد بخطأه فى هذا الاتجاه •

◉ عنـــدما انقلب الوضع فى فرنســا عام ١٩٣٦ ، وتولت الأحزاب اليسارية الحكم ، كانت بلاد الشام تطالب بالاستقلال ، وتقاوم قانون المحافظات، الذى أراد أن يفرضــه المنـــدوب السامى الفرنسى ، وقامت المظاهرات الكبرى والاضرابات الشعبية فى المدن الكبرى تندد بهذا القانون • وتألف وفد المفاوضات من الكتلة الوطنية ، وقصد باريس لمفاوضة الحكومة التى أقرت الخطوط الأولى لمعاهدة فرنسية ـ سورية كخطوة فى طريق الاستقلال •

وهنا هرع خالد بكداش قطوش ـ الذى كان فى موسكو ـ الى باريس وبدأ مع زعماء الحزب الشيوعى الفرنسى والشيوعيين السوريين التدخل فى المفاوضات ولم يكن غرضهم نجاح المعاهدة بل كان همهم تدعيم نفوذهم فى الحركة الوطنية • ودعوا الشعب الى قبول المعاهدة كما تفرضها فرنسا ، وذلك منعا من احراج الجبهة الشعبية الفرنسية وخدمة للنضال ضد الفاشية • ثم قامت الحرب العالمية الثانية ولم يقدر للمعاهدة أى نجاح •

◉ بالنسبة لقضية « لواء اسكندرون » التى كانت تطالب به تركيا ، وقف الشيوعيون موقفا مضادا لارادة الجماهير ، فدعوا الى تسليم هذه المنطقة لتركيا طبقا لأوامر الحزب الشيوعى الفرنسى ، والذى تلقاها بدوره من الاتحاد السوفييتى •

◉ **وافق الحزب الشيوعى فى سوريا ولبنان ، على قرار تقسيم فلسطين واقامة دولة اسرائيل** ، متعارضا مع مصلحة البلاد القومية ضد ارادة الشعب العربى . وقد أصيب الحزب من جراء هذا الموقف . بنكسة كبيرة وانعزل عن الجماهير والأوساط الوطنية . وقد بلغت الجرأة بزعماء الحزب أن فصلوا منه المعارضين وطردوهم . وقد انقسم الحزب فى كل من سوريا ولبنان الى حزبين مستقلين .

لم يختلف موقف الحزبين السورى واللبنانى عن مواقف الأحزاب الشيوعية فى مصر ، والعراق والأردن منذ التفكير فى قيام الوحدة بين مصر وسوريا . وقد عارضها خالد بكداش معارضة شديدة ظهرت فى الخطاب الذى ألقاه فى صوفيا وفى براج . وعاد الى سوريا حيث اجتمع بزعماء الأحزاب الشيوعية فى البلاد العربية الاخرى ، ومنهم فؤاد نصار ، وعبد القادر اسماعيل ، وعزيز شريف عن قادة حزب العراق والاردن ، وكانوا يترددون على منزله بحى الأكراد بدمشق لتلقى تعليمات الشيوعية الدولية .

وقد زاره فى نوفمبر عام ١٩٥٧ الدكتور عبد العظيم أنيس ونشر مقالا عن مقابلته فى صحيفة « المساء » .

وقامت الوحدة بين القطرين ، وهاجمها الشيوعيون جميعا فى البلاد العربية ، ومن يقرأ النشرات الشيوعية التى صدرت فى هذه الفترة بمعرفة الأحزاب الشيوعية فى البلاد الموضح ذكرها ، ليجد أنها متفقة الخط السياسى ، ونقاط الهجوم اتفاقا تاما . وكانت كلها متفقة على تسمية الوحدة بالاستعمار المصرى لسوريا .

وقد هرب خالد بكداش من دمشق الى بلاد الكتلة الشرقية حيث أقام باحداها .

ومما يذكر أن قائد الجيش السورى عفيف البزرى ، فى وقت اعلان الوحدة ، كان من قادة الحزب الشيوعى السورى ، وقد علمت من بعض الشيوعيين

السوريين أنه كان يحمل علاماته العسكرية من الذهب الخالص ومحفورا عليها المطرقة والمنجل شعار الشيوعية من الداخل ، وكانت مهداة اليه من احدى الدول الشيوعية .

ولنعد الآن لما كنا نتحدث عنه فيما يختص بالحزب الشيوعى المصرى ، ولنتأمل قليلا فنربط بين سياسة الحزب الشيوعى المصرى بالنسبة للوحدة بين مصر وسوريا وكيف يتلقى الرأى من أحزاب شيوعية أخرى ومؤتمرات دولية .

نشرت جريدة الحزب السرية المسماة « اتحاد الشعب » بتاريخ ١٩ أغسطس عام ١٩٥٨ ، ما كان ينادى به الحزب الشيوعى العراقى ، بالدعوة الى الاتحاد الفيدرالى وليس للوحدة الكاملة . كما أصدر الحزب الشيوعى المصرى نشرة أخرى بعنوان « مفهوم القومية العربية والوحدة المصرية السورية » فى فبراير عام ١٩٥٨ ، جاء بها اعتراض الحزب على الوحدة وعلى حل الأحزاب فى سوريا وتكوين الاتحاد القومى ، وقالت « اننا نرى أن الوحدة لم تتوفر لها الأسس الديمقراطية الواجبة لتدعيمها وتقويتها ، فحل الأحزاب فى سوريا خطوة متخلفة، لا تدعم الدولة الجديدة ، بل تضعفها . فالأحزاب فى سوريا وعلى رأسها الحزب الشيوعى وحزب البعث ، أحزاب وطنية تقدمية وان المنهج الذى تحققت به الوحدة ، منهج مناف للديمقراطية ، ولعل أسوأ الاجراءات جميعا ، اعلان تكوين الاتحاد القومى لمواطنى الدولة الجديدة وهو فى الحقيقة حزب البرجوازية الوطنية وليس جبهة وطنية ، كما أعلنها الرئيس جمال عبد الناصر أكثر من مرة . سيناضل حزبنا من أجل قيام أسس ديمقراطية للحكم فى مصر لتكوين جبهة وطنية متحدة » .

وهاجمت نشرات أخرى للحزب القرار الجمهورى الخاص باخضاع النقابات للاتحاد القومى ، وتناولت مواقف الأحزاب الشيوعية فى الدول العربية من الوحدة ومهاجمتها لنظام الحكم القائم فى مصر ودعت الى الانفصال بين سوريا ومصر .

وقد ضبطت هذه النشرات فى قضية الجناية رقم ٨ لسنة ١٩٥٩ أمن الدولة عليا .

الشيوعية الدولية وأهدافها الشيوعية المحلية

سبق أن ذكرنا مرارا ، دور الشيوعية الدولية فى تحريك الشيوعيين فى البلاد المختلفة ، وحتى لا تفوتنا الأحداث بحسب تواريخها فان مؤتمرا عقد بموسكو فى نوفمبر عام ١٩٥٧ ، لممثلى الأحزاب الشيوعية والعمالية فى البلدان الاشتراكية • وتناول بالبحث مسائل العلاقات بين هذه الأحزاب وقضايا الشيوعية الدولية والأحداث السياسية والوضع الدولى ، ورسم الخطوط التى تسير عليها الأحزاب الشيوعية • وحدد الأهداف التى تعمل على تحقيقها •

ورغم مساعى الحزبين الايطالى والسورى التى أدت الى تكوين الحزب الشيوعى المصرى فى يناير عام ١٩٥٨ ، فانه لم يلبث أن انقسم على نفسه من جديد ـ كما بينا ـ وأصبحت الرابطة بين الحركة الشيوعية المصرية والأحزاب العالمية قاصرة على تبادل الخبرات ووجهات النظر بالتراسل والمندوبين ، وفشلت المنظمتان المحليتان فى الارتباط بالاتحادات الشيوعية العالمية ـ فيما عدا مجلس السلام العالمى ـ واقتصرت العلاقات على مد الشيوعيين المحليين بالمال والامكانيات كما سيأتى • وقد استغل الشيوعيون علاقاتنا بالدول الاشتراكية فى تلك الفترة ومحاولة الاتحادات العالمية الاتصال مباشرة بالسلطات الحكومية • فقاموا بدعاية جبارة لصالح هذه الدول ونظمها ومبادئها وقالوا أن لها الفضل الأول والأخير فى المحافظة على كيان الدول العربية السياسى والاقتصادى • وهيأت هذه الدعاية ، مع موقف الحكومة من التساهل معهم ، الفرصة الكاملة لترويج المبادىء الشيوعية وضم الكثيرين الى النشاط السرى واكتساب قاعدة شعبية فى مختلف الأوساط من العاطفين على الشيوعية والمخدوعين بدعايتها ، حتى تطور الأمر فاعتقد بعض الناس أن الحكومة سائرة فى طريق النظام الشيوعى •

ومن أسس الدعاية الشيوعية « أن الكتب والصحف وما يماثلها من أدوات الدعاية ، هى احدى وسائل نقل الأفكار بين الحزب الشيوعى والطبقة العاملة ٠ وأن الغرض من الكتابة هو تثقيف الجماهير ، وتنظيمهم فى فكرة واحدة لتحقيق أهداف واضحة محددة ٠

وقد تميزت هذه الفترة حتى أول عام ١٩٥٩ ، بغمر الأسواق بالكتب والمطبوعات الشيوعية ، وأصبحت بعض الصحف منبرا مكشوفا علنيا للشيوعيين من الكتاب والأدباء ، وبلغ تأثيرهم على الفكر مبلغا كبيرا وأصبحت لهم قاعدة شعبية من القراء ، وبدأت تنزوى من الصحف والأعمال الادبية ، أسماء الادباء القدماء من العمالقة ، أمام تيار الأدب الهادف والشعر الواقعى ، وما يكتب عن الأدب وترجمات الشعر السوفيتى ٠

ولا يقال أن هذه الكتابات كانت تساير الخط الوطنى وتعمل على تثقيف الشباب ، لا ٠٠ بل على العكس فقد كانت تفقد الشبا بتدريجيا الأسلوب العربى الأصيل عن طريق مسخ اللغة العربية والتعلق بكل ما هو شيوعى ٠

ولجأ الموظفون بالسفارات الشيوعية الى الاتصال بغير تحفظ بالشيوعيين المصريين وأمدوهم بالمال ووسـائل الدعاية ٠ كاقامة معارض الـكتب والصور والأفلام ٠ وكانوا يختارون الأماكن الشعبية المزدحمة لنشر المطبوعات حتى أنهم أقاموا معرضا لها فى مدينة طنطا وقت الاحتفال بمولد السيد البدوى ٠

وأنشأ الحزب الشيوعى لجنة سماها اللجنة الثقافية ورشح لها بعض أعضاء اللجنة المركزية لتنسيق العمل بين دور النشر والمكتبات الشيوعية ٠ أما هذه الدور فقد بلغت العشر ، ثبت من تحقيق القضايا الشيوعية التى سيجىء تفصيلها انها دعمت من السفارات بالمال والمطبوعات والكتب المستوردة من البلاد الشيوعية ، بلغ ثمنها آلاف الجنيهات ٠ ولأن قادة السوفييت يؤمنون أنهم فى ظل السلام والعلاقات الطيبة والمساعدات المحسوبة للبلاد النامية ، يمكنهم تحقيق النظام الشيوعى فى هذه البلاد والعمل على تعجيل الثورة الشيوعية فيها ، فانهم لم يتوانوا فى اطلاق شعارات السلام والتعايش السلمى ، ومنح الشعوب حقها

ولا يقتصر الأمر على اقامة مهرجانات السلام ومنح المعونات وتبادل الصداقة مع الشعوب ،والتظاهر لمطالبها فى المحافل الدولية ، بل تعد كل هذا أمران لهما أهمية كبرى فى هذا الميدان :

المساعدات العسكرية :

وتلك أصبحت لعبة معروفة ، ويكفى موقف السوفييت من مصر ، فقد مدتها بكل أنواع الأسلحة القديمة ، حتى دخل فى روعنا أننا كفء لمجابهة اسرائيل ، وفى واقع الأمر ، كان السوفييت يعملون جيدا ويعملون بكل الأساليب حتى لا تفيدنا أسلحتهم ، لأنهم ببساطة كانوا أول من أيد قيام اسرائيل وضمن بقائها حتى قبل أن تفعل الولايات المتحدة ذلك ٠ وقد كانت مساعداتهم العسكرية محسوبة ومقدرة ٠

ثانيا : يعلم السوفييت أن كل هذه الدعاية لاطلاق الثورات الشيوعية ، فلا بد من ايجاد طليعة ثورية مثقفة بالماركسية فى البلاد التى تسللت اليها الدعاية السوفيتية ، ومهمة هذه الطليعة هى قيادة الثورة وتحقيق الصراع الطبقى ٠ ولذلك ساندوا الشيوعيين المحليين حتى يكونوا فريق الطليعة الثورية ٠ واتفق هؤلاء — حتى بعد انقسام الحز بالشيوعى المصرى الواحد الى فريقين — على مهاجمة الحكومة وسياستها ، وأطلقوا الشائعات ضدها وحاولوا اثارة الطبقات والفئات المختلفة نحو مطالبها ، وتسابقوا جميعا فى التسلل الى الهيئات والنقابات ولكنهم اتفقوا جميعا على تأييد سياسة الحكومة الخارجية ، مادامت متجهة الى توثيق العلاقات مع دول الكتلة الشرقية ٠

وكما حدث فى كل المراحل السابقة ، عجزت الحركة الشيوعية عن التسلل الى الطبقة العاملة والفلاحين ، الا من شرذمة لا تحقق بأية حال ، دكتاتورية البروليتاريا ٠ واتجهت الحركة الشيوعية بقياداتها المثقفة وبعضها أرستقراطى النشأة الى الطبقة الجديدة من المتعلمين وأنصافهم ، وصغار الموظفين والطلبة والمتعطلين الذين يعيشون فى فراغ وفى قاع المدينة وزوايا النسيان فى قرى الريف ٠

وصل النشاط الشيوعى الى مدن وقرى لم يصل اليها من قبل ، وجهدت فى ربط الصلة بين خلايا القرى المتجاورة وتكوين المجموعات وتقسيم الجمهورية الى مناطق يتولى كل منها أحد أعضاء اللجنة المركزية · وأنشأت مراكز علنية لتثقيف أعضاء الخلايا ، منها دار الفجر ودار الفكر للنشر بطنطا ، والمعهد العلمى الليلى ببنى سويف ، ولكتبة السلام بالمنصورة غير ما أنشىء فى القاهرة والاسكندرية ·

وبعد أن كان النشاط الشيوعى يقتصر على طلبة الجامعات ، وصل الى المعاهد المتوسطة ، ثم المدارس الثانوية وانخفضت أعمار المجندين للخلايا السرية الى سنى ١٨ سنة ، بل وصل الى صغار الطلبة والصبية العاطلين حتى سن ١٦ عاما · وكان هؤلاء قلة ، الا انها اشارة لفتت النظر ·

وكثر أيضا عدد طالبات الجامعات فى الخلايا السرية ، وبعض المدرسات وكان معظمهن يرتبطن بصلات القرابة أو الجيرة أو الزواج بالشيوعيين · وقد بلغ عددهن فى أحد الأحياء بالقاهرة عشر فتيات من بين خمسين عضوا من الرجال ·· واشتركن فى توزيع النشرات السرية وعضوية لجان المناطق والأقسام · وكان مما يلفت النظر أن نسبة ضئيلة جدا من عضوات الحزب من النساء العاملات بالمصانع ·

ولم يكن فى الميدان السياسى أية قوة فكرية أو دعائية مضادة لهذا النشاط وأما الاتحاد القومى فكان له مهام أخرى ولم يلتفت لمواجهة الدعاية الشيوعية · ورجال الدين لا حول لهم ولا قوة · ووقف دوران الأرض على خط طول يتجه شمالا الى موسكو لا يقف أمامه أى حائل أو عقبة ·

وهنا يجب أن أسجل أن عدد الشيوعيين فى جميع أنحاء الجمهورية · وذلك بحسب الخبرة التى اكتسبتها من العمل وما تلمسته من التسلل الى الحركة الشيوعية قد بلغ اثنتى عشر ألف شخصا ، لم يكونوا كلهم من الشيوعيين الراسخين فى العلم أو العقيدة بل ان معظمهم كان من الشباب الراغب فى التنفس عن أى طريق ويعيش فى فراغ فكرى ولا يقدر مدى خطورة مسلكه ولكن ··· ان عشرة آلاف شخص فقط ، كانوا وراء الطليعة البلشفية ، هم الذين قاموا بالثورة الحمراء فى روسيا عام ١٩١٧ ، فى بلد كان تعدادها الملايين !! ·

ما العمـــــل ؟؟

انزعجت الدولة فى هذا الوقت لتزايد النشاط الشيوعى فى كل المجالات ، وأصبحت المشكلة : اما أن تبقى الحكومة بنظامها ، واما أن يستولى الشيوعيون على الحكم ويعيثون فى الأرض فيقودون البلاد الى غياهب الشيوعية ٠

وكما قلنا سابقا ان الرئيس الراحل جمال عبد الناصر قد انقذ البلاد فى عام ١٩٥٤ من فتنة حاولها الشيوعيون ، فقد كا له الفضل فى اخماد فتنة أخرى أشد خطرا وأبعد أثرا وفى ظروف أكثر تعقيدا ٠

ونصل الى يوم ٢٥ ديسمبر عام ١٩٥٨ ، ونسمع الرئيس الراحل يخطب فى بور سعيد ، ويوجه الاتهامات للشيوعيين عامة بالخيانة والعمالة ويرد على الرئيس السوفيتى خورشيشيف ردا شديد اللهجة ٠

ومما يدعو الى التقزز ما قرأته فى خطاب كتبه أحد المتهمين عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعى المصرى معلقا على خطاب الرئيس الراحل الذى رد به على خروشيشيف بجملة « أين يقف الجرذان من العمالقة الكبار ؟ » ٠

لكل ما سبق صدر أمر الدولة بضبط الشيوعيين جميعا ٠ ورب قائل يسأل ألم يكن هناك طريق آخر ؟

وانى أسأل بدورى ــ وقد أدرك القارىء موطن الخطورة على بلاده ــ ما هو الطريق الآخر ؟

ومع ذلك ، كان لا بد من اتخاذ الحكمة والتدبر فى تنفيذ هذا الأمر ٠ لقد استبعدنا عن هذا الأجراء ، كل العاطفين والانتهازيين والغارقين فى الأحلام ٠ واقتصرنا على القادة المتزعمين والأعضاء المنساقين وراءهم ممن غرقوا حتى آذانهم ولا يستطيعوا من العقيدة فكاكا ٠

واطمئن أخى القارىء ، ان هذه الحكمة فى الاختيار قد أدت الى هرب الناجين من الشيوعية والماركسية والكلام المعسول ، الى شاطىء الأمان ٠ ولمسنا توبتهم وندمهم ولم تكن هناك حاجة الى أية اجراءات قبلهم وكانوا يعدون بالآلاف ٠

رأى :

س : طوال السنين السابقة يصرخ الشيوعيون مطالبين بالديمقراطية ٠

ج : فكيف يطالبون بالديمقراطية وهم يعملون على تحقيق الدكتاتورية ؟!

س : وهم يكافحون من أجل اسقاط أية حكومة تحقيقا لنظريتهم الماركسية ٠

ج : فكيف يسقطون الحكومة وهم لا يعرفون نوع الحكومة التى ستحكم بعد الشيوعية ٠ أم أن المسألة هى ثورة دماء ودكتاتورية ليس للعمال فيها نصيب ٠ وصراع طبقى وتنفيذ لأوامر القوى الأجنبية ويقف الأمر عند هذا الحد ؟!

س : يهاجمون الاستعمار من الدول أعداء المعسكر الشيوعى ٠

ج : فكيف يؤيدون الاستعمار من الدولة الأم ويلصقون ذلك بالشيوعية الأممية ٠ أليس فى ذلك عمالة ؟!

س : يهاجمون الحكومة التى تدافع عن نفسها وعن أمنها وأمن شعبها ويطلبون الحرية لأنفسهم ٠

ج : فكيف يريدون شكل الحكومة ؟ هل تصم أذنيها عن فريق يناضل من أجل الثورة الدموية والصراع الطبقى ؟ هل يريدونها فى غفلة دائمة ،

لا تشعر بما يحاك حولها من مؤامرات ، وبما يدبر تحت ذقنها من ألاعيب خلا تفيق من غفلتها الا وتحت أقدامها بحور من الدماء ؟!

س : يجاهد الشيوعيون من أجل الثورة والغاء الطبقات ٠

ج : فهل يعلمون ـ وهم بلا شك يعلمون ـ أن أعضاء الحزب الشيوعى وقادته فى البلاد الشيوعية ، هم الطبقة الممتازة ، المتمتعة بكل أنواع الترف والأبهة ، وأن شعوب هذه الدول مطحونة مغلوبة على أمرها ، أم أن هذا كلام دعاية ؟

س : يطلقون على أنفسهم صفة الشرفاء ٠

ج : فلماذا يعملون فى سرية تامة ؟ شأنهم فى ذلك شأن أعداء المجتمع من مخالفى القانون ٠ وكيف يسمحون لأنفسهم أن يقودهم عملاء من الصهيونيين والمخربين ٠ فهل يفتينى الشيوعيون الذين خضعوا لقيادتهم ونفذوا أوامرهم ، عن مدى اعتراض باقى الشيوعيين الذين اتحدوا معهم فى حزب واحد على ابقاء هنرى كورييل عضوا عاديا فى الحزب ؟ وقد دمغه البوليس الفرنسى فى أكتوبر عام ١٩٥٧ بأنه عميل للمخابرات السوفييتية وانه يرأس شبكة ارهابية ٠ فأين هو الشرف الذى ضل طريقه اليهم ؟!

س : يدخلون المساجد للصلاة ، ويقولون الماركسية لا تتعارض مع الدين ٠

ج : الماركسية نظرية مادية لا تعترف للكون بخالق ، وتنص على الالحاد ومحاربة الدين وقد حاربوه فى عهد الثورة وقت لينين ، ثم ستالين ومن أتى بعدهما ، كما سيأتى فيما بعد ٠ فهل يا ترى يجهلون ذلك ؟ أم أنهم حكموا على كل الناس بالجهل ٠ لقد كتب أحد كبار كتابهم فى مجلة روز اليوسف وهو صلاح حافظ ، بعنوان براق ، أن الماركسية لا تتعارض مع الاسلام ٠ فلماذا لم يشرح ما قالته الماركسية وما قاله لينين فى تفسيرهما للدين ؟ بدلا من العموميات والمعميات والأحاديث المضللة ٠ فهل يتفضل أحد هؤلاء الجهابزة ويشرح لنا ما قالته النظرية بشأن الدين ؟

يتهربون من صفة الشيوعية ، مدعين أنهم ماركسيون ذوى عقيدة ماركسية ٠ وماذا تعنى الشيوعية اذن ؟! هل تمخضت الماركسية عن نظرية جديدة أخرى غيرها ؟ ألم يذكرها ماركس فى آخر جملة فى بيانه الشيوعى صراحة (ان **الشيوعيين** يترفعون عن اخفاء آرائهم وأغراضهم فهم يعلنون بوضوح أن أهدافهم لا يمكن أن تتحقق الا بقلب كل الظروف الاجتماعية الحاضرة بالقوة ٠ فلترتجف الطبقات الحاكمة خوفا من **ثورة شيوعية** ؟ ٠٠ ليس للبروليتاريين شيئا يفقدونه فيها سوى أغلالهم وأمامهم عالم يكسبونه منها) ٠ ألم يقل لينين وهو يقدم طبعة البيان الشيوعى الذى أعلنه ماركس وانجلز (نظرية الكفاح الطبقى والدور الثورى التاريخى للبلوريتاريا منشئة المجتمع الجديد ــ المجتمع الشيوعى ٠٠) ؟

فلماذا تنكرون ؟ الأوفق أن تعلنوا أنكم شيوعيون ٠ أما أن تقولوا أنكم ماركسيون فهذا ضحك على الذقون ٠٠ !

انهم يتكلمون ويتكلمون ولا يدعون الفرصة لأحد أن ينطق ٠

الفصل الثانى

مرة أخرى .. ما العمل ؟؟

وهكذا لم يكن هناك مفر من وأد النشاط الشيوعى بعد أن استفحل أمره وزاد خطره كما قدمنا ، وبدأ ضبط الشيوعيين فى ليلة الأول من يناير عام ١٩٥٩ ٠ واقتصر الضبط على حوالى مائة وسبعين من قادة المنظمات الشيوعية ٠ ولم يهتز النشاط الشيوعى بضبط زعمائه ، بل استمر يعوى وازداد شراسة ٠ وقامت حملة أخرى فى ليلة ٢٨ مارس من نفس العام ، وضبط عدد كبير من الذين ادعوا القيادة ومن المحترفين الذين ليس لهم مهنة معروفة ٠ ولم يضبط عاطفى واحد كما قدمنا وكذلك لم يضبط أحد من الشيوعيين الذين ثبت عدم انضمامهم للمنظمات السرية أى الذين يعتنقون الماركسية اطلاعا وثقافة ٠

وجاء كثير من الأشخاص ، يعتذرون ويعلنون أنهم كانوا خاضعين لتأثير الدعاية المضللة ٠ ولم يثبت مطلقا أن فردا واحدا ممن ضبطوا ، ضبط ظلما أو افتراءا ـ وهذه حقيقة أذكرها هنا للتاريخ ٠ وكم فوجىء بعض الأهالى بضبط ابن له أو شقيق لنشاطه الشيوعى ، فكانوا يقطعون أنه لا يمكن أن يكون شيوعيا ، وبعد فترة يثبت لهم أنه كان متورطا مع الشيوعيين ومشتركا فى نشاطهم ٠

وانى لأذكر أحد رجال الدين العلماء الأفاضل ، عندما جاء الى مكتبى بعد أن تقابل من السيد وزير الداخلية ، وكان يشكو من ضبط ابنه واعتقاله ،

مؤكدا أن ابنه تربى فى بيت دين وبين اخوة متدينين ، واستنكر أن يكون من الشيوعيين . وقد وجهنا فضيلته الى مقابلة ابنه وحددنا له بعض الأسـئلة بل سؤالا واحد ، ومطلبنا منه أن يتوجه الى ابنه ، فاذا اقتنع انه لا علاقة له بالشيوعية أفرج عنه فورا ، وسافر الرجل الفاضل وأدى المأمورية بروح القاضى . ولكنه عاد من رحلته واتصل بنا تليفونيا وقال (أنه ليس له أبناء عندنا وانه متبرىء منه) .

وأدت هذه الحملات أخيرا الى اخماد النشاط الشيوعى ، ووهنت الحركة الشيوعية لفترة طويلة . وقبل أن نأتى الى تفصيل النتائج التى ترتبت على هذه الاجراءات ، نود أن أن نذكر النقاط الآتية :

كان القادة الشيوعيون مجهولى الشخصية لباقى أعضاء التنظيمات ، وكان كل فريق يتميز بمظهر خاص ، فمثلا فريق الحزب الشيوعى المصرى يتميز بالارستقراطية والترفع . وفريق حدتو تميز بالاختلافات الأيديولوجية والانقسامات فيما بينهم وأما فريق الطليعة فكان فى بادىء الأمر منعكفا على نفسه .

تبين لأعضاء التنظيمات الشيوعية بعد معرفتهم لشخصية زعمائهم ، أنهم بشر مثلهم ، لايميزهم غموض ولا هيبة فتزعزع الايمان بهم ولكن معظمهم ظل على عقيدته .

سرعان ما دب الخلاف بين الشيوعيين فى السجون والمعتقلات وانشئت منظمات جديدة وتكونت لها لجان مركزية أخرى .

وجد الشيوعيون فى السجون والمعتقلات مرتعا خصيبا ليفعلوا ما يشاءوا فى حرية تامة ، كالقاء المحاضرات السياسية واقامة الحفلات فى المناسبات المختلفة وكتابة المذكرات والاستماع الى الراديو الذى كانوا يهربونه بطرق مختلفة . وكان بعضهم يترجم الكتب الشيوعية ويتبادلون الرسائل مع غيرهم فى السجون

الأخرى . والأعجب من ذلك أنهم دأبوا على تجنيد بعض الشيوعيين من منظمة الى أخرى ..!!

ترتب على اعتقال الشيوعيين وتولى النيابة التحقيق فى الاتهامات التى وجهتها اليهم والاطلاع على الأدلة التى ضبطت لديهم أن أقامت النيابة الدعوى الجنائية على ثلاث منظمات شيوعية نتجت عن الانقسامات التى حدثت بينهم فى النصف الثانى من عام ١٩٥٨ .

وهنا أجد لزاما أن أبين كل قضية ، مفصلا ما ثبت فيها من وقائع وأدلة ، وذلك لغرضين محددين :

- أن يستبين نشاط الشيوعيين محققا ثابتا بالأدلة القاطعة .

- أن بعض الوقائع التى ذكرتها سابقا ، لم أشر فيها الى أدلتها وقد جاءت هذه الأدلة فى القضايا الثلاث .

الفصل الثالث

القضية رقم ٣ حصر أمن الدولة عام ١٩٥٩
وشملت تحقيقات ثلاثة منظمات لكل منها قضية

القضية الأولى :

خاصة منظمة الحزب الشيوعى المصرى فريق (حدتو) واتهمت النيابة ثمانية وأربعين شخصا من قادتها وأعضائها ٠

ونتناول هذه القضية من واقع التحقيقات فى أقسام ثلاث :

أولا : الدعــــاية ٠

ثانيا : ملاحظات عن بعض المتهمين ٠

ثالثا : مالية التنظيم ٠

اولا : الدعـاية :

لن نأتى من عندنا بجديد ، ولن نكرر ـ كلما استطعنا ـ ما سبق أن ذكرناه ونسجل بعض ما ورد بنشرات المنظمة المضبوطة فى القضية سالفة الذكر وبعض الأوراق التى ضبط فى أوكار الطباعة توطئة لاظهارها وذلك بحسب تواريخ نشرها :

عنوان النشرة	تاريخ النشرة	بيان النشرة
نشرة موجهة للمكتب السياسى للحزب الشيوعى المصرى.	٥٨/٧/١٨	دعوة قادة الحزب الى نبذ الخلافات لمواجهة الاستعمار .
صوت الفلاحين	٥٨/٨/١٢	اثارة العمال ومستخدمى المحلات التجارية . ودعوة لجبهة وطنية والانضمام للاتحاد القومى ولتكوين لجان المقاومة الشعبية وحمل السلاح .
صوت القاهرة	٥٨/٩/٣	تأييد الحكومة ـ مهاجمة المنظمات الأخرى ـ اثارة عمال الحديد والصلب وسلاح الصيانة لانخفاض أجورهم وسوء معاملتهم . الدعوة لتكوين لجان المقاومة الشعبية فى المدن والقرى .
صوت الفلاحين	٥٨/٩/٩	مهاجمة سياسة أمريكا العدوانية فى الشرق الأقصى . بقايا الاقطاع بالدقهلية . دعوة الفلاحين للدفاع عن مصالحهم . مهاجمة المباحث العامة .
صوت القاهرة	٥٨/٩/٢٧	أخبار عمالية مثيرة لعمال الترام وعمال القنال .

عنوان النشرة	تاريخ النشرة	بيان النشرة
صوت الاسكندرية	٥٨/١٠/١١	دعوة للشيوعيين بالاسكندرية للتكتل داخل الاتحاد القومي ولجانه وتدعيم جبهة الوطنيين داخله وتكوين لجان لحل مشاكل الأحياء واثارة العمال فى المخابز والمصانع الحربية والشركات .
صوت القاهرة	٥٨/١١/٧	مقارنة بين ثورة أكتوبر السوفيتية وانها السبيل أمامنا والاشادة بفضل الانذار الروسى للدول المعتدية على بور سعيد وتحبيذ للنظام الشيوعى واستيلاء العمال على السلطة .
نشرة لعمال المطبعة الأميرية	٥٨/١١/٨	اثارة للعمال فى المطبعة .
	٥٨/١١/٢٩	أخبار مثيرة عن معاملة المسجونين الشيوعيين المحكوم عليهم والاشادة ببطولتهم وارتفاع أسعار القطن بسبب بيعه للدول الشيوعية .
صوت القاهرة	٥٨/١٢/١٠	تأييد لخطاب الرئيس فى المؤتمر التعاونى . مهاجمة للانقلاب السودانى الذى لا يستند الى قوة سياسية جماهيرية وقد كانت هناك نواة لجبهة وطنية عريضة من الشيوعيين السودانيين وحزب الجبهة .

عنوان النشرة	تاريخ النشرة	بيـان النشرة
نشرة من مسـئول الدعـاية بمنطقـة شبرا	٥٨/١٢/٢٧	مطالبـة الرفاق بالـكتابة على الحيطان فى الشـوارع والمصانع والمدارس واتخـاذ الحـذر وايجـاد مخـابىء للأوراق ومنع الاتصالات والثرثرة وبيان بالشعارات الواجب كتابتها .

(يلاحظ تاريخ النشرة أنه بعد يومين من خطاب الرئيس الراحل بمهاجمة الشيوعين)

ونكتفى بهذا القدر من النشرات اذ بلغت المئات عدا ، والآلاف نسخا ، وقد أدرجناها باعتبارها اثباتا ودليلا على ما سبق أن شرحناه من نوايا الشيوعيين وسياستهم ، وقد استشهد الشيوعيون فى كثير من النشرات المضبوطة بما تنشره الصحف السوفيتية برافدا وغيرها ، وبما يتقرر فى المؤتمرات الشيوعية خاصة « المؤتمر العشرين » للحزب الشيوعى السوفيتى الذى كان من ضمن قراراته الانتقال السلمى الى الاشتراكية ، عن طريق الحصول على أغلبية برلمانية ، تعتمد على حركة العمال الثورية الجماهيرية ، وأما فى البلاد الرأسمالية القوية التى لها جهاز حربى وبوليس ضخم ، فيستلزم الانتقال الى الاشتراكية صراعا حادا ، قويا وثوريا .

وكان الشيوعيون فى مصر ينفذون هذه السياسة بحذافيرها ، وظهر ذلك بجلاء فى نشرة « بيان الى الشعب » فى ٨ يناير عام ١٩٥٨ التى تزف نبأ اتحاد المنظمات وتكوين « الحزب الشيوعى المصرى » ، حزب الطبقة العاملة الذى يدين بالماركسية اللينينية ، من أجل القضاء على الملكية الفردية وبناء الاشتراكية لهدف بعيد ، والمهمة العاجلة هى حماية الاستقلال ، وحماية الحكومة بقيام جبهة وطنية متحدة ، مع توجيه النقد البناء الى بعض الأخطاء والنواقص فى سياسة الحكومة مع الاضطرار الى النشاط السرى .

ولم نجد فى أية نشرة مطبوعة أو ورقة بخط اليد ، منذ قامت الحركة الشيوعية ، أية اشارة الى حماية الاستقلال من الاستعمار السوفيتى أسوة بحمايته من أى استعمار آخر ، وهم يعلمون جيدا ما هو الاستعمار الروسى فى بلاد الكتلة الشرقية ٠

فى الواقع اننى لا أدرى بأى اسم يسمون ثورة المجر وتشيكوسلوفاكيا وكفاح البولنديين ضد الوجود السوفيتى فى تلك البلاد ؟

من بين التقارير المضبوطة الواجب الاشارة اليها ، تقرير مؤرخ أغسطس عام ١٩٥٨ يتضمن نقط الخلاف بين المنظمات الثلاث المتحدة فى الحزب الشيوعى المصرى ، اذ هاجم محور حزب الراية برئاسة الزعيم خالد وأوضح كيف اتبع هذا الفريق أسلوب ترغيب الرفاق بالمال والمناصب ، وتهديدهم بالحرمان من كل شىء اذا لم يستسلموا للحزب ، وفصل التقرير الموقف المتخبط للزعيم خالد من ثورة الجيش ، منذ قيامها بأنها مؤامرة أمريكية ثم عدوله فجأة عن هذا الرأى ٠

وضبط تقرير آخر لدى المتهم الأول سكرتير عام الحزب الشيوعى فريق حدتو ٠ شن فيه كاتبه هجوما شديدا على أعضاء اللجنة المركزية لحزب الزعيم خالد بأسمائهم الحركية ، ووصفهم بأنهم حفنة من الاقطاعيين والبورجوازية المنهارة تمكنوا من السيطرة على قيادة الحزب ومراكزه ٠

« سبق أن وصفنا الحزب الشيوعى المصرى فريق الراية بالارستقراطية الشيوعية » ٠ وها هم يفضحون أنفسهم ٠

وضبطت أوراق أخرى كثيرة ليست للنشر ، فكلها بخط اليد ، تضمنت شروحا لسياسة المنظمة فى تقليب الطبقات على بعضها والاستعانة بخبرة الاتحاد السوفيتى والصين ، والاسترشاد بمؤتمرات وقرارات الأحزاب الشيوعية فى الهند والسودان وسوريا والعراق ، وكيفية لترويج للشيوعية والتجنيد لها ، وتعبئة الجماهير حول مشروع السد العالى الذى اقامه الاتحاد السوفيتى ومشروعاته الأخرى وارسال البرقيات لرئيس الدولة تأييدا لهذا المشروع ٠

حتى الحكم والأمثال والشعارات الروسية ، كان لها نصيب فى هذه الأوراق ، وكلها تمجد النظام السوفيتى ٠

ومما شد الانتباه ، ورقة خطية ضبطت بمكتب المتهم الأول تتضمن حصر امكانيات الدعاية القائمة ، وان دلت على شيء فانما تدل على مدى خطورة جهاز الدعاية فى الحزب ومبين بها ما يلى :

- **المترجمون من الانجليزية والفرنسية والعربية ٠**
- **الأشخاص المتصلين بمختلف الهيئات الحكومية وتحديد هذه الطبقة بالدقة ٠**
- **الرفاق العاطفون والمرشحون للحزب والأصدقاء الذين لهم اتصالات بالجمعيات التعاونية ٠**
- **امكانيات المطابع وآلات الرونيو والآلات الكاتبة ٠**
- **أساتذة جامعات اقتصاديين ٠**
- **حصرا لفنيين فى الحزب ٠**
- **عدد المحامين من أعضاء وأصدقاء وعاطفين وعدد الأطباء من أمثالهم ٠**
- **الكتب الماركسية والمحاضرات والتراجم الموجودة ٠**
- **الشعراء والزجالون والمثلون وكتاب المسرحيات والصحفيون ٠**

هذا التسلل الى مختلف الأوساط والميادين ، يجعلنا فى غنى عن توضيح معناه وآثاره ، ولكن يجب أن نقف على البند رقم (١) الخاص بالمترجمين ، حتى نستبين الغرض الحقيقى من ترجمة المطبوعات الأجنبية مع أنها ترد من الخارج مترجمة ومطبوعة على ورق مصقول ويتولى الشيوعيون بيعها بأرخص الأثمان

أو مجانا بغير ثمن ، وذلك فى المكتبات ودور النشر الذى أنشأها الحزب لهذا الغرض وسيأتى تفصيلها ٠

◉ ملاحظات عن بعض المتهمين :

كان المتهم الأول فى هذه القضية ، هو المرحوم/شهدى عطيه الشافعى باعتباره سكرتيرا عاما للمنظمة ، واستغفر الله كثيرا ، اذ أجدنى مضطرا أن أتكلم عنه رحمه الله وغفر له ٠ ولكنى كما قلت لا أقصد تشهيرا بأحد ، انما أردت أن أثبت الوقائع كما هى ، وهى تمثل تاريخا عريضا أسجله عن الحركة الشيوعية ، ولا أظن أن أحد من الكتاب قد تناولها من قبل ٠

بعد ضبط الشيوعيين ومحاكمتهم ، سافرت لمهمة رسمية الى اليونان ومكثت بها شهرا وبضعة أيام ٠ وما أن وطئت قدماى أرض مصر ، حتى علمت بعودة المتهمين فى هذه القضية الى القاهرة بعد محاكمتهم بالاسكندرية ، وانه حدث عند وصولهم للسجن انهم هتفوا هتافات عدائية أهاجت عساكر حرس السجن فتعدوا على بعض المتهمين حيث كانوا فى مدخله عند مغادرتهم السيارات ، الا أن المرحوم/شهدى عطيه الشافعى جرى ليتفادى ضرب الحراس بالأحزمة ، فوقع على الأرض فاصطدمت رأسه بحجر أو درجة سلم فتوفى ــ هكذا وصف لى الحادث ــ واهتم المسئولون به ، وتولت النيابة ووزارة الداخلية التحقيق ٠ وكان الرئيس الراحل فى زيارة لليونان ويوغوسلافيا ومعه السيد/وزير الداخلية ، وما ان وصلا فى اليوم الرابع بعد وفاة المرحوم/شهدى عطيه حتى صدر الأمر باحالة السيدين اللواءين مدير مصلحة السجون ووكيل المصلحة الى التقاعد ٠

وانتهت التحقيقات الى عدم معرفة الفاعل من حرس السجن ، الا أن الدولة صرفت تعويضا كبيرا الى ورثة المتوفى ومنهم زوجته الأجنبية ٠

ورغم انقضاء الدعوى عن المتهم الأول لوفاته ، فان ما يعنينا هو ما جاء فى القضية الشيوعية من تحقيقات ، أثبتت الكثير من النواحى المتعددة المجهولة عن النشاط الشيوعى ٠

وأعود للأوراق التى ضبطت فى مخبأين سريين بمكتب المتهم الأول بداخل شقة اتخذتها المنظمة واسمتها (مكتب الترجمة والنشر) بشارع محمد مظهر بالزمالك رقم ٦ ، وعلى بعد خطوات من سفارة الاتحاد السوفيتى •

وأهم الأوراق التى ضبطت فى المخبأ السرى ما يأتى :

◉ مجموعة من النشرات الشيوعية السرية ، داخل مظروف معنون الى الملحق الصحفى بالسفارة السوفيتية ١ شارع محمد مظهر •

◉ أوراق ومحاضر جلسات المكتب السياسى والسكرتارية المركزية ، وأصول خطية لمحاضر مفاوضات الوحدة بين المنظمات وأسباب انقسامها بعد ذلك ، والأسماء الحركية لأعضاء اللجنة السياسية والمكتب السياسى وبعض القادة الأعضاء • وقد عرفت الأسماء الحقيقية لهؤلاء وأثبتت التحقيقات صحة هذه الأسماء •

ونسجل فيما بعد ما أثبتته النيابة فى محضر الاطلاع على المضبوطات :

◉ وافق ممثلو الأحزاب الثلاثة فى مكتب الوحدة على عدم وجود رفاق يهود فى قيادة الحزب الجديد باعتبار انه موقف مؤقت يتفق مع الظروف الراهنة للحركة الوطنية العربية والظروف الذاتية لحزبنا ، وان أمام هؤلاء الرفاق اليهود مجال للنضال فى الحزب كله دون قيادته وان هذا الاجراء مؤقت محدود للظروف التاريخية التى تمر بها بلادنا •

◉ اعترض الحزب الشيوعى المصرى الراية بزعامة خالد فى مناقشات الوحدة على عودة هنرى كورييل للقيادة ، وجاء ذلك بمنشور (الطليعة) الذى كتبه الرفيق خالد فى سبتمبر عام ١٩٥٧ وفى نشره أخرى خاصة بأعضاء اللجنة المركزية للحزب الشيوعى المصرى المتحد ، العدد الرابع ص ٨ •

◉ جاء فى خطاب موقع بعبارة اللجنة الدائمة للمكتب السياسى الى السكرتارية المركزية للحزب الشيوعى السودانى « نص مناقشة المكتب السياسى لموضوع عودة « يونس » أى هنرى كورييل الى مصر وان المكتب اتخذ القرار الآتى :

« لا اعتراض من حيث المبدأ على عودة أى رفيق عضو فى حزبنا وموجود فى الخارج ، الى مصر ، حتى ولو كان هذا الرفيق هو « يونس » بغض النظر عما اذا كانت العودة ستتم بطريقة مشروعة أم غير مشروعة ولاعتبارات عديدة ، يرى المكتب السياسى ألا يعود يونس الآن ، ويمكن مناقشة عودته فى وقت آخر » .

◉ ثبت من المضبوطات أن المتهمين ــ أثناء وجودهم فى السجن ، قد أسسوا بكل منها لجنة منطقة ، تدير النشاط بينهم فى داخل السجن ، وتتصل بالشيوعيين خارجه ، واعتبرت السجون والمعتقلات مناطق للنفوذ ، واستمدوا القوة من تكتلاتهم داخلها ، حتى انهم تعدوا على أحد ضباط السجن بالضرب قبيل هذه المحاكمة .

◉ ثبت أيضا أن بعض المتهمين كان يتصل بالسفارات الشيوعية ، وخاصة أصحاب المكتبات ودور النشر ، ليستشهدوا بها على أن عملهم كان تجاريا بحتا . وفى القضية ما يثبت انه بعد ضبط المتهمين تمت بعض المحاولات لهذا الغرض ، الا أن السفارات الشيوعية تخلت عن المتهمين وأهملت رجاءهم . ومن الطريف أن شقيق أحدهم ، كتب خطابا الى وكيل القائم بالأعمال التجارية لاحدى السفارات، يحمله دماء أخيه وكل ما يترتب على سجنه ، لأنه لم يقم بعمل لانقاذه .

◉ ثبت أن أحد أعضاء اللجنة المركزية ومسئول التنظيم بها ، وهو محمد يوسف الجندى ــ ووالده كان بطلا من أبطال ثورة ١٩١٩ ــ الا أن الابن سار فى هذا المنزلق الى أعمقه . وقد سبق أن حكم عليه بالسجن خمس سنوات وهرب منذ هذا التاريخ وأقام ببلاد الكتلة الشيوعية مكرما معززا ، وأبلغ عنه القائم بالأعمال فى سفارتنا المصرية ببودابست ، انه يقم بها ولا يحمل جواز

سفر ، وانه وصل بمساعدة الأحزاب الشيوعية ٠ ثم ضبط بعد عودته لمصر وبعد أن أقام فترة متخفيا ، واتهم فى هذه القضية ، **وقد لفت النظر ، حضور المحامى الفرنسى « جاستون امبورار » عضو الحزب الشيوعى الفرنسى ، لحضور المحاكمة وللاطمئنان على مصير محمد يوسف الجندى ـ سفيرا عن الأحزاب الشيوعية الأجنبية ٠ وقد وصفت النيابة ذلك بقولها « وما أسوأها من سفارة » ٠**

ثالثا : المالية :

منذ قامت الحركة الشيوعية فى مصر ، وتسللت اليها عن طريق عملاء الصهيونية والشيوعية الدولية ، ونحن نعلم أن هناك مصدر خارجى لتمويلها ، ولكننا لم نملك دليلا قاطعا من قبل ٠ وكان السؤال الحائر الذى يدور فى رؤوسنا ، من أين للشيوعية بهذا المنبع الغزير الذى ينفقون منه على نشاطهم ؟ ، ومن يرى أوجه النشاط ليس كمن يسمع عنه ٠ كنا نتابع تحركاتهم ونرى كيف يعيشون ـ على الاقل القادة والزعماء والمحترفين ـ ومعظم هؤلاء متعطلون لا يعملون شيئ ، والموظفون منهم لم تكن مرتباتهم تكفى معيشتهم وأسرهم ونفقاتهم الخاصة ٠ والعمل السرى بطبيعته يتطلب استحكامات وحرص دائم وتخفى وأوكار تكلف مالا ، ناهيك بآلات الطباعة ومستلزماتها من أحبار وأوراق ٠ ولم يك فيهم ذو مال يكفى ليتبرع منه لهذا النشاط ولماذا يتبرع ؟ أمن أجل تحقيق حلم يعلم قبل غيره أنه حلم نظرية فاسدة ، الأمل فى تحقيقها ضعيف ؟

حتى هنرى كورييل ٠٠٠ احد الذين أسسوا الشيوعية فى مصر ، لقد راجت الشائعات تصفه بالغنى الفاحش وانه ينفق على الحركة الشيوعية من جيبه الخاص ، وكثير من الناس اعتقد انه مليونير لا حد لثروته ٠ ولكن الحقيقة لم يكن هنرى كورييل بهذا المعنى كما أشيع ، بل كل ما كان يملكه هو « مكتبة الميدان » ، محل متواضع بميدان مصطفى كامل لم تكن تكفى لمعيشته ٠ ان الشائعة قد اختلقت لستر مصدر أمواله ، وكان الشيوعيون الذين يعملون معه يعرفون حقيقته ويروجون شائعة غناء ، حتى لا يسأل أحد ، من أين هذا المال ؟

وهل يكفى التحليل والظن ؟ هل يكفى التخمين والاستنتاج ؟ والامر له من الخطورة ماله ٠ أن أقل ما يوجهه الشيوعيون لغيرهم ممن يحاولون كشفهم ، هو

اتهامه بانه عميل للأمريكان وعبد للدولار ، فما بالك اذا كان المحلل المستنتج ضابطا بالأمن !

لقد كانت القضية السالفة هي الفيصل القاطع فى اثبات تمويل الشيوعيين بالادلة والبراهين الدامغة ٠

لقد كنا نرى « فاديم سنلنيكوف » رجل المخابرات بالسفارة السوفيتية يتردد على مكتب الترجمة بازمالك ، وكنا نراه يتقابل مع بعض الشيوعيين ، ومع ذلك لم تكن نجرؤ على استخلاص الوقائع التى تمس الناحية المالية من هذه الصلات ٠

وأما بعد هذه القضية ، فلدينا أدلة لا تقبل تحليلا ولا استنتاجا ، بل تسجل على علاتها ٠

قبل أن نوردها نود ذكر حقيقة يعلمها الشيوعيون قبل غيرهم ، وهى أن الاشتراكات التى يدفعها الأعضاء ، كانت تجمع بواسطة رؤساء الخلايا ، وتسلم الى رؤساء الأقسام ثم تسلم الى رؤساء المناطق الذين يسلمونها بدورهم الى مسئول المالية فى المنطقة ، وكانت المبالغ تختصر فى الطريق ما بين مستوى ومستوى ، فلا يصل الا النزر القليل ٠

واذا اطلعنا على ميزانية الحزب ، التى ضبطت فى المخزن السري المشار اليه ، نجد ان بند الاشتراكات لا يتناسب مطلقا مع العدد الكبير للاعضاء ٠ وواجبات العضو معروفة ، أولها أن يدفع الاشتراك ٠

ضبطت كراسة مكتوبة بخط اليد فى المخبأ السرى السابق ذكره ، وضح بها أن عدد المحترفين تسعة عشر من أعضاء اللجنة المركزية ، وأربعة من مسئولى النقابات وثلاثين من مسئولى المناطق ، وأن بعض المبالغ التى صرفت عن شهر فبراير وحده لعشرة من أعضاء اللجنة المركزية يتراوح بين عشرة وثلاثين جنيها لكل منهم ، وصرف لعشرة من مسئولى المناطق مبالغ من ١٢ الى ١٥ جنيها لكم منهم

وكذلك اعانة للهاربين خمســة وأربعون جنيها ولعائلات المحترفــين من المكتب النقابى أربعون جنيها ٠

وصرف مبلغ ٤٩ جنيها لمسئولى المناطق مصاريف انتقال ومبلغ ١٥٦ جنيها للمطبوعات وللأجهزة وأربعون جنيها لجهاز الطباعة المركزى ومبالغ أخرى نثريات واحترافات بلغت ١٤٠ جنيها ٠

وأما منطقة الاسكندرية فالوارد منها ٢٥ جنيها وعدد أعضائها ٤٩٥ عضوا والمنصرف للدعاية والانتقال والمحترفين ١١٦ جنيها ٠ وبحسبة اجمالية بلغت المصروفات ١٠٥٠ جنيها فى شهر واحد ، وأما الايرادات فقد بلغت ٦١٤ جنيها ، وهذا هو المثبت فى الكراسة فقط ، وأشير الى أن نسبة ما يأخذه المحترفون من اللجنة المركزية هو ثلثى المصروفات ونسبتهم فى المناطق ٧٠٪ ويستولون على ١٢٦ جنيها فى الشهر وأما ميزانية شهر أبريل فلا تختلف عن شهر فبراير فى مجملها ٠

ويشترك فى دفع النفقات القائمون على المكتبات ودور النشر الشيوعية التى تمولها بلاد الكتلة الشرقية بمبالغ طائلة ٠

ونورد بعض الملاحظات التى جاءت فى مرافعة النيابة من واقع المضبوطات :

◉ ثبت أن الميزانية مكتوبة بخط المتهم الأول ٠

◉ أن هناك عجز فى الميزانية عن الشــهرين المثبتين فى الكراســة بلغ بلغ سبعمائة جنيه ٠

◉ ثبتت علاقة مكتب الترجمة بأحد موظفى السفارة السوفييتية ٠

◉ كانت سفارات الدول الشيوعية تدفع مبالغ كبيرة ، نظير ترجمة الكتب التى لا تطبع بعد ذلك ، اذ سبق أن وردت للبلاد مترجمة ومطبوعة فى الخارج ومعروضة فى الأسواق ٠

◉ وقف المتهم الأول أمام المحكمة يقول « أرجو ألا تثار هذه المسألة لأنها ستمس دولة صديقة ساعدتنا فى المحنة » ٠

وقال الدفاع أن هذه مسألة زلقة ٠ وذلك عندما أثارت النيـابة مسألة التمويل وفصلتها تفصيلا ، وأجاب الأستاذ سمير ناجى وكيل النيابة فى ذلك الوقت « أن النيابة لا تخشى فى الحق لومة لائم » ٠

ولنترك هذه المسألة الخطيرة لأنها لا تحتاج منا الى تعليق ، ولنذكر حدثا طريفا على سبيل التسلية ، وهو مقال نشرته مجلة روز اليوسف الغراء عام ١٩٧٦ ولا شك أن كثيرين قرأوه ٠ وكاتب المقال هو رئيس التحرير السيد / صلاح حافظ فى ذلك الحين ، وأفرد له عددا من صفحات المجلة وخصص المقال لذكرى البطل الشهيد شهدى عطية الشافعى الذي قتل فى السجن على أيدى الزبانية ولا أطيل فيما كتب فالكاتب يستحق كل تقدير لوفائه النادر قبل زميل عزيز كان له الفضل العظيم عليه وعلى الحركة الشيوعية الناهضة ٠

وقبل أن أختتم حديثى عن فريق حدتو أود أن أذكر شيئا عن العلاقات الشيوعية ٠ فانن الشيوعيين يطلقون لفظ « العائلية » على تكتل بعض الأعضاء الذين ينتمون الى أصل تنظيمى واحد وعلى اتصال بعض هؤلاء ببعض اتصاليا عائليا ، أى اتصالا غير منظم ومن مستويات متباينة ، فان هذا يخل بالنظام السرى وبأمان التنظيم ٠

ونحن هنا لا نتصدى لهذه الألفاظ ، انما نقصد بالعائلية الأسرة الواحدة التى يكون كل أفرادها من الشيوعيين ٠ ويستوى بذلك فريق حدتو وحزب الراية ومنظمة طليعة العمال والفلاحين فمثلا نجد عائلة فيها ولدان منظمان والأب كان يعمل بمجلة الكاتب والأم تقود المظاهرات النسائية ٠

وعائلة الشوباشى ، كان الوالد يؤلف الكتب الماركسية وكل أبناء وبنات الأسرة شيوعيون منظمون ٠ تزوجت واحدة « رحمها الله » من عبد الرحمن الخميسى وتزوجت أخرى من ابراهيم فتحى سليمان قنصوة الذى حكم عليـه بالسجن

عشر سنوات ٠ وتزوجت أخرى يهوديا شيوعيا سمى نفسه عادل رفعت ويقيم الآن فى باريس عضوا بالحزب الشيوعى الفرنسى بعد ابعاده عن البلاد ، ومعروف أنه يحاول الاتصال ببعض الطلبة المصريين والعرب الوافدين على باريس ، ويلقى على مسامعهم بذور التشكيك فى النظام القائم الآن ٠

ومن العائلات المشهورة ، عائلة سيف النصر وتنتسب بالمصاهرة مع عائلة عباس باشا سيد أحمد ٠ وبرز من هذه العـائلات كثيرون يعملون فى الحركة الشيوعية من أولاد الخالة والعمة وأولاد العم ٠ وتتميز هذه العائلات بوضعها الارستقراطى ٠ لعل الشيوعيين الذين تتلمذوا على أيديهم خاصة اليهود ، أرادوا استغلال مركزهم الاجتماعى ٠

والشيوعية كالوباء ، يعدى الأقرباء بسهولة ، وهناك أمثلة كثيرة من هذا القبيل ٠

وكثير من الشيوعيين كانوا يسمون أبناءهم تبركا ٠٠ لينين وستالين ، ومن العجيب أن الأبناء ممن تسمى بأى الاسمين لم يسيروا فى طريق الشيوعية ٠

الفصل الرابع

قضية الحزب الشيوعي المصري "الراية"

يخجلني شديد الخجل ، أن أتحدث عن هذه القضية ومتهمها الأول عين وزيرا للتموين بعد الحكم عليه بعشر سنوات سجن مع الاشغال وصدور العفو عن العقوبة المحكوم بها عليه بعد أن قضى نصف المدة ٠ وكذلك المتهم الثانى الدكتور اسماعيل صبرى عبد الله الذى تماثل ظروفه ظروف المتهم الأول تماما وقد عين نائبا لوزير التخطيط ثم وزيرا ثم مديرا لمعهد التخطيط !!

واكتفى بما ذكرته مسبقا عن تاريخ هذه المنظمة فيما عدا الأدلة التى ظهرت من تحقيقات القضية المشار اليها ، اثباتا لما سبق أن أوضحناه ، ونقصر الحديث على النقاط الآتية :

أولا : التنظيم

ثانيا : الدعاية

ثالثا : الماليـة

اولا ـ التنظيم :

عند ضبط هذه القضية فى أول يناير عام ١٩٥٩ ـ وكما سبق أن ذكرنا ـ كان النشاط الشيوعى قد بلغ ذروته ، ومن الوجهة العملية ، يستبين النشاط من الآتى :

◉ قسمت المنظمة ، جمهورية مصر الى ١٥ منطقة حزبية ، يرأس كل منطقة أحد قادة المنظمة ، وكونت لجان لهذه المناطق ، ونمكتب مركزى ٠ وقد صدر هذا التنظيم فى نشرة « حياة الشعب » بتاريخ ٢٢ مارس عام ١٩٥٨ ، موقع عليه بالأسماء الحركية « خالد ـ عباس ـ اسماعيل ـ عاطف » وهم سكرتير عام المنظمة وأعضاء من لجنتها المركزية وأسماؤهم الحقيقية على التوالى : دكتور فؤاد مرسى ـ أبو سيف يوسف ـ محمد حلمى يس ، وذلك قبل الانقسام الاخير ٠

◉ضبط الشيوعيون فى أنحاء الجمهورية ولم تخل مدينة من شمالها الى جنوبها من بعضهم ٠

◉ ضبط أحد أعضاء اللجنة المركزية ومعه بعض الأوراق الخطية ومنها خريطة **تتضمن رسما تخطيطيا لمنطقة القاهرة حول ميدان الجمهورية والطرق المؤدية اليه شاملا منطقة الوزارات ورئاسة مجلس الوزراء ٠**

◉ اعترف معظم المتهمين فى التحقيق ، بأنهم يدينون بالاشتراكية العلمية التى تقوم على ملكية المجتمع لوسائل الانتاج ٠ كما اعترف بعض المتهمين على غيرهم ٠

◉ أشاد معظم المتهمين بالاتحاد السوفييتى ونظامه ، ولم يخل سكن أحدهم من المطبوعات السوفييتية والكتب الشيوعية ٠

◉ ضبط تسعة متهمين من أعضاء اللجنة المركزية وعلى رأسهم سكرتيرها فى أول يناير ١٩٥٩ ، وأما الثلاثة الباقين فقد تساقطوا فرادى بعد أن تمكنوا من تشكيل لجنة مركزية جديدة من بقايا المنظمة ، وقد ضبط أحد أعضاء هذه اللجنة وهو محمد محمد بدر واسمه الحركى « بدوى » فى ١٩٥٩/٧/٢٨ وقد ضبطت له كراسة مكتوبة بخط اليد من ٩٦ صفحة تشمل تاريخا مفصلا لنشاط الحزب الشيوعى المصرى ، بعض قادته وصورة واضحة للنشاط خلال عام ١٩٥٨ ثم للفترة التى تلت ضبط الشيوعيين وتحدث كاتب الكراسة عن نقاط هامة منها ٠

◉ تحليل للتخريب الذى قام به أعضاء حدتو وأدى الى انقسام الحزب الوليد وهم عصابة خليل وأحمد ، شهدى عطية الشافعى واتهمهما بالتخريب وسرقة الاجهزة الفنية ، أى آلات الطباعة • ان هذا كان امتدادا لخطة البورجوازية. – أى الحكومة – فى تخريب الحزب وكأن الحكومة كانت تستخف بالحزب الى أقصى حد •

كما اتهم كاتب الكراسة بعض قادة الحزب انهم اتخذوا نفس خطة عصابة حدتو فى تخريب المنظمة ، بالهجوم على بعض قادة الحزب وبالاتصالات الجانبية والعائلية ، وتسربت الاسرار الماركسية والضغط المالى والتهديد بالانقسام •

◉ (تحت عنوان الحالة المالية خلال ديسمبر ١٩٥٨) جاء بالكراسة المشار اليها أن مدحت ومنير ومعتصم « وهى أسماء حركية لكل من) محمد عباس سيد أحمد وعادل محمود سيف النصر وابن عمه) رفضوا دفع المبالغ المقررة عليهم ، وأن خالد – وهو الدكتور فؤاد مرسى – أعلن أن ذلك تعبير عن استيائهم من تشكيل اللجنة المركزية وانتهى محرر الكراسة الى مسئولية الاربعة المذكورين عن الحالة المالية للحزب وقال أن ضربة أول يناير عام ١٩٥٩ أصابت كل الرفاق الذين يمثلون موارد مالية مركزية •

◉ قال ان بعض أعضاء المنظمة اتهموا قيادة الحزب بالهروب والتزوير واليمينية واليسارية والتخلف والتخبط ، وذكر فى الكراسة أسماء حركية عديدة ومنها « عنان » وقد اتضح أنها « انجى أفلاطون » التى ضبطت فى ١٩ يونيو ١٩٥٩ الساعة الثامنة مساء ، عقب خروجها من اجتماع شيوعى بأحد المساكن بحى روض الفرج ، وكانت متخفية فى زى فلاحة بملابس قروية ومصاغ مما تلبسه القرويات ، وقد ضبطت مع رؤوف فؤاد زكى عجمى وأبو الفتوح محمد خليل من العمال • وبالمناسبة عنان هذه شقيقة حرم الدكتور اسماعيل صبرى عبد الله • وقد حكم عليها فى القضية •

ما زلنا نسجل بعض النقاط الهامة فى قضية الحزب الشيوعى المصرى فريق الدكتور فؤاد السيد مرسى الحداد • ومن أهم هذه النقاط •



انجي أفلاطون

متخفية فى زى فلاحة بملابس قروية ومصاغ مما تلبسه القرويات

دور النشر والمكتبات التى أنشأها الشيوعيون بمساندة الدول الشيوعية ماديا .

جاء فى تحقيقات النيابة أنه بالاطلاع على العقود والمستندات الخاصة بأعمال (المؤسسة القومية للنشر والتوزيع) ويديرها حسن مصطفى صدقى وحسين توفيق طلعت بالاشتراك مع ريمون ابراهيم دويك ما يأتى :

◉ أسست هذه الدار بتاريخ ١٩٥٦/١٢/١٥ بعقد بين الاول والثانى وثالث شريك موصى ، برأسمال خمسة آلاف جنيه دفع الاول والثانى أربعة آلاف جنيه والثالث ألف .

◉ ايجار مقر الدار بشارع دوبريه بالقاهرة ١٨ر٣٦٠ جنيها ، وتبين من ميزانية المؤسسة عن عام ١٩٥٧ **أن خسارتها بلغت ١٠٦٢ر٧٣١ جنيها .**

◉ بتاريخ ١٩٥٨/٤/١٥ تعاقدت المؤسسة مع مؤسسة نشر بالمانيا الشرقية ونص العقد على أن تتخذ المؤسسة القومية مكتبة فى وسط البلد ، وتتولى المؤسسة الالمانية دفع ايجار فى حدود مائة وخمسون جنيها شهريا . وان تتحمل ثمانين فى المائة من مصاريف التأسيس وتدفع مائة وعشرين جنيها مصاريف وأجور وألفين جنيه فى سنتين للدعاية ، مع احضار خبير أجنبى لتنظيم المكتبة على نفقتها ، وقد استأجرت المؤسسة القومية أمكنة بلغ ايجارها الشهرى مائتين وخمسون جنيها **وانفق على تأسيسها ٤ر٤٣٨ر٥ جنيها مصريا .**

◉ تتضمن الاتفاقية أن تضع المؤسسة الألمانية ، تحت تصرف المؤسسة القومية كتبا قيمتها خمسة آلاف جنيهـا ، مع منحها حق الموزعين الوحيـدين فى مصر .

◉ بعد صدور قرار جمهورى بغلق هذه الدور ومصادرة ما بها ، وجد بها آلاف من الكتب الشيوعية وتبين أنها استوردتها من الدول الشيوعية دون أن تسدد ثمنها وقدرت بمبلغ ١٣ر٦٥٧ر٨٠٩ جنيها .

◉ ضبط بمكتب أحمد نبيل نجيب الهلالى المتهم فى القضية فى الغرفة التى خصصها لحفظ متعلقات الدار الديمقراطية الجديدة للنشر التى كان يمتلكها محمد عباس سيد أحمد ، محضر اجتماع ، وجاء بالمحضر ما يفيد ضم المؤسستين المذكورتين وتوحيد الاشراف السياسى عليهما بوساطة جهاز يخضع للاتجاهات العامة التى تحددها (ل٠ت) ــ ويرمز الحرفان الى اللجنة الثقافية التابعة للحزب الشيوعى المصرى ٠

وهنا ، ماذا يقول المرء عن دعاية سياسية تمولها البلاد الشيوعية ؟ وقد تبين من ميزانية الحزب أن دور النشر تساهم بآلاف الجنيهات فى الانفاق على النشاط السرى ٠

هى حلقة من سلسلة ، طرفها الشيوعية الدولية وطرفها الثانى فريق من أبناء مصر ومنهم من حملة الدكتوراه ، وحملة القماقم وبقايا الاقطاع والبأشوات ، ومن الدراويش كما وصفهم الاستاذ أحمد بهاء الدين فى مقالات كتبهــا عنهم بروز اليوسف منذ سنوات ٠

منظمة طليعة العمال والفلاحين

نحن هنا أمام منظمة ثالثة كانت واحدة من أهم التنظيمات التى اتحدت معا وكونت الحزب الشيوعى المصرى فى ٨ يناير عام ١٩٥٨ .

ولا يختلف تكوين هذا التنظيم كثيرا عن باقى التنظيمات ، فكما أسس اليهود والاجانب المنظمات السابقة الذكر وأداروها حتى اكتمل قوامها ، فقد أسس هذه المنظمة بول جاكو دى كومب وهو من عائلة بروتستينية سويسرية .

وقد يسأل القارىء عن علاقته بالصهيونية وباقى المخربين من عملاء الشيوعية الدولية فنقول ، انه ظهر منذ تكوين جماعة أنصار السلم التى تخرج فيها معظم العملاء الصهيونيين أمثال هنرى كورييل وهليل شفارتز ، وبدأ علاقته الشبه تنظيمية مع عدد من اليهود ومنهم ، يوسف موسى درويش وايزاك سعد ، وريمون دويك . وفى فترات متعددة كان يلجأ الى فلسطين حيث يوجد بها مركز من أهم مراكز الشيوعية الدولية كما قدمنا . ورغم أنه كان معروفا بتحمسه الشديد لنشر الشيوعية ، فقد غادر مع اليهود الى أوروبا وأصبح عضوا فى الحزب الاشتراكى الايطالى (جناح سراجات) ولم تظهر هناك حماسته للشيوعية بل ان هذا الجناح من الحزب كان معروفا بموالاته للصهيونية . وكان جاكو دى كومب يقود مجموعة مستقلة توجه النشاط الشيوعى فى مصر كما كان هنرى كورييل يقود مجموعة روما السابقة الذكر وقد ظهر ذلك فى تحقيقات القضايا عام ١٩٥٩.

بدأ بول جوكو دى كومب نشاطه الشيوعى فى حلقة واحدة مع كورييل وشفارتز ومارسيل اسرائيل وسلامون سدنى وأوديت سدنى وفورتى وريمون

دويك وايزاك سعد منذ قيام حركة أنصار السلم فى أواخر الثلاثينيات ٠ وترى أخى القارىء من هذا كله مدى علاقة دى كومب بالصهيونية ٠

كانت الدراسة فى هذه الحلقة باللغة الأجنبية ، ما عدا بعض النشرات التى أصدرها بعض اليهود من تلك الحركة فكانت باللغة العربية ، تهاجم الصهيونية والصهيونيين ؟

وفى عام ١٩٤٠ تحولت جماعة أنصار السلم الى حلقة سميت « جماعة البحوث » معظم أعضائها من اليهود والأجانب ، واقتصرت على الدراسات الشيوعية وأبرز أعضائها يوسف موسى درويش وايزاك سعد وريمون ابراهيم دويك ٠ وكان الاول يقيم بحى بولاق فافتتحوا مكاتب فى بولاق وامبابة وهى ما يسمى مدارس لمحو الامية وتمكنوا من ذلك من الاتصال بعدد من العمال والفلاحين لطبيعة أهالى المنطقتين ٠

وانقسمت هذه الحلقة وخرجت منها عناصر شكلت حلقات أخرى منها ما كان أساسا للحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى ٠

اشتد ضغط الالمان فى الصحراء الغربية ٠ فهرب عدد من اليهود الى فلسطين خوفا من انتصار الجيش النازى الا أن الحلقة المكونة من يوسف درويش وايزاك سعد وريمون دويك ، بقيت فى مصر وانضم اليها بعض العمال المصريين ومنهم محمود العسكرى ومحمد يوسف المدرك ، كما انضم اليها أيضا بعض المثقفين أمثال راؤول مكاريوس وغيرهم ٠

تمكن هؤلاء من انشاء بعض الأشكال العلنية ومنها لجنة نشر الثقافة الحديثة ودار القرن العشرين للنشر ، وكان يدير الأخيرة ريمون دويك ، وصدرت عنهم مجلة الفجر الجديد التى كانت تنشر المقالات الاقتصادية من وجهة النظر الماركسية وتهاجم الاستعمار وتنشر مقالات من الادب السوفييتى ومقالات متباينة عن المسائل الوطنية التى كانت مثارة فى ذلك الوقت وتطالب بالاصلاحات ٠ وقد حرر بها

كتاب ناشئون أمثال عبد الرحمن الشرقاوى وأحمد رشدى صالح وأمين تكلا وسعد المكاوى وعز الدين فوده والسيدة لطيفة الزيات وعلى الراعى ويوسف الشارونى ونعمان عاشور وأبو سيف يوسف أبو سيف وغيرهم فاختلطت كتاباتهم بما يحرره غيرهم من الشيوعيين ٠

وأما دور النشر التى أسسها الشيوعيون فامتلات بالكتب الماركسية والمجلات الشيوعية الواردة من بغداد وبيروت ٠

أما النشاط السرى ، فكان محصورا فى تجنيد الأعضاء من المصريين الى ما بعد الحرب العالمية الثانية ، حيث ظلت علاقة المنظمة باليهود حتى عام ١٩٥٠ عندما هاجر دى كومب وكثير من اليهود الى أوروبا واسرائيل وبقى قليل من اليهود ليحملوا راية الشيوعية فى مصر ، فمنذ عام ١٩٤٦ ، امتد نشاط المنظمة العلنى فى اتصالها بمظاهرات ونقابات العمال ٠ وأما النشاط السرى فقد اشتهرت المنظمة « بالقوقعية » وهو اصطلاح يطلقه الشيوعيون على النشاط السرى عندما يلجأ الى شدة الحرص والمغالاة فى الاستخفاء ٠ وكان من نتيجته قلة عدد الاعضاء المنضمين الى هذا التنظيم ٠

ويرجع تاريخ يوسف أبو سيف الذى تزعم منظمة العمال والفلاحين فيما بعد ، الى الوقت الذى كان يحرر فيه فى مجلة الفجر الجديد عام ١٩٤٥ ٠

وأصدرت المنظمة مجلة سرية باسم « الضمير » كانت تنشر مقالات تحرض فيها العمال على الاضراب ٠

وأول قضية ضبطت لهذه المنظمة ، اتهم فيها محمد يوسف المدرك ومحمود يوسف العسكرى وطه سعد عثمان وهم من العمال ، وحكم على الأخير بالسجن ٠

وأثناء حكم اسماعيل صدقى عام ١٩٤٦ ، صدر قرار بايقاف المجلات والنوادى والجمعيات التى اتصفت بالشيوعية كما أغلقت دور النشر المذكورة ٠

وبعد شهور ، تكونت منظمة باسم « الطليعة الشعبية للتحرر » وتغير الاسم الى « طليعة العمال » ثم الى « حزب العمال والفلاحين الشيوعى المصرى » فى أوائل عام ١٩٥٧ بزعامة أبو سيف يوسف · وكان الشيوعيون من باقى المنظمات يسمون أعضاءها بالدلاشنة نسبة الى شعارها « الديمقراطية الشعبية » المأخوذ عن أسلوب الصين الشعبية ·

وكانت المنظمة تعمل بين السرية المطلقة والعلنية المطلقة ووضح ذلك فى مجلاتها ودور النشر سابقة الذكر ·

وحاولت المنظمة بنفس الأسـلوب ، الاتصـال بحزب الوفد وكان أكبر الأحزاب الموجودة فى ذلك الوقت ، واشتركت فى مظاهراته وصحفه وفى المجالات الحزبية الأخرى كالنقابات ولجان الطلبة · وهى محاولات ينطبق عليها المبدأ الهام الذى وضعه لينين وهو « اننا فى تحالفنا مع الأحزاب ، نسندها كما يسند الحبل المشنوق به » ·

وهذا المبدأ صورة من صور الجبهة الوطنية المتحدة ، التى نفذتها المنظمـة بوسيلة طفيلية ودون اتفاق رسمى مع حزب الوفد أو مع منظماته الجماهيرية التى كانت قائمة ·

وعندما قامت ثورة الجيش ، فسرتها المنظمة تفسيرا مائعا وظلت تدعو بين السطور الى ضرورة التقاء العرب واليهود فى الكفاح ضد الاستعمار والصهيونية !!

القضية رقم ٣٥٥ عليا عام ١٩٦١

تفرعت هذه القضية من تحقيقات النيابة مع قادة المنظمات الشيوعية التى كانت متحدة حتى منتصف يونيو عـام ١٩٥٨ · واتهم فيهاست عشرة شخصا أولهم أبو سيف يوسف أبو سيف كزعيم للتنظيم واسمه الحركى « عباس » وقد اعترف فى التحقيقات بتاريخه فى الحركة الشيوعية وان المنظمة اتحدت فى أول عام ١٩٥٨ وكونت مع غيرها « الحزب الشيوعى المصرى » وأصبح سكرتيره العام · وانه عند اعتقال الشيوعيين فى أول عام ١٩٥٩ توارى عن الانظار متنقلا فى أماكن شتى ، حتى ضبط فى ٢٣ ديسمبر ١٩٦١ ·

ولخص اهداف المنظمة ، بأن لها اهداف قريبة واهداف بعيدة ، وأما القريبة فتخلص الى تقرير الاستقلال والدفاع عنه وتقوية التضامن العربى والتضامن مع معسكر الاشتراكية وتوثيق العلاقة بها وبدول الحياد الايجابى وبجميع الشعوب المناهضة للاستعمار · وفيما يتعلق بالسياسة الداخلية ، فان الاهداف القريبة تتلخص فى ضرورة القيام بأعمال حاسمة وسريعة للتخفيف عن الطبقات الوطنية ·

وأما الأهداف البعيدة ، فهى اقامة نظام اشتراكى يختفى فيه بالتدريج نظام الطبقات ، بأن تصبح جميع وسائل الانتاج الرئيسية ملكا للمجتمع فلا يـكون هناك طبقة رأسمالية أو طبقة ملاك كبيرة تستغل مجهودات العمال والفلاحين ، بل يجرد الرأسماليون من ممتلكاتهم التى تؤدى عندئذ دورا اجتماعيا معينـا فتؤول للدولة · وفى هذه الحالة تتحول السلطة الى الطبقة العاملة بقيادة الحزب الشيوعى تطبيقا للنظرية الماركسية اللينينية ·**ولم ينـكر اتخاذ العنف وسيلة لهذا التغيير وقال أنه اذا كان الحكم يستند الى أى تأييد شعبى ، فيمكن عنـدئذ أن يلجأ الحزب الى قلب نظام هذا الحكم بالقوة** ، وهى قوة الشعب المنظمة بقيادته

وعاب على الحكومة أنها تعلن أن الاتحاد السوافيتي صديق مخلص لبلادنا ، ولكنها تخالف ذلك في التطبيق كما أنها تقف موقفا خاطئا من العراق والأحزاب الشيوعية العربية واسترسل في نقده للحكومة وأسلوب الحكم وقال ان المشكلة الحقيقية بين الحزب الشيوعي والحكومة ليست هي المطالب في المحل الأول ، بل هي حول شرعية وجود الحزب في البلاد ، اذ أن تكوينه مرتبط أساسا بتحقيق الأهداف البعيدة وهي تطبيق الاشتراكية العلمية التي وضع أسسها ماركس وانجلز ولينين . وعاب على الشكل التي تمت به الوحدة مع سوريا .

ونكتفي بهذا القدر من اعتراف سكرتير عام الحزب . كما بينته النيابة في تقرير الاتهام . وقد اعترف أيضا المتهم الثاني اسماعيل عبد الحليم المهدوي واسمه التنظيمي « عثمان » ولم يخرج اعترافه عن اعتراف زعيمه السابق . واعترف المتهمان الثالث والرابع وهما شوقي مجاهد حجازي وأحمد سالم سالم بمثل ما سبق .

كان عدد اعضاء المنظمة وقادتها يحترفون النشاط الشيوعي وينفقون مما تدفعه المنظمة لهم .

ومما يذكر أنه ضبطت لدى المتهم الثالث عشر محمد كريم الدين حسين درويش مفكرة بها طعن في الاديان وتعريض بالقرآن . ومن ذلك تشبيه لكتاب الله بأنه « كتاب عتيق قام على أقفية المؤمنين . وشبه الزوج في الشريعة الاسلامية بملك جبلاية القرود بين حريمه « وكتب يقول » لقد صنعت الانسانية التطور ثم نسبته الى الآلهة ، وتملكها هذا الوهم فتوقفت عن الصعود ، وانتظرت من الآلهة أن تدفعها فكانت النتيجة ـ الانحطاط » .

وجاء بالمفكرة عبارة « لكي تنجح في الحياة ، يجب أن تسلك احد الطريقين ، اما أن تنفجر بين الناس كقنبلة ، أو أن تتسلل بينهم كالوباء ـ أما الشرف فانه طعام الحمقى » ومن الطريف انه وقع باسمه التنظيمي « داعر » . ولا حاجة لي الى

تعليق وقد اعفانى الكاتب بتوقيعه عما كتب ، وهذا ما تعلمه الشيوعية لأعضائها واستغفر الله ٠

ولكننى اذكر لهذا المتهم ـ له وليس عليه ـ انه فى تحقيق النيابة قرر انه عاود التفكير فى مسألة الدين واقتنع وآمن ٠ واعترف على زميله المتهم سامى درينى خشية انه الكاتب فى مفكرته بخطه « لقد مات الله ٠ هكذا قال زراد شت ـ لقد بلغت الانسانية من سمو الفكر والفعل ما يتيح لها شئون نفسها ـ اننا لسنا بحاجة الى وصى لا نراه » ٠

هذا وقد سبق اتهام ومحاكمة بعض قادة التنظيم فى قضية الحزب الشيوعى المصرى سابقة الذكر ، لضبطهم مع قادته ٠

ولا يفوتنا أن تذكر ان ريمون دويك قد هرب بعد ضبطه عام ١٩٦٢ من سجن الواحات الخارجية الى ايطاليا حيث اقام بها ثم عاد للبلاد بعد صدور القرار الجمهورى بالعفو عن العقوبات الصادرة على الشيوعيين والافراج عنهم ٠

وعند وحدة هذه المنظمة مع باقى المنظمات وتكوين الحزب الشيوعى المصرى فى ٨ يناير ١٩٥٨ ، كانت هـذه المنظمة شريكة مع باقى المنظمات فى التنظيم والدعاية والمالية ٠ فقد حاولت المنظمة فى نشرة لها أن توهم أعضاءها بأن الجماهير يجب أن تكون المصدر الأساسى لتمويل الحزب وذله حتى لا يقع الحزب تحت رحمة المولين ، **وحتى لا تعتقد الجماهير أن هناك جهات أخرى تصرف على الحزب وهى غريبة ، مما يجعلها تشعر أن الحزب ليس حزبهـا وان له اهدافا أخرى غير التى يعلن عنها ، وهى خدمة مولى الحزب « ويكاد المريب أن يقول خذونى » ٠**

هذه النشرة رفعها عضو اللجنة المركزية وهو مسئول المالية الى السكرتارية المركزية ٠ ونسأل هنا ، ما الحاجة لطباعتها وتوزيعها على اعضـاء المنظمة وعلى الجماهير ؟ لا شك انها تعنى خداعا للاعضاء وقراء النشرة ، ان المنظمة تعتمد على نفسها فى التمويل وبأنه ليس لديهم مصدر آخر ٠ وانه ليس هناك أمر يعتبر « منزلقا خطيرا كما جاء فى دفاعهم » ٠

ولما كانت كل المنظمات الشيوعية فى الهم سواء ، فقد ضبطت لدى المتهم الثالث ورقة أوضح فيها ان نفقاته وزميليه المتهمين الأول والثانى ، كانت تربو على المائة جنيه فى الشهر الواحد ، مع انهم كانوا هاربين بعد ضبط قادتهم واغلاق دور النشر التى كانت موردا لهم وانقطاع الصلة مع السفارة والسفارات الأخرى . ولم يكن لهم عمـل يرتزقون منه . فمن أين جـاءهم هذا المرتب وهم هاربـون يتخفون ؟ !!

وهنا نقف عند هذا الحد من شرح سياسة المنظمات الشيوعية . ونستميح القارىء عذرا ، للاطالة التى تعمدناها . حتى يقف على أسرار الحركة الشيوعية المحلية وما يتصل بها من واقع التحقيقات والقضايا . **وكان عرضى منذ شرحت هذا كله ، أن يقف القارىء أمام أى حديث موقفا واعيا ، فيمكنه تحليله والعودة به الى أصوله ، ومعرفة كنهه ، فيصل بوسيلة علمية ، الى فهمه فهما صحيحا .**

الفصل الخامس

المدرسة

اعترف بعض الشيوعيين بتاريخهم فى الحركة الشيوعية ، منهم من كان يفاخر بكفاحه ، ومنهم من ادعى الوطنية ، وآخرون اعترفوا ندما وتراجعوا الى الحق • وقد اخترت واحدا من المتهمين ، أسجل هنا اعترافاته فى التحقيقات •

قرر سامى خشبه الذى سبق أن ذكرته بتاريخه الشيوعى ، **وعلل ذلك بالفراغ الايديولوجى** ، أى الفكرى ، الذى كان يعيش فيه ، وانه وجد من واجبه أن يكتشف حقيقة ما يدور خلف ادمغة هؤلاء الشيوعيين الذين لا يفرغون من انقساماتهم • واوضح ان الخلاف بين قادة الشيوعيين ، كان خلافا على المراكز الرئيسية فى الحزب ، وان الكفاح الطبقى لا يهم الشيوعيون بقدر ما يهمهم مركزهم ومستواهم فى التنظيم ــ وقال انه اتيحت له فرصة التفكير الهادىء بعد ضبطه ، ولأول مرة منذ ثلاثة أعوام ، اكتشف انه لم يسبق له أن ناقش نفسه مناقشة موضوعية فى امكان القيام بثورة طبقية فى مصر على غرار ما حدث فى الاتحاد السوفيتى والصين • وانه لا يود أن يذكر الديمقراطيات الشعبية التى قامت فى أوربا بعد تحطيم النازية ، لانها حصلت على الحكم الاشتراكى بمساندة الجيش الأحمر • وانه بدأ يربى نفسه لاعادة بناء مفاهيمه حتى يحصل على وجهة نظر جديدة غير طبقية ولا متعصبة ، وان استمرار وجوده فى السجن هو الذى سيساعده على استكمال هذا التطهير وهذا البناء الجديد •

ان هذا الاعتراف مثال لبعض اعترافات الشيوعيين ، التى ان دلت على شىء انما تدل على أن الكثيرين منهم قد اهتزت مفاهيمه وأفاق على حقائق كانت غامضة عليه ، وعندما انفرد بنفسه اعاد الرؤية فاستبانت له الأشياء على طبيعتها المنطقية .

وبدراسة هذه الحالات وغيرها ، أصبح الأمر يدعو الى اجراء عملى يفتح الآفاق لهؤلاء المضللين سيئى الحظ ويهيىء لهم الفرصة لاعادة التفكير فى مسائل جديدة ، وزوايا لم يرنوا اليها من قبل لعلهم يهتدون .

وبذلك بدأ الاعداد لانشاء مدرسة ، لها كل مقومات الدار التربوية ـ تجربة لم يسبق لها مثيل فى العالم ـ .

وأول ما تبادر الى الذهن ، هو اختيار فريق من المعلمين ، يتحمس للفكرة ويتفهم الهدف الوطنى منها . ولم نلق أية صعوبة ، فقد وجدنا كل تأييد ومعاونة من بعض أساتذة الجامعة ، وأذكرهم معترفا لهم بالفضل :

الأستاذ الدكتور أحمد سويلم العمرى

الأستاذ الدكتور جابر جاد عبد الرحمن

المرحوم فضيلة الشيخ أبوزهرة

الأستاذ الدكتور رفعت المحجوب

الأستاذ الدكتور طعيمة الجرف

الأستاذ الدكتور لبيب شقير

الأستاذ الدكتور ثروت بدوى

واتفق على أن تكون محاضراتهم للشيوعيين خالية من النظريات الماركسية وملاحقها ـ لا بالطعن ولا بالنقد ـ بل تتناول المفاهيم السياسية الصحيحة الخاص بمجتمعنا العربى من جميع الأوجه وتقاليدنا السمحة وكل ما يحقق السلام الاجتماعى فى بلدنا .

وأصبح اختيار الأفراد من المعتقلين ، هو الدعامة الرئيسية لنجاح هـذه المدرسة • وبدأنا باختيار ثلاثين شخصا استمروا فى الدراسة أربعة أشهر ثم أفرج عنهم على الفور • واخترنا دفعة أخرى لنفس الفترة وهكذا •

وتخرج من المدرسة عدد يربو على الاربعمـائة مواطن ، عادوا الى مصرنا العزيزة ولم يشذ منهم واحد • وأصبحو بحق فخر هذه التجربة التى نجحت وحققت بعض الاهداف منها • وأقول بعض الاهداف ، لأن التجربة لم تستمر طويلا اذ أفرج عن الشيوعيين مسجونين ومعتقلين فجأة فى ٢ أبريل عام ١٩٦٤ ، لمناسبة زيارة خروشوف فى ١٢ مايو من نفس العام !!

وقد ثار بعض الشيوعيين **الشرفاء** ! واتهم هؤلاء الذين عادوا الى الله والحق بالضعف وبأنهم لم يتحملوا الضغط وخانوا القضية • بل أصدر بعضهم كتبـا يتددون برفقاء الطريق ويتهمون المباحث بشتى الاتهامات العجيبة •

ومن هذه الكتب كتاب ما كان يستحق التعليق ، ولكنه صدر بعد اثنى عشر عاما من الافراج عن الشيوعيين • وقد أصدره الهام عبد العزيز سيف النصر ، وأهم ما فيه ــ هذا اذا كان فيه شىء يهم ــ هو أنه ملأ الكتاب بأحداث مكررة عن تعذيبه فى المعتقل بالكرباج يوميا ، ونسى أنه قضى معظم فترة اعتقاله بمستشفى القصر العينى يعالج من تليف فى الكبد ، واتهمنى بأننى استعملت غسيل المخ مع الرفاق ليخضعوا لرغبات الحكومة • ولا أدرى لماذا خضع هو الآخر فى ذلك الوقت ، وقد كتب لى أكثر من عشر خطابات شخصية أترفع عن ذكر تفصيلاتها• ولكنى أسجل فقط ما كتبه زميل قديم له فى كتابه عن « حقيقة وأسرار الشيوعية المحلية » قال انه تعرف بسجن الاجانب فى يناير عام ١٩٤٨ وكان محبوسـا فى قضية تظاهر ضد الملك السابق على الهام سيف النصر الذى ركع سـاجدا تحت أقدام الملك وكتب الولاء له فافرج عنه وسافر الى باريس وهو عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعى المصرى ومن الرأسماليين المصريين » •

الباب الرابع

الفصل الأول:

ماذا بعد الإفراج عن الشيوعيين ؟

الفصل الثاني:

الخطة
جمعية أنصار السلام
وضع المسلمين فى الإتحاد السوفييتى
التسلل السوفييتى فى الشرق الأوسط وأفريقيا
نظرية جديدة للشرق الأوسط
التسلل السوفييتى فى آسيا وأفريقيا

الفصـــل الأول

ماذا بعد الإفراج عن الشيوعيين ؟

(سوف تحدد التحولات الكبرى التي تجرى فى بلادنا ـ مستقبل الشعب والبلاد ـ بل مستقبل المنطقة العربية كلها لسنوات طويلة ، هل تدعم وتنـمو قوى التقدم والاشتراكية وتنتقل فى مسيرتها العامة الى مراكز أكبر تقدما ؟ أم هل تجمد الحركة الثورية وتنتصر حركات الردة التى تقودها وتنظمها قوى الثورة المضادة والاستعمار العالمى ؟) ٠

هكذا بدأ بعض الشيوعيين نشاطهم ، فأصدروا نشرة تتضمن ما سـبق بتاريخ ديسمبر عام ١٩٦٤ ٠ أى بعد ثمانية شهور من الافراج عنهم وبعد خمس سنوات من اعتقالهم ٠ وقد زيلت النشرة بتوقيـع « اللجنـة المركزية للحزب الشيوعى المصرى » ٠

ولى هنا بعض الملاحظات :

ـ انى أقطع بأنه لم يكن هناك فى هذا الوقت حزب شيوعى ٠ وأن التوقيع يمثل أشخاصا اجتمعوا على موقد الوهم ، وتصوروا زعامة حزب شيوعى ٠

ـ هم يقصدون بلا شك ، عندما كتبوا فى النشرة الحركة الثورية « الحركة الشيوعية » ويقصدون أيضا بتعبير الثورة المضادة ، أية حكومة تحترم نفسها وتحمى الشعب الذى تمثله فهى ثورة مضادة بالنسبة لهم ٠

تقول النشرة « ان البلاد تواجه صعوبات جدية وخطيرة ، وهى وان كانت ناتجة أساسا عن نجاحات وانتصارات ، الا أن القوى المعـادية الداخلية والخارجية التى تتربص بهذه النجاحات ، هى من القوة والنفـوذ بحيث أن قوى التقـدم والاشتراكية قد باتت تواجه تحديا خطيرا لم يعد يمكن السكوت عليه » ٠

وتقول النشرة « ان اللجنة المركزية اهتمت باعداد الرفاق ليأخذوا أماكنهم فعلا فى أرض المعركة ، فلا تخلف ولا سلبية ، بل عمل طليعى على جميع الجبهات الفكرية والسياسية والاقتصادية ، مع كل القوى الاشتراكية، وفى صفوف العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين » ٠

ثم تفضح النشرة مخرجيها وتقول :

« ان الأزمة التنظيمية الناتجة من هجرة بعض الرفاق صفوف الحزب ، والسلبية التى يبديها عدد من الكادر (أى القياديين) والانصراف عن دراسـة ومناقشة القضايا الخطيرة التى يطرحها المجتمع ، والاكتفاء بالتعبير عن السخط وعدم الرضا والوقوف عند حد تسجيل الاخطاء ورفض تولى المسئوليات الحزبية ٠٠٠ الخ » ٠

وأرجو أن نتنبه معا ونعى ما شرحته النشرة عن كيفية القيام بالنشاط العلنى ، فى تلك الظروف المواتية ، فان هذا التخطيط قد نفذ تماما حتى وقتنـا هذا ٠

تقـول النشرة « ان التنظيم الطليعى الثـورى ، هو تـكتل يضم جميـع الاشتراكيين ويحتوى العمال والفلاحين والمثقفين والثوريين ٠ **واذا كانت هنـاك اقسام من القوى الثورية ، لا تتقبل النظرية الفلسفية المـاركسية اللينينيـة ، وترفض ان تتخلى عن الدين فان هذا لا يعد عائقا دون انضمامها الى هذا التنظيم** ـ فليس قبول الماركسية واللينينية والتخلى عن الدين ، شرطا لتبنى الاشتراكيةـ كل ما نطلبه فى هذا التنظيم الطليعى أن يتسلح بالوعى الطبقى ، وأن يـكون مرتبطا بحركة الجماهير ، وأن يسـير فى حياته الداخلية عى أسـاس المركزية الديمقراطية ٠

ويبدو أن الذى كتب هذه النشرة ، قد درس أعماق الماركسية اللينينية ، **اذ فسر** « كيفية **التجمع** الذى يدعو اليه ، بالفكر **التقدمى** المبنى على **الوحدوية مع** كل الفئات ، حتى المتمسكة بالدين والرافضة للشيوعية » ٠

وهانحن نرى ، بعد اثنتى عشرة عاما ، أن هذا المخطط قد نفـذ بحذافيره فيكون الحزب الذى يجمع بين الاشتراكية الماركسية ، المتدينين ، والذين لايؤمنون بغير الشيوعية ٠ ولكن الاخيرون يقومون بدورهم ــ لا أقول على استحياء ــ وانما على استخفاء ٠

وقالت « ان الحزب لا يواجه ارهابا بوليسيا ، بل على العكس ، **فالحزب يعيش في ظروف مواتية** الى حد كبير ٠ فالبلاد قد انتقلت الى مواقع سياسـية واجتماعية واقتصادية متقدمة **ويتبنى قادة البلاد هذا الاتجاه** ٠ وأن الشيوعيـين المصريين الذين أظهروا ثباتا رائعا طوال السنوات الماضية ورفضوا أن يستنكروا عقيدتهم ، قد كسبوا احترام كل الديمقراطيين الشرفاء والعاطفيين ٠ ومع ذلك فان الحزب يبدى عجزا واضحا عن الافادة من هذه الظروف » ٠

وترسم النشرة طريق تكوين أو تدعيم النشاط الشيوعى ، على النحو الذى بدأه الشيوعيون من قديم ، فدعت الى تنظيم النشاط السرى والى التسلل للاتحاد الاشتراكى **والى تكوين ما أسمته بالطليعة الشيوعية** ٠

الفصل الثانى

الخطة

هكذا رسم الشيوعيون مخططا جديدا بعد الافراج عنهم مباشرة ، وسنحاول أن نثبت هنا ، اذا كان هذا المخطط من عندياتهم ، أو هو مخطط معد بأكمله من من جهة أخرى ٠

اذا رجعنا الى النظرية الماركسية اللينينية ، لوجدنا انها تدعو الى القيام بثورات فى جميع أنحاء العالم ، وتخضع الدول خضوعا تاما للدولة الأم ، ومع غض النظر عن الفلسفات التى قيلت فى هذا الشأن ، فاننا نسأل سؤالين اثنين فقط ، بعد أن قامت الأنظمة الشيوعية فى بعض بلاد أوروبا بمساندة العسكرية السوفيتية ٠

هل هذه البلاد تعتبر بلادا حرة مستقلة ؟ كانت الجيوش البريطانية تحتل عسكريا بلادا لا تغرب عنها الشمس ، وتستغل مواردها وتقيد حركتها ، وكنا نسمى هذا الاحتلال « استعمارا » ٠ فماذا نسمى احتلال الدول الشيوعية بالجيوش السوفيتية ؟ بماذا نسمى دوراتها فى فلك الاتحاد السوفيتى سياسيا واقتصاديا ؟

وهنا لا ننسى ثورة المجر على الاحتلال السوفيتى عام ١٩٥٦ التى سحقتها الجيوش السوفيتية وأخمدتها بالحديد والنار ٠

كانت الامبراطورية البريطانية تعتمد اعتمادا كليا على عملائها من المواطنين الذين يفتحون لها الطريق الى مستعمراتها ٠ ثم ظهرت النازية فكان لهم ما سمى

حين ذاك بالطابور الخامس ٠ وجاء أساتذة السياسة وجعلوا من الامية عمادهـا في استعمار الدول على أيدى الشيوعيين الذين أثبتو أنهم خير من الطابور الخامس اذ يعتمدون على الطلسم العجيب وهو الأمية التى قيل من زمن طويل أنها الهدف الاسمى من النظريات الشيوعية ٠

لم تقم ثورات شيوعية بعد الثورة الروسية فى أى مكان فى العالم سوى فى الصين لظروف خاصة بها وبمساعدة السـوفييت العسكرية فى الثـورات الاخيرة ، ومع ذلك فقد انفصلت الثورتان وأصبح بينهما عداء مستحكم ولم يتم بينها ما يسمى بوحدة البروليتاريا وأما الامية فكادت تصبح فى خبر كان ٠

لم تقم ثورات فى بلاد أوربا ، ولكن التاريخ القريب جدا يسجل أن بعض الحـكام بها ومن حولهم من الشيوعيين القـلائل أطاحوا بالحـكومات السـابقة بالمساعدات العسكرية السوفيتية بعد الحرب العالمية الثانية ٠

وحتى فى السنوات الاخيرة ، قامت الثورة الوطنية فى بلاد الحبشة مثلا ، على يد ضباط عاديين من الجيش ٠ ثم برز واحد منهم فقضى عليهم جميعا واستولى على الحكم ، وساندهم السوفييت وتلاميذهم الكوبيين الآتين من بعيد بالسلاح والخبراء والتوجيه ٠ ولا شك أن الهـدف من هذه المساندة القـرب من منابع البترول ورغبة السيطرة على المنطقة الحساسة ٠

وأما الاحزاب الشيوعية فى البلاد الحرة ، فقد تيقظ أعضاؤها أخيرا وهبوا يرفضون التبعية للحزب الشيوعى السـوفيتى وتخلى معظمهم عن المـاركسية اللينينية أو أهم أسسها وهى دكتاتورية البروليتاريا ٠

وقطع الحزب الشيوعى اليابانى علاقته بالحزب السـوفيتى عام ١٩٦٤ ثم بالحزب الصينى عام ١٩٦٧ ، وقام بتعديل كثير من أهدافه السياسية ، ووقف مع بقية الاحزاب اليابانية الأخرى فى مطالبة الاتحاد السوفيتى بالجلاء عن الجزر اليابانية الأربع التى كانت قد احتلتها فى الحرب العالمية الثانية ٠ وقد محى الحزب الشـيوعى اليابانى من لائحتـه هـدف الحزب من تحقيق النموذج السـوفيتى

لدكتاتورية البروليتاريا واستبدل الماركسية اللينينية بالاشـتراكية العلميـة وتخلى عن صيغة الدولية ٠

وأصبحت سياسة الشيوعية الديمقراطية المستقلة ، التى لم يجرؤ زعيم شيوعى واحد على اتباعها من قبل ، حقيقة واقعة ٠ ورفضت أحزاب عالميـة كثيرة سيطرة السوفييت على الحركة الشيوعية الدولية ٠ وذهبت مع الريح محاولات الاتحاد السوفيتى لاستعادة مركزه فى لشيوعية الامية ، تارة بالنصح والنقـد وتارة بالتهديد المستتر ٠

ومن التعبيرات المثيرة التى وردت فى كتاب كاريللو سكرتير الحزب الشيوعى الاسبانى عن « الشيوعية الأوربية والدولة » ما قاله من أن موسـكو اعتبرت الحركة الشيوعية كنيسة وأنها الفاتيكان » ٠

وعندئذ يأتى السؤال الثانى :

هل فشلت الماركسية فيما كانت تدعو اليه من جنة على أرض يسـودها الاخاء والمساواة بين الناس والأمم ؟

وفى رأيى أنها لعبة لا تختلف عن ألاعيب الاستعمار المعروفة ، حيـكت بمهارة وخطط لها بدقة متناهية فى الدهاء ٠

وأخيرا وجد السوفييت حلا لهذه المشاكل دون حاجة لنظريات معقدة تدعو الشعوب لاعتناقها ، فهذا طريق طويل غير مأمون ولا مضمون ٠ ويكفى بعض العملاء تساندهم وتساعدهم عسكريا ، ليركب هؤلاء موجة الثورات الوطنية فى بلادهم ويقلبـون نظامه ، ويخضعونها لسيطرة ديـكتاتورية عاتيـة تحت امرة السوفييت ٠ وأصبحت هذه السياسة طراز العصر فى وقتنا هذا ، ودون حاجة للف والدوران ولعبته الإستعمارية المعروفة بين الاطفال ٠ وسنعود الى هذاالمخطط فيما بعد ٠

وشاءت ظروف جمهورية مصر العربية ، أن تقع فى اطار المخططين ــ القديم والجديد ــ لولا لطف الله ٠

فبعد أن فشلت الشيوعية الدولية بمخططها التقليدى ، وخرج الشيوعيون المحليون من المعتقلات ٠ مفككين لا يضمهم حزب أو تنظيم ٠ بدأت شرازم منهم فى التخطيط فورا كما بدأ السوفييت تكييف الحالة الجديدة بحسب ظروف البلاد وما يحاط بها وسارت الامور كما يلى :

مخطط السياسة السوفيتية :

لا فائدة ترجى من الرئيس الراحل جمال عبد الناصر فقد وقف من الشيوعية المحليــة موقفا صلبا ٠ ولم يتوان فى مجــابهة رئيس الســوفييت مهاجما لــه وللشيوعيين جميعا ٠

- أصبحت الاطاحة به وبنظامه هدفا عاجلا ٠
- ايجاد طبقة حاكمة غير واعية فى السلطة وايهامها بلذة الحــكم وهيبة السلطان ٠
- تخريب الاقتصاد المصرى واغراق البلاد فى بحر من الديون ٠
- القضاء على القوات العسكرية فى الفرصة المناسبة ٠
- اغلاق كل الابواب التى قد يلجأ اليها نظام عبد الناصر للمعونة أو لشد أزره ما عدا باب السوفييت ٠
- تمكين الموالين من السوفييت من السيطرة على البلاد ٠
- معاونة الشيوعيين المحليين بالدعاية والتدعيم فى كل الميــادين حتى يشتد عددهم ويصبحوا قادرين على أية قوة أخرى ٠

ولست فى حاجة الى شرح هذا المخطط وقد نفذ معظمه وأصبح مفهــوما للكافة ٠

مخطط الشيوعية المحلية :

وجد الشيوعيون المحليون ، الظروف المواتية فالحكومة تغمض الطرف عنهم، بل وصل الأمر بها أن عينت الوزراء ونواب الوزراء من شيوعيين دمغتهم المحكمة بالسجن عشر سنوات ، ولو شئنا أن نعدد المراكز والمجالات التى عين فيها الشيوعيون ـ فى تلك الفترة ـ لأعيانا الأمر ٠

ولا بد أن نذكر هنا مجالا واحدا متسع الارجاء خطير النتائج ، هو مجال الصحافة والنشر والثقافة والاعلام ٠ فقد احتلها الشيوعيون واطلقت يدهم فى تحريرها ، فكان منهم رؤساء تحرير ورؤساء لأكبر مؤسسات الثقافة والنشر والطاقة الذرية ٠

ويسير كل هذا فى خط متواز مع تخطيط السوفييت السابق ذكره ٠

فالسفارة السوفيتية تحتفل بذكرى لينين فى عواصم المحافظات ، مثلما حصل فى المنصورة عام ١٩٦٦ ، واحتفال القوات البحرية بهذه الذكرى بالاسكندرية، وأمر القوات العسكرية بقبول وتشجيع العلاقات العائليةوالاجتماعية مع الخبراء السوفييت وعائلاتهم !!

ولا أنسى أن أنوه هنا بخبر قصير نشرته الاهرام فى صفحتها الأولى مفاده أن الحزب الشيوعى المصرى قرر حل الشكل التنظيمى له ٠ وكما قلنا لم يكن هناك فى تلك الفترة حزب شيوعى ولا أشكال تنظيمية ٠ ولا أدرى أهى سذاجة من رئيس التحرير الذى سمح بنشر هذا الخبر فى الصفحة الاولى ، أم أمر بالنشر متعمدا معتقدا فى سذاجة الشعب ، أم اشتراك فى المخطط المشار اليه ؟

ولما كان كل مخطط ذا هدف محدد ، فلم يبق لتحقيقه سوى الفرصة المناسبة ٠ وجاءت هذه الفرصة فعلا عندما توفى الرئيس جمال عبد الناصر ، ولكن الله سلم وفشلت المؤامرة واستبانت الحقائق وتوج النصر بتصحيح المسار٠ وقد كان السيد حسن التهامى محقا عندما قال فى مقالة له بالاهرام أخيرا « كانت المحاولة سوفيتية المقصد والتخطيط » ٠

لعل الذين طمعوا يوما فى الحكم وسميناهم بمراكز القوى لم يكن أحـد منهم يدر ، أنهم كانوا فى الحقيقة مراكز متناهية فى الضعف والسذاجة ، بل أقطع أن أحدا منهم لا يدرى **أن الرئيس السادات قد أنقذ وقابهم من الذبح** • ويبدوا هذا التعبير غريبا • الا أنه بالتمعن فى كل ما سبق تسجيله ، لوجدنا تفسيرا مقنعا لهذا الرأى بسهولة ومنطق مستقيم •

فان دعائم المؤامرة من مراكز الضعف قد فـكرت وأوحى لهـا التدبـير للاستيلاء على الحكم • ١٨١أ

فهل كان الشيوعيون سيقفون متفرجين ؟ ان لهم مخططاتهم وأهدافهم التى ظلوا يكافحون لتحقيقها عشرات السـنين ، فهل يتركون فئة طامعة فى الحكم ، تستولى عليه ، وليس لأحد منها تاريخ نضال وكفاح ، ولايمتون للشيوعية بصلة. ما هكذا علمتنا الشيوعية •

وهل يسلمون الحكم لأفراد لا أمان لهم ؟ وهل يكتفون نىم الغنيمة بالتصفيق والشعارات ؟ وفيما اذن الفائدة من النظريات والفلسفات ؟ ان لم تكن تحقيقا للهدف البعيد •

لقد اتخذ الشيوعيون من هذا النفر الساذج مطية ذلول ، سيسهل تصفيتهم فى لحظة • وكانوا يعلمون بحق مدى العقلية التى يتعاملون معها ، وكانوا يعلمون بحق مدى العون الذى سيتلقونه من أربابهم السوفييت وهم يتكلمون لغة واحدة ويعتنقون دينا واحدا • وبالقطع سيفضل السوفييت العميل المتدين بدينهم عن العميل بغير دين على الاطلاق •

الاحداث بعد ذلك معروفة ، وأترك الأمر للقـارىء الفاضل ، يحلل منهـا ما يصل اليه على ضوء الصفحات السابقة •

جمعية أنصار السلام

لا أود أخى القارىء أن تعيش معى تائها فى لابيرانت (أو بيت جحا) المؤتمرات الدولية وبحر الهيئات العالمية التى أدت ببراعة الى تكوين لجان وهيئات السلام فى جميع أنحاء العالم ولكنى أقتصر على ذكر الملاحظات الآتية كما وعدت بها من قبل ٠

الكومنفورم :

يبرز هنا سؤال لماذا نجحت موسكو فى توطيد سلطانها التام على الشيوعيين فى جميع أنحاء العالم ؟

ان الشيوعى المخلص يتطلع الى موسكو بغيرة المتعصب التى يمكن أن تقارن فقط بشعور المسلم نحو مكة والكاثوليكى نحو روما ٠ وقد أقنع المذهب الماركسى كل شيوعى بضرورة وجود قيادة دولية لنشاطه الثورى ، واقتنع الشيوعيون فى كل مكان بأن الحزب الشيوعى السوفيتى والحكومة السوفيتية يشكلان قوة سياسية وعسكرية واقتصادية أعظم بكثير مما تشكله أية حركة شيوعية خارج روسيا ٠ وقد رأينا كيف كانت تبعية الشيوعيين لموسكو ، وسنرى أدلة أخرى حاسمة عن هذه التبعية وكيف تقدم موسكو التأييد المادى لجميع الاحزاب الشيوعية خارجها وكيف تمدها بالمال والمطبوعات والمهمات والاسلحة ٠

كان الجهاز التى تباشر به موسكو السيطرة على جميع الأحزاب الشيوعية منذ عام ١٩١٩ حتى عام ١٩٤٣ هو الكومنترن أى الشيوعية الدولية كما ذكرنا سابقا ، وقد تكون مندوبة من جميع الأحزاب الشيوعية ، انتخب من بينهم لجنة

تنفيذية ، ومنها انتخب المكتب السياسى وكانت له سكرتارية كبيرة فى موسكو تتبعها ادارات للمناطق والمطبوعات المختلفة وكانت ومازالت ، توجد فى روسيا مدارس عديدة ، لكبار الشيوعيين الرسميين فى جميع أنحاء العالم ، وتعد أيضا بعض المتخصصين للعمل فى البلاد الأجنبية ، وكان للكومنتيرن ممثل لكل دولة يتولى ادارة أعمال الحزب الشيوعى بها ، ويؤدى عمله عادة بصفة سرية · وقد سبق أن ذكرنا أمثلة ذلك ·

وابان الحرب العالمية الثانية ، أقدم ستالين على حل الكومنتيرن وذلك لتهدئة الغرب وحتى يدلل على أنه تخلى عن قيادة جميع الأحزاب الشيوعية فى البلاد الأخرى · وواقع الأمر أن هذه القيادة بقيت بنفس الدقة ولكن بطريقة خفية· اذ تولى الادارة الأجنبية للسكرتارية المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى الوظائف الرئيسية التى كان يتولاها الكومنتيرن · وألغى منصب السكرتير العام له وكان « ديمتروف البلغارى » · وفى عام ١٩٤٧ انشىء مكتب باسم الكومنفورم ·

وليس الكومنفورم بديلا كاملا عن الكومنتيرن ، فقد أصبح ادارة للدعاية والتنظيم والمخابرات ، وليس للقيادة والاشراف على الاحزاب العالمية ، اذ أن هذه الوظيفة ما زالت من نصيب الادارة الخارجية للحزب الشيوعى السوفيتى · هذا علاوة على المراكز الاقليمية الأخرى للنشاط الشيوعى · وكانت فى بيروت للنشاط فى الشرق الأوسط وفى أديس أبابا للنشاط فى أفريقيا وفى كوبا لأمريكا اللاتينية ·

وفى ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٩ أصدر الكومنفورم قرارا قال فية « ان الصراع من أجل سلام دائم وتنظيم قوى السلام واتحادها ضد قوى الحرب ، هذا الصراع يجب أن يكون محور نشاط الأحزاب الشيوعية والهيئات الديمقرطية فى الوقت الحاضر » ·

وصدرت أوامر للهيئات الشيوعية فى البلاد غير الشيوعية بتنظيم الاضرابات وأعمال التخريب واثارة القلاقل فى الانتاج الصناعى والدفاعى للدول

الغرب والدعاية ضد التجنيد وخلق جو من الاضطرابات فى المستعمرات ، وأما فى روسيا والبلاد الضالعة معها فقد أخذت الدعاية للسلام تسكب سم الكراهية للعالم الآخر وتسلح فى زيادة الانتاج وخاصة الانتاج الحربى .

ولعلنا نلاحظ أن هذا الأسلوب هو السائد فى العالمين الشرقى والغربى حتى الآن .

وأمر آخر من الكومنفورم للشيوعية المحلية ولجان السلام الى توسيع نطاق جميع توقيعات على نداء السلام الذى صدر فى استوكهلم عند اجتماع مؤتمر السلام هناك لأول مرة وكان الهدف منه هو تأييد العالم غير الشيوعى للسياسة السوفيتية كما صرحت بذلك صحيفة يونيتال وهى الصحيفة الشيوعية الايطالية .

وعندما انعقد مؤتمر السلام فى وارسو تكبدت الحكومة البولندية جميع نفقات المندوبين ومنحتهم السجائر وما يعادل خمسة وأربعين جنيها مصريا لكل منهم مصاريف جيبه الخاص ، وكان عدد المندوبين ألف وسبعمائة مندوبا .

وقد ختمت الاذاعة السوفييتية أعمال المؤتمر بهذا الوصف البليغ « لقد أثبت المؤتمر أن السلام سوف ينتصر على الحرب لأن أنصار السلام يسيرون تحت زعامة الشعب السوفييتى المحب للسلام ولأن الذى يحمل رايته هو أعظم رجل على وجه الأرض ، صديق العمال وأستاذهم جوزيف ستالين » .

ونجح الاتحاد السوفييتى فى نشر فكرة السلام ، وقد اتضح للعالم أجمع مع مرور الوقت أن هذه الحركة كانت ترمى باختصار شديد الى اخفاء الغايات التى يسعى الاتحاد السوفييتى اليها وراء المبادىء النبيلة باستغلال فكرة نزع السلاح والدعاية السلمية .

هذا الأسلوب وضح تماما من نشاط جماعة أنصار السلام فى مصر . فقد رأى الموجهون للنشاط الشيوعى أن النشاط السرى لا يكفى فقرروا أن يقوموا

بجانبه بنشاط علنى لا يقع تحت طائلة القانون ، سليم المظهر يتفق مع المشاعر الشعبية والعمالية • واستغلوا حركة السلام فأنشأوا اللجان الوطنية وبعض الصحف والمجلات واندسوا فى الصحف الاخرى ينشرون المقالات الوطنية التى تتفق ووجهة النظر الماركسية •

استورد « يوسف حلمى المحامى » فى أواخر عام ١٩٥٠ فكرة أنصار السلام وأنشأ جماعتها وكون لجانها وجعل من مكتبه محلا لاجتماعات الأعضاء وسكرتيرى اللجان ولم يكن لمكتبه ايراد من القضايا ومع ذلك فان اتساع نشاط المنظمة منذ انشائها دل على ما أتفق عليها من أموال ، وكون لجنة تحضيرية كان هو سكرتيرا لها ومن أعضائها « أحمد سعد الدين كامل ، من مؤسسى الحركة الديمقراطية ، ومحمد على عامر الزهار عامل النسيج ، وعبد الرحمن الخميسى ، ومحمد عبد المنعم الغزالى ، وانجى أفلاطون » وكل هؤلاء كانوا من قادة الشيوعية اللذين حكم عليهم بعد ذلك فى قضايا •

وتمكنت اللجنة التحضيرية من تأسيس اللجان الفرعية فى الاحياء المختلفة وبعدة مدن وكانت لهم صحف علنية منها « الملايين » و « الكاتب » • وبرغم اهمال المحامى يوسف حلمى مكتبه ، وبرغم أنه ليس من أصحاب الايراد الثابت فاذا به يرحل الى أوروبا سنويا لحضور المؤتمرات وينفق على مكتبه وسكنه وحيـــاته الخاصة وسيارته عن سعة وعلى نشاط الجماعة من مطبوعات ومجلات كانت تضبط بالعشرات فى مساكن الشيوعيين ، وكانت مجلة « الكاتب » يوزع معظم نسخها بالمجان وقليل منها يباع ، وبعد تعطلها ظهر أن كل من كان يتعاون فى اصدارها كان من الشيوعيين وضبط معظمهم فى قضايا شيوعية •

وكان كاتبه الذى يعمل معه والدا لأربعة من الشيوعيين ومن أعضاء الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى النشيطين • وحتى فراش المجلة « حسن معوض » فقد كان من الشيوعيين النشيطين •

استفادت الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى من نشاط أنصار السلام فائدتين ، الاولى التغلغل فى أوساط الجماهير وتجنيد أكبر عدد ممكن من العناصر التى تصلح للنشاط السرى ، والثانية الدعاية ضد الحكومة بطريقة ملتوية اذ تقدم على صفحات مجلاتها مطالب للحكومة ، قد تعجز عن تنفيـذها لأسـباب لا يلمسها الجمهور ، فتظهر أمامه بمظهر العاجز ٠

ورغم ضبط أنصار هذه الجماعة من الشيوعيين وتفتيت نشاطها ، والتجاء يوسف حلمى لنشاطات أخرى مثل تكوين الجبهة الوطنية الديمقراطية مع أعضاء حدتو وبعض شباب الوفد ٠ ثم هروب يوسف حلمى الى أوروبا حيث اتصل باليهود من أعضاء حدتو الذين حرضوه على كتابة خطاب مفتوح للرئيس الراحل ونشرته حدتو ضمن مطبوعاتها ، يطالب فيه بالصلح مع اسرائيل وأن يعيش اليهود والفلسطينيين معا فى دولة واحدة وفى سلام ٠

واستمر نشاط مجلس السلام العالمى وكان من أعضائه السيد / خالد محيى الدين وكانت أيضا من أعضائه السيدة / سيزا نبراوى يمثلان المجلس القومى المصرى للسلام ومن الملاحظات التى نذكرها عن اجتماعات مجلس السلام العالمى فى أوائل عام ١٩٦٢ ما يلى :

◉ فى اجتماع استوكهولم استبعد المجلس بعض قرارات دورة اللجنة التنفيذية للتضامن الآسيوى الأفريقى التى كانت قد انعقدت فى غزة ، وهذه القرارات خاصة بتحرير فلسطين بحجة أن هذا القرار يثير التوتر الدولى فى المنطقة ٠

◉ اقترح بعض أعضاء حركة السلام العالمى فى اجتماعات هلسنكى تكوين مؤتمر القارات الثلاث آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية ٠ وأثير بين المجتمعـين سؤال عما اذا كانت تعطى الأولوية لحركة السلام العالمى أم لحركات التحرر الوطنى فى القارات الثلاث ٠ وكان رأى مندوب الاتحـاد السوفييتى أنه يجب تجنب الحرب العالمية على أساس التعايش السلمى مع الدول الغربية ، بينما رأى مندوب

الصين الاستمرار فى الحرب التحريرية باعتبارها حربا مقدسة • وانضم الى الرأى السوفييتى المندوبان المصريان وانضم الى الرأى الصينى أعضاء سكرتارية التضامن الآسيوى الافريقى باستثناء مندوب الهند ، أما مندوبا العراق والجزائر فلم ينضما الى رأى معين •

◉ أثير اقتراح بمجلس السلام العالمى يقضى باقامة مؤتمر لنزع السلاح والسلام ، وطلب عضو السكرتارية الصينى اضافة عبارة « والاستقلال الوطنى » الى اسم المؤتمر فرفض مجلس السلام العالمى الفكرة •

وهذه هى دولة السلام التى تشدقت كثيرا بهذه الكلمة وأقامت المؤتمرات ونشرت دعاية السلام فى ربوع العالم تظهر على حقيقتها فهى لا تريد حروبا تحريرية وتفضل التعايش السلمى والسلام ونزع السلاح من جميع الدول ما عداها •

وبهذا يمكن أن نفسر موقفها من حملة السلام الأخيرة التى قامت بها مصر ، فالمسألة ، مبادىء ثابتة وأهمها المياه العكرة وخراب الدول وهى لا تعيش الا فى هذا المحيط •

وضع المسلمين فى الاتحاد السوفييتى

ما أوجع التاريخ للمشاعر اذا ظل حيا فى قلوب الناس يذكرهم بالمآسى وينسى الأحداث السعيدة . فما بالك اذا كان تاريخا قريبا ما زالت أحداثه مستمرة ، تتصل بفريق من بنى الانسان لا يدرى الناس شيئا عنه ، فهم يعرفون قليلا جدا عن المسلمين الذين سكنوا وما زال أكثرهم يقطنون فى مناطق واسعة من جنوبى شرق روسيا ووسط آسيا ويعيشون الآن تحت الحكم السوفييتى .

ومن النادر أن نسمع عن أمم مثل التتار والباشكير والتركمان والقازان والازبك وغيرها وبعض المتخصصين يقدر عددهم بعشرين مليون نسمة تآلفت أرواحهم بدخولهم فى دين الاسلام .

ومن العسير أن نستقصى على وجه الدقة موقف هؤلاء المسلمين فى الوقت الحاضر فى الاتحاد السوفييتى ، ما لم نضع فى أذهاننا عددا من الحقائق التاريخية الهامة .

● ان العلاقات بين الشعوب الاسلامية والروس ليست علاقات حديثة ، بل هى علاقات قديمة قامت منذ قرون . فقد أقامت فى أجزاء كبيرة فى جنوب روسيا ، أقوام من أصل غير سلافى وكانت أغلبها تدين بالاسلام .

● لقد مارست القيصرية الاستعمار القديم مع هذه المناطق . ويسجل التاريخ صورا متنوعة من المعارك والمناوشات والهدنات والحنث بالوعود فى النزاع الطويل بين الشعوب الاسلامية وبين السلاف .

وقرابة نهاية القرن الثانى عشر وبداية القرن التالى له ، أغار المغول بقيادة جنكيز خان على أواسط آسيا ووصلوا الى كييف ودمروها تماما ، ثم اصطدموا فى أواسط أوروبا بالفرسان الالمان انحصرت موجة الهجوم المغولى وارتدوا على أعقابهم • وبقيت جماعات منهم ومن التتار والباشكير ومما عرف باسم القبائل الصفراء ، فأقامت فى حوض نهر الدون وهو أسفل نهر الفولجا واعتنق بعض خانات المغول وغيرهم الدين الاسلامى • وفى مدى مائة عام أصبح أكثر القبائل الرئيسية مسلمين •

وفى عهد تيمور لنك ، أصبحت مدينة سمرقند مركزا للحضارة والفن الاسلامى وأصبحت مدن أخرى مثل بخارى وطشقند مراكز للتعليم الاسلامى ، وفى القرن الخامس عشر كان الاسلام قد استقر حول البحر الأسود فى القرم وفى كل جنوب روسيا وامتد تجاه الجنوب الشرقى حتى جبال الناى •

ثم توالت هجمات الروس على هذه المناطق حتى تمكنوا فى عهد بطرس الأكبر من تثبيت قدمهم قرب البحر الاسود ، وقاوم القوقاز الذين يعشقون الحرب ومعظمهم من المسلمين • وسقطت بين يد الروس مدينة طشقند وأصبحت عاصمة لمقاطعة تركستان وسقطت بعدها مدينة سمرقند وتحولت بخارى الى محمية روسية •

وفى عام ١٨٧٦ سقطت مدينة قوقند وأصبح للروس بعد هذه الحروب امبراطورية استعمارية واسعة أخضعت لها كل مسلمى وسط آسيا وفى أعقاب الجيوش الروسية ، جاء التجار والاداريون الروسيون • وبدأت اجراءات التحويل الى الصبغة الروسية وكانت هذه الاجراءات عنيفة فى بعض الاحيان مما أدى الى هجرة عدد كبير من تتار القرم الى تركيا ، وهاجر مثلهم الشراكسة والشيشين من القوقاز • وأقام الروس فى المناطق المحتلة مثل كازاخستان وغيرها واستولوا من الأهالى على أخصب أراضيهم •

الا أن المسجل تاريخيا أن روسيا القيصرية لم تتدخل بوجه عام فى الحالة الاجتماعية والدينية لرعاياها الجدد من المسلمين · فكان للطائفة الاسلامية حرية دينية · احترمت مساجدها وواصل المعلمون الدينيون من أهل الملة عملهم · وكانت الشريعة الاسلامية تطبق على المسلمين ·

وفى عام ١٩١٧ ظهرت فى الوجود عدة جمهوريات قومية مستقلة منتهزة فرصة هزيمة الروس فى الحرب العالمية الاولى ·

الا أنه فى ٧ نوفمبر قامت ثورة البلاشفة ، ومن أهدافهم تحرير كل شعوب العالم من عبودية القوى الاستعمارية ·

وفى ٧ ديسمبر ١٩١٧ أصدر مجلس نواب الشعب البولشفى نداء الى مسلمى روسيا والشرق وبه الفقرات الآتية :

« من الآن فصاعدا نعتبر ديانتكم ومؤسساتكم القومية والثقافية حرة لا تمس ، شيدوا حياتكم القومية بحرية ودون عقبات ، ان حقوقكم تحميها الثورة بكل قوتها وبكل أجهزتها · ولذلك أيدوا هذه الثورة وحكومتها » ، ووجه هذا النداء أيضا الى المسلمين فى الشرق ، والفرس والاتراك والعرب والهندوس مضافا اليه « ان مبادئنا هى تحرير الشعوب المغبونة فى العالم ، نحن فى سبيلنا الى احياء العالم وتحريره · ننتظر منكم العطف والتأييد » ·

وخلال تلك الفترة أكد لينين فى خطبة له « ان الشيوعيين يقرون بقدسية المعتقدات الدينية وعادات المسلمين ويعترفون بصلاحية الشريعة » وحاول ستالين أن يؤكد للمسلمين « ان الحكومة السوفييتية تعتبر أن للشريعة نفس ما لقوانين الناس الذين يعيشون فى روسيا من صلاحية وقوة » ·

وفى يناير ١٩١٨ أنشأت الحكومة السوفييتية قوميسيرية لشئون المسلمين ونظمت قوميسيريات للمسلمين المحليين « ادارات » · وأعيد للمسلمين مصحف عثمان وتم ترميم مسجد كرافان سراى الخاص بالباشكير فى أورنبرج وجورج

سمبكى فى قازان ولم تنس الحكومة السوفييتية اقامة مكتبة مركزية لمنظمات الشيوعيين المسلمين ، لبث الدعاية بكل لغات المسلمين ، وأصبح لدى عدد منهم الأمل فى أن تحصل بلادهم على استقلالها الحقيقى ٠

وانتصر البلاشفة فى حربهم مع الجيوش البيضاء فى يوليو ١٩٢٠ ٠ وفى نفس الشهر ما بين ١٩ يوليو و ٧ أغسطس من نفس السنة دعى المؤتمر الثانى للكومنترن الدولى للانعقاد فى باكو ٠

وقد اختيرت باكو بصفة خاصة لتوسيع الحكم الشيوعى نحو الشرق ، ولخطب ود المسلمين وكسب تأييدهم ، ليس فى روسيا فحسب ، وانما فى ايران وتركيا والعراق والعالم العربى ٠ وسار كل شىء فى المؤتمر على ما يرام ، حتى اليوم الأخير منه عندما كشف الرفيق سكانشكو عن خبيئة الأمر وأعلن « ان الزعماء الدينيين للمسلمين كالطفيليات وباغون ويجب حرمانهم من أراضيهم « ووصفهم » بأنهم ينتهكون الحرمات ويشوهون قوانين دينهم « وطالب » بأن ينتزع عن وجوههم هذا القناع المقدس ، وأن تصادر جميع الاراضى المتعلقة بالمنشآت الدينية » ٠

وبعد استيلاء السوفييت على السلطة فى طشقند ، رفضوا أن يجيبوا ملتمس المسلمين بأن تسير شئونهم المدنية وفقا للشريعة الاسلامية ٠ ومع ذلك استطاع المسلمين فى قوقند أن يقيموا حكومة ذات استقلال ذاتى ، وطالبوا الحكومة السوفييتية بالاعتراف بالحكومة المؤقتة لتركستان باعتبارها الحكومة الوحيدة ٠ وطالبوا بحل حكومة السوفييت فى طشقند لأنها تعتمد على عناصر أجنبية معادية لجمهرة الأهليين بالبلا ٠ وكانت اجابة حكومة بتروجراد مائعة ٠ وفى يناير ١٩١٨ أرادت حكومة قوقند أن تعقد الجمعية التأسيسية لتركستان وأعلن السوفييت فى طشقند أن حكومة الاستقلال فى قوقند حكومة بورجوازية واستدعيت فرق الحرس الاحمر ، فحاصرت مدينة قوقند وهلك أربعة ألف شخص فى المذبحة التى أعقبت الحصار ٠

وبمثل ذلك تم سحق جميع محاولات المسلمين لاقامة جمهوريات ذاتية ۰ وسجن وقتل كثير من زعماء المسلمين وخطبائهم ۰ وكان من بين الضحايا المفتى كاراكايسكى من تتار القرم ، وكانت جريمته أنه أرسل الى الحكومة السوفييتية احتجاجا على قتل المسلمين من أهل الملة بالجملة فى القرم ۰

وأعيد تنظيم جمهوريات الاتحاد السوفييتى فى عام ١٩٢٥ وفى الاقاليم التى يغلب فيها المسلمون ظهرت جمهوريات تحت الأسماء التالية :

« ازربيجان ـ ازبكستان ـ تادفيكستان ـ كازاخستان ـ كيرفستان » ۰

وبعد أن وطد السوفييت أقدامهم فى أراضى المسلمين ، بدأوا فى حربهم العنيفة ضد الاسلام باعتباره دينا ۰ وكانوا ينظرون اليه فى مبادئهم مثل غيره من الأديان ، كخزعبلات غير ذات جدوى ، تضلل عقول الناس ۰ ووصلوا الى ذلك بكل الوسائل مثل التشريع والاوامر الادارية والتهديد بالقوة والقوة نفسها وأخيرا وليس آخرا بالدعاية للشيوعية ۰

كيف توصل السوفييت فى حربهم للدين الى النتيجة التى هدفوا اليها وهى استئصال الاسلام ؟

كانوا وما زالوا يعرفون أن الأسس التقليدية التى بنى عليها المجتمع الاسلامى هى ثلاث أسس :

الوقف أو الأملاك الموقوفة ۰

الشريعة ۰

نظام التعليم الدينى ۰

لذلك فقد بدأوا باعطاء حق ادارة الاموال الموقوفة واستخدام ريعها الى ادارة التعليم السوفييتية وذلك بمرسوم أصدرته اللجنة التنفيذية المركزية

لجمهورية تركستان فى ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٢٢ وحتى عام ١٩٣٠ كانت الحكومة السوفييتية قد جعلت الوقف غير قانونى فى وسط آسيا ٠

والركن الثانى من أركان المجتمع الاسلامى الذى أراد السوفييت ازالته هو الشريعة الاسلامية ، فقد ألغت القضاء والمحاكم الشرعية وصدرت المراسيم واحدا بعد الآخر باختصاص محاكم الشعب بكل القضايا الشرعية ٠

وفى عام ١٩٢٣ استولت الحكومة نهائيا على كل الاعتمادات المالية اللازمة لقيام المحاكم الشرعية ٠ وعندما حل عام ١٩٢٦ كان آخر المحاكم الشرعية فى اقليم جمهورية تركستان قد اختفى ٠ وفى عام ١٩٢٧ أصدرت اللجنة التنفيذية المركزية لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية قرارا يقضى بحل كل المحاكم الاسلامية القائمة فى الدولة السوفييتية وتحريم انشاء محاكم جديدة ٠

ووجهت الضربة الثالثة الى التعليم الاسلامى ٠ فقد كان المسلمون يتحملون عبء تعليم صغارهم فى روسيا القيصرية ٠ اذ كان للأهالى فى تركستان ٩٧ مدرسة ابتدائية يتردد عليها نحو ثلاثة آلاف طفل ، ٧٢٩٠ مكتبا (كتابا) يتلقى فيها ٦٩٨٦٤ طفلا التعليم الاولى ٠ و ٢٧٥ مدرسة تضم ٩٦٢٧ تلميذا يتلقون العلوم العربية ٠

وكان الأهالى يبذلون الجهد في تعليم النشء من موارد الاملاك الموقوفة على التعليم ، فلما استولى السوفييت على الوقف ، امتنع هذا المورد واضطرت هذه المدارس الى اغلاق أبوابها ٠ وقضت الحكومة السوفييتية بذلك أيضا على المؤسسات الاسلامية للتعليم العالى ٠

ومع ذلك فان هذه الهجمات العنيفة ضد أسس الحياة الاسلامية العادية ، لم تؤد الى ترك المسلمين لدينهم على نطاق واسع ٠ وحتى حالات التحول الفردية عن الدين كانت نادرة نسبيا ٠

ان حرية العبادة الدينية حق معترف به لكل مواطن فى الاتحاد السوفييتى. وكذلك فان حرية الدعاية ضد الدين مكفولة لأى مواطن . وبينما العبادة الدينية ومواصلة المراسم تتوقف على القوة الروحية والمساهمة المادية للمصلين ، فان الدعاية المضادة للدين تجرى بتأييد الحكومة ومعرفة هيئات رسمية وتضع الحكومة تحت تصرفها أموالا غير محدودة . واستخدم السوفييت كل قوة الحكومة السوفييتية فى اخماد الدين واضطهاد أتباعه المخلصين فى بداية الحرب ضد الدين ، أنشأت الحكومة دارين من دور النشر :

« بوزربوشنيك » ومعناها « لا يؤمنون بوجود الله » .

« الاتييست » ومعناها « الملحدون » .

وهدف الدارين هو اضعاف الدين ، بأية وسيلة ممكنة بالسخرية والتحقير والاتهامات الباطلة وما يسمى بالاكتشافات العلمية التى يبدو أنها تتعارض مع مبادىء الدين . وكان يقود هذه الدعاية « اتحاد المقاتلين اللاربانيين » وهى هيئة تديرها الحكومة وتمولها .

ومن أمثلة مطبوعاتهم ومنشوراتهم التى لا تحصى ما يأتى :

◉ ظهر فى ١٩٢٠ فى صحيفة حياة الشعوب مقالة عنوانها « القرآن والثورة » وترمى الى عرض الطبقية فى الاسلام ، وخداع قادة المسلمين ونشاطهم المعادى للشعب .

◉ ظهرت فى نشرة « الشرق الأدنى » واستمرت حتى ١٩٣٠ وكانت تشتمل الى جانب الموضوعات الصحيحة مقالات كثيرة مضللة عن الدين .

◉ كانت الدعاية المضادة للاسلام ينشر معظمها فى الفترة الاولى باللغة الروسية ، الا أنه فى عام ١٩٢٥ ظهرت مجلة تسمى « فن أم دين » باللغة التترية وكانت تنشر الأفكار والنظريات الالحادية فى الشرق الباشكيرى والسوفييتى .

● نشرت عدة كتب من أهمها مؤلفات « لوشيان أ· كليوفيتش » وكان من أكبر الدعاة ضد الاسلام ــ ومن كتبه محتويات القرآن عام ١٩٢٨ ، وجاء به عرض لما فى القرآن من متناقضات كما يدعى ، وأكد أن القرآن كتب لمصلحة المستغلين الذين يخضعون الناس لهم بدون قيد أوشرط ، مخدوعين بأمل غامض فى حياة سعيدة مستقلة · ومن مقالاته فى مجلة « الاتيتييست » العدد ٥٣ سنة ١٩٣٠ عن الحج مصاص الدماء فى الاسلام وسنة ١٩٣٣ نشر كتيبا بعنوان « ضد الصيام » وفى كل مقالاته وكتبه يهاجم المسلمين بعنف ويصف أعيادهم وعاداتهم بأنها سامة ويسخر من الطقوس الدينية الاسلامية ·

● ذهب كتاب آخرون الى أبعد من مجرد السخرية والهزء بالاسلام والمسيحية ، فأنكروا وجود النبى محمد صلى الله عليه وسلم والمسيح عليه السلام.

ويستمر تأكيد الدعاية الالحادية والمضادة للاسلام والمسيحية فى الصحف ومحطات الاذاعة حتى اشتعلت نار الحرب العالمية الثانية ·

وجدت الحكومة السوفييتية ، بعد قيام الحرب أنه من الحكمة أن تخفف من ضغطها على الجماعات الدينية ، فتم الاتفاق بينها وبين الزعماء المسلمين ووعدت الحكومة بعدم الدعاية ضد الاسلام وعدم التدخل فى الشئون الدينية ووعد المسلمون من جانبهم بتأييد القتال ضد الغازى الاجنبى · وفى عام ١٩٤٢ سمحت الحكومة باعادة فتح بعض المساجد والمدارس الدينية ، كما أمرت بعودة الزعماء الدينيين الذين كانوا منفيين فى معسكرات العمل فى سيبيريا وما زالوا على قيد الحياة وهم قلة ·

وهكذا حصلت الهيئات الدينية ، على هدنة بأمل الوصول الى اتفاق دائم للتعايش السلمى مع الشيوعيين ، ووعد السوفييت بتنفيذ هذه الاتفاقيات باخلاص تام · وبرهانا على ذلك سمحوا بانشاء ادارة رئيسية للشئون الدينية الاسلامية وأصبحت يوفا وطشقند مركزين لهذه الادارة وسط روسيا اسيبيريا ووسط آسيا وكازاخستان على التوالى ، وبانشاء هيئة مماثلة فى القوقاز تشرف على ازربيجان ·

ومع ذلك فان الشيوعيين عينوا المفتى رئيسا للهيئة الادارية فبقيت ادارة شئون المسلمين تحت ادارة الحكومة مباشرة ٠

وبينما كانت هذه الاجراءات تشير الى علاقة جديدة بين الحكومة السوفييتية ورعاياها المسلمين ، اذ انحاز عدد من المسلمين الى جانب العدو ، فقامت الطامة وأعملت الحكومة القتل فى المسلمين بالجملة ونفت جماعات بأسرها خارج ديارهم والى سيبيريا حيث قضى عليهم الجوع والمرض والبرد والعمل الشاق ٩ وكان ذلك مصير جمهوريات الشيشين والانجوش والكابار داى بولكر والكارتشاى عام ١٩٤٣ وعام ١٩٤٤ وأما تتار القرم فقد استؤصلت شأفتهم أجمعين وألحقت القرم بجمهورية أوكرانيا واستقر السلاف فى أراضيها ٠

بينما كان كل ذلك يجرى ، كان مندوبوا السوفييت يعلنون فى مؤتمر سان فرانسسكو بمنتهى الورع حقوق الانسان فى حق تقرير المصير والحرية الدينية والحياة الطيبة ٠ ولم يسمع العالم عن مصير هؤلاء الناس لأعوام طويلة الا من الشائعات التى انتشرت ، وكان من أثرها أن جاهد بعض المسلمين فى البلاد الاسلامية ومنهم أحد أمراء مصر – بعد الحرب مباشرة – فى ترحيل عدد كبير من الفارين من هؤلاء الى بعض البلاد العربية ٠

وفى عام ١٩٥٧ صدر قرار من المجلس الأعلى للسوفييت يسمح بعودة المسلمين المنفيين الى أراضيهم الأصلية ٠ وهكذا بعد حوالى أربعة عشر سنة ، عرف المصير المروع الذى حدث لهؤلاء الناس من سوء الحظ ، ولكن واحسرتاه ٠ فقد مات أغلب المنفيين ٠ ومن عاد منهم وجدوا أراضيهم قد احتلها السلاف ٠ ولم يكن لصدور هذا القرار سوى أسباب دعائية حتى يؤثر فى المسلمين خارج نطاق الاتحاد السوفييتى ، ويثبت أن السوفييت أصدقاء للمسملين والاسلام ٠

وأكثر من ذلك ، تضمن برنامج خروشيشيف لزراعة الاراضى البكر فى وسط آسيا ، ارسال آلاف من أعضاء الكومسومول « رابطة الشيوعيين الشباب »

الى كازاخستان ووجه خروشيشيف نداءا الى نصف مليون شاب ليقيموا فى هذه المناطق • كما أرسلت الحكومة فرقا كاملة من الجنود المسرحين وضباطهم فى عام ١٩٥٥ الى جمهوريات آسيا لاحتلال الاراضى •

ذكرنا أن الحركة توقفت ضد الاسلام وقادة المسلمين بعد نهاية الحرب • وكان على رجال الدين الاختيار بين التوقف عن النشاط الدينى بأجمعه ، أو الرضوخ لمطالب النظام القائم • ورفض كثيرون من أعضاء الادارة الدينية ، أن يعمل فى هذه الظروف ، وعادوا الى الحياة الخاصة • وقرر آخرون أن يستفيدوا من الفرصة مهما كانت ضئيلة ، ليخدموا عقيدتهم وقومهم • وعلى هذا الأساس ، بنيت العلاقة بين الشيوعيين وبين زعماء المسلمين • ومعظمهم يعلمون تماما أن الشيوعيين كانوا ولا يزالون أعداء للاسلام والمسلمين • ومع صعوبة هذا الوضع فقد حاول المسلمون بكل الوسائل ، الابقاء على روح الاسلام ، على أن يدفعوا الثمن غاليا • فالشيوعيون لا يتركون فرصة لاستغلالهم فى أوجه الدعاية وخاصة فى مجال العلاقات الخارجيـة التى ترمى الى خديعة العالم الخارجى ومن ذلك ما يأتى :

◉ عندما بدأت حملة أنصار السلام ، نادى زعماء المسلمين السوفييت اخوانهم فى العالم الاسلامى لتوقيع نداء السلام •

◉ اختيار بعض زعمـاء المسلمين ، لتمثيل المسلمين فى روسـيا لدى المؤتمرات الدولية حيث يلتقون بوفود المسلمين من أنحاء العـالم ، وعليهم أن يؤكدوا صداقة الشيوعيين للمسلمين ، وان الشيوعية سبيل من سبل الحياة التى رسمها الله •

◉ اختيار عدد ضئيل جدا لا يتجاوز عشرين شخصا من المسنين ، لتأدية فريضة الحج كل عام ، مارين بالجمهورية العربية المتحدة ، ليرى العـالم مدى التسامح فى ممارسة الفروض الدينية •

وفى هذه الفترة ، وجهت الدعاية ضد الدين والاسلام بطريقة أكثر ذكاء . فبعد اشراف « جمعية المحاربين الملحدين » على هذه الدعاية ، أصبحت مغطاة برداء أكثر احتراما . اذ أنشئت جمعية كل الاتحادات لنشر المعرفة العلمية والسياسية بالاضافة الى أنه فى كل جمهورية اسلامية ، توجد ادارة للشئون الثقافية ولها فروع فى كل قرية . والاتجاه السياسى لهذه التنظيمات هو الدعاية ضد الدين .

ومن الحقائق الثابتة ، ما حدث بعد موت ستالين اذ اعتقد المسلمون انهم مقبلون على فترة مختلفة الا أنهم ووجهوا بالسياسة الآتية :

فى ١١ ديسمبر ١٩٥٣ أصدر خروشيشيف قرارا نشر فى برافدا عبر عن السياسة المقبلة للحكومة السوفييتية تجاه الدين وطالب بزيادة التعليم الشيوعى واقترح وسائل جديدة للتعليم المضاد للدين ، وكتب أن هذا العمل يمكن أن يكلل بالنجاح فقط ، عندما يتلقى الدين ضربة قاضية وعندما ينمحى تأثير الاسلام وغيره من الأديان الى الأبد من شعوب الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية.

وزادت منذ ذلك الحين الدعاية المضادة للدين فى الجمهوريات الاسلامية تنشر سمومها بين الكبار والصغار رجالا ونساء ، حتى فى رياض الاطفال ومن أمثلة ذلك : ذكرت البرافدا فى ١٧ نوفمبر ١٩٥٤ ، أنه نظمت برامج اضافية من المحاضرات لنشر الموضوعات المضادة للدين فى كل المناطق التى يسكنها المسلمون وأغلب المحاضرات من أعضاء الحزب الشيوعى . كما أقيمت معارض ثابتة ومتنقلة فى المدن والقرى تضم مطبوعات مختلفة مثل الاسلام والعلم والاسلام والفلسفة الفكرية الشيوعية توضح أن الاسلام رجعى مناهض للعلم وهو مجموعة من الخرافات . وكيف بدأ الدين وماذا يعنى . والأفكار العلمية تتعارض مع الدين وغير ذلك كما تمت الدعاية بصفة خاصة بأطفال المدارس فى سن مبكرة . واشتركت الصحف الاقليمية فى هذه الدعاية ومنها صحيفة باكنسكى رابوتشى فى عددها ١٠ مايو ١٩٥٦ وصحيفة نادفيكستانا فى عددها ١٦ أبريل ١٩٥٦ ، ٢٤ أغسطس ١٩٥٥ فى صحيفة كيرفيزيا سوفييتسكايا التى تصدر فى تركستان ظهرت مقالة تحت عنوان « الدين يتعارض مع العلم » .

وفى فبراير ١٩٥٧ أثناء الدورة العادية العامة للجنة المركزية للكومسمول فى موسكو اتخذ قراريدعو الى تركيز العمل المضاد للدين بين الأطفال ٠

قدمنا هذه الأمثلة القليلة لنبين الاتجاه العام فى مناهضة الدين ٠ وأما بالنسبة للمساجد فان حاجة الدعاية تقضى بوجود واحد كنموذج ليرى الأجانب أن الحرية الدينية تمارس فى الاتحاد السوفييتى ٠ فمثلا كان يوجد فى بخارى أكثر من خمسين مسجدا قبل الحكم الشيوعى ولم يبق منها اليوم سوى واحد فقط ٠ وعندما جمع الناس المحليون مساهمات لصيانة مساجدهم ، منعوا من استخدام الأموال لهذا الغرض واعتبرت غير انتاجية ٠

ورغم هذه الجهود من جانب الشيوعيين فان أغلبية كبيرة من المسلمين ظلوا على ايمانهم ٠ ولم يستطع الشيوعيون تحطيم الاسلام ورغم تعرض الشباب طوال حياته للدعاية الملحدة فقد بقيت جذور الاسلام فى قلوبهم ٠ وفى ٢٢ ديسمبر ١٩٥٥ صدرت صحيفة برافدا للشباب وبها مقالة تأسف فيها بشدة على أنه فى تركمينستان ما زال الناس يذهبون للمساجد ويحتفلون بالاعياد الدينية ، ليس الرجال والنساء من الجيل القديم فقط وانما تلاميذ المدارس أيضا والشبان فى المزارع الجماعية ، وما زال الزواج يتم الاحتفال به وفقا للعادات الدينية وطالبت الصحيفة بوجوب العناية بالدعاية المضادة للدين ٠

ويضطر السوفييت الى بعض التسامح تجاه الاسلام حتى يضللوا المسلمين خارج الاتحاد السوفيتى ، خاصة وقد انتشرت الدعاية ضد الشيوعيين بأنهم ملحدون ، ومن هنا اتخذ الشيوعيون فى البلاد الاسلامية موقفهم المضلل مدعين بأن الاسلام لا يتعارض مع الشيوعية ٠

هنـــا فى مصر

يكفى أن نسوق بعض النماذج التى تكمل موضوعنا :

فقد عرف فضيلة الدكتور الشيخ عبد الحليم محمود شيخ الأزهر الشريف رحمه الله • بأنه كان يقف للشيوعيين والشيوعية بالمرصاد ، وقد أعلن فى يوم أنه سيبذل الجهد فى مكافحـة الشيوعية ، وتنمر الشيوعيون فى هذه الحملة ووجدوا فى مجلة روز اليوسف مرآة لحملتهم فنشرت فى أعدادها ٢١ يونيو ١٩٧٦ ، ٢٨ يونيو ١٩٧٦ ، ٥ يوليو ١٩٧٦ مقالات متوالية نبينها فيما يلى :

كتب المحرر عبد الله امام تحت عنوان « كل المسلمين يسار » وليس فى الاسلام « رجال دين » واضح من المقال انه انتزعه فى حوار مع فضيلة الشيخ الخفيف ، بتصريحات لوى عنقها فبدت وكأن الحديث عن يسار مجهول ، وعلى القارىء أن يفهم من المقال انه يقصد الشيوعية •

◉ **مقال بعنوان كبير باللون الأحمر « جمعية المنتفعين بتطبيق الشريعة الاسلامية • واليسار يطالب بتطبيق الشريعة الاسلامية لكن كاملة » كتبه الدكتور عبد العظيم رمضان فى رسالة جامعة استعرض فيها بحق مدى مقدرته القانونية والتاريخية وكتب عن الأزهر انه رشح فاروق أميرا للمؤمنين وانه وقف يؤيد بكل قوته هذه الفكرة • والمقال ممتع حقا ومغلف تغليفا جيدا ولكنه يترك أثرا لدى القارىء العادل انه مهاجمة للأزهر •**

◉ وفى المقال الثالث تحت عنوان « **فلنقطع هذه الأيدى القذرة** » كتب عبد الرحمن الشرقاوى انه تحت راية مكافحة الشيوعية ثم تحت راية مكافحة قوى اليسار كله باسم حماية الاسلام وباسم حماية القيم الدينية والروحية

ذبحوا آلاف المسلمين ثم آلاف المسيحيين وذبحوا اللاجئين الفلسطينيين ، « ويقصد الكاتب ما حدث فى لبنان » ويستطرد « يا عارنا نحن العرب ان لم يعظنا طوفان الدم وان لم نواجه المؤامرة **وان لم ننتبه لخطر هؤلاء المضللين أو المخدوعين الذين يتفرغون هنا أو هناك لمكافحة الشيوعية واليسار باسم حماية الدين** » ٠

كل هذا كتب فى مجلة واحدة وخلال نصف شهر لأن شيخ الأزهر أعلن أنه سيتفرغ لمكافحة الشيوعية ٠

يتخفى بعض الكتا بأحيانا فى مسوح الوعاظ ، ويكتبون المقالات البريئة التى تبعد عنهم الظن من أن لهم عقيدة أخرى غير الشيوعية ، بل يبالغ بعضهم فيكتب عن الدين ، وعن الوطن والأرض ، حتى ليدخل فى روع الناس ، أنهم أتقياء صالحين ٠ ولكن هؤلا يكشفون عن هويتهم فجأة ، عندما يرفع رجل شجاع ، علم الحرب على عقيدتهم ، فيصفونه بأنه من المضللين أو المخدوعين ، وينسون لحظة أن لهم تاريخا طويلا من التضليل والخداع ٠

التسلل السوفيتي في الشرق الأوسط وأفريقيا

لنعرف الأمور من جذورها ،لا بد من أن نرجع الى الوقت الذى قامت فيه الثورة البلشفية ، فمنذ ذلك الحين سارت سياسة الاتحاد السوفيتى دون هوادة فى طريق الغزو وازدياد النفوذ وخاصة فى بلاد الشرق الأوسط وافريقيا التى مهدت لنفوذها فيه منذ قيام الثورة ٠

وقد حاول الشيوعيون دائما عن طريق احتضان الموضوعات التى تستهوى الشعوب ، أن يستغلوا أو يسيطروا على الحركات القومية والتحريرية التى قامت بها للتخلص من نير الاستعمار الغربى ، أو ارلحكات الاصلاحية غير الشيوعية فى الدول المتخلفة أو النامية أو المستقلة حديثا ٠ وشنوا دعايات واسعة النطاق هاجموا فيها كل علاقة تقوم مع العالم الغربى ، وكل محاولة للغرب لتقديم معونة لهذه البلاد تؤدى الى انمائها أو احياء اقتصادياتها ، ويعاون فى ذلك ، الشيوعيون المحليون الذين يقومون باثارة القلاقل والاضطرابات والاحتجاجات العامة الأخرى ضد سياسات الحكومات الشرعية ٠

وانا لنذكر مطمعا سوفيتيا بدأ فى عام ١٩١٨ عندما كتب تروياتوفسكى أحد قادة الثورة الروسية بيانا يقول فيه « يجب لنجاح الثورة فى الشرق أن تكون حكومة فارس أول دولة يقهرها السوفييت ٠٠٠ يجب أن تكون فارس لنا مهما كلفنا ذلك من ثمن » ٠

وقام الجيش الأحمر عام ١٩٢٠ بغزو شمال ايران بحجة تعقب فلول قوات الروس البيض ، ومواجهة القوات البريطانية الموجودة بجنوب ايران والعراق ، وأقام الشيوعيون حكومة رسمية فى مقاطعة على شاطىء بحر قزوين ، الا أن

السوفييت قرروا الرجوع عن هذه المغامرة لأسباب مختلفة ووقعت الدولتان معاهدة صداقة فى عام ١٩٢١ ، على أنه لم يتم جلاء القوات السوفيتية نهائيا الا فى عام ١٩٢٧ ٠

وفى خلال السنوان العشر التالية ، ركز الثوريون المدربون فى موسكو جهودهم فى تنظيم جماعات من الفلاحين والعمال ، وفى نشر الشيوعية بين المثقفين الايرانيين ٠ وفى عام ١٩٣٨ حكم على خمسة أشخاص ايرانيين بالسجن لمزاولة النشاط الشيوعى والحصول على أموال من الاتحاد السوفيتى ٠

وتمكن هؤلاء وغيرهم من المحرضين من تكوين فريق شيوعى منظم ٠ وفى أغسطس ١٩٤١ دخلت القوات السوفيتية والبريطانية ايران ، وتمكن الشيوعيون الذين أفرج عنهم من تكوين حزب « توده » وهو الحزب الشيوعى الايرانى المعروف٠

وفى عام ١٩٤٣ كان حزب توده يصدر ثلاث صحف يومية فى طهران ٠ ونظم اتحادا للصحف باسم « جبهة حرية » وتسلل الى نقابات العمال الرئيسية ، وكان يعمل على عقد جبهة مع الأحزاب غير الشيوعية ٠ وتغلغل فى دوائر الحكومة والنقل والمواصلات ٠ غير أنه لحسن الحظ لم ينجح فى السيطرة على الوزارة الايرانية أو الجيش أو البوليس ٠ وظل حزب توده يواصل نشاطه السرى لتهديد استقلال ايران ، وقام بثورة مسلحة فى مقاطعة ازربيجان وكردستان الايرانية فى عام ١٩٤٥ وأعلن الحزب استقلال هاتين المقاطعتين الايرانيتين وقامت القوات السوفيتية باحتلالهما ٠ الا أنها جلت عنهما فى مايو ١٩٤٦ بالتوصية من الأمم المتحدة ٠

وقد ضربنا هذا المثل لنعلم مدى رغبة السوفييت فى التوسع الاقليمى منذ قيام الثورة البلشفية ٠

نظرية جديدة للشرق الأوسط

فى شهر نوفمبر ١٩٦٠ اجتمع فى موسكو ، واحد وثمانون حزبا من الأحزاب الشيوعية والعمالية وأصدرت بيانا عن اجتماعها ، اعتبر دلالة على مرحلة جديدة للحركة الشيوعية العمالية ٠

ولم يحدث منذ المؤتمر السابع للكومنتيرن عام ١٩٣٥ ، أن عقد مثل هذا الاجتماع للشيوعيين من أنحاء العالم ٠

ولم يضم الكومنفورم سوى تسعة أحزاب شيوعية أوربية ، كما ان البيان الصادر فى مؤتمر نوفمبر ١٩٥٧ لم توقعه سوى الأحزاب الشيوعية الحاكمة فقط ٠

اعتبر بيان مؤتمر نوفمبر ١٩٦٠ ذى أهمية كبرى بالنسبة الى بلدان آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ، ولا سيما بلدان الشرق الأوسط ٠

كان غرض الاجتماع الوصول الى حل الخلافات الخطيرة التى أثيرت بين الحزبين الروسى والصينى والمؤيدين لكل منهما ، تلك الخلافات التى أدت الى معارك فكرية تسببت فى النزاع بين الأحزاب الشيوعية العديدة والمنظمات الدولية ٠ ومما له دلالة خاصة ، أن السياسة السوفيتية التى عرضت على مؤتمرين سابقين ، تدعو الى نبذ نظرية لينين القائلة « بأن الحرب لا يمكن تجنبها » ٠ ودعى المؤتمران الى التعايش السلمى ٠ وخفف المؤتمر الأخير أيضا من حدة النظرية اللينينية ، اذ نص البيان الصادر عنه على انه بعد انجاز شروط عديدة منها أن يصبح الاتحاد السوفيتى أقوى دولة صناعية وبعد أن ينهار النظام الاستعمارى تماما ، فان

الفرصة ستكون مواتية للقضاء على خطر الحرب العالمية فى حياة الشعوب ، والى جانب هذا فهناك نقطة هامة هى التفرقة التى وردت فى البيان بين الحروب الأهلية والمحلية ، وبين الحروب العالمية ٠

وبناء على هذه السياسية قام السوفييت بتأييد الأنظمة البورجوازية ، مع ان تاريخ الأحزاب الشيوعية الآسيوية يسجل أمثلة متعددة لفشل الشيوعيين المحليين فى تنفيذ التعليمات الخاصة بتكوين جبهة متحدة مع الطبقة البورجوازية الحاكمة ٠

ويبدو من البيان أن الحزب الشيوعى السوفيتى قد وكل اليه أن يتدخل تدخلا حاسما فى الحروب الأهلية المحلية أو الثورات ، عندما يكون من الضرورى مقاومة الثورات المضادة التى تغذى من الخارج ٠

ويقول البيان ان من الممكن جدا الحد من الحروب المحلية وان حكمة التدخل هى انه يحول دون صدام أجنبى وهذا هو السبب فى أن السياسة التى رسمها البيان ذات أهمية خاصة فى دول الشرق الأوسط ٠

فى أزمات الشرق الأوسط السابقة لم يتدخل الاتحاد السوفيتى ، برغم الضغط عليه من الصين والمناضلين فى المنطقة ـ وحسبما ادعت بعض الأحزاب الشيوعية أن خروشيشيف لم يتدخل خشية نشوب حرب نووية ، خاصة وقد حذره ايدن من المساس بالبترول الأوربى ٠

اختلف الموقف فى تلك الآونة التى اجتمعت فيها الأحزاب الشيوعية ، فقد أصبح هناك تعبير جديد وهو « الدولة الديمقراطية الوطنية ذات السيادة » ، وصيغ البيان ليعبر عن النظام الذى تبدى الحركة الشيوعية العالمية استعدادها للتسامح معه ومساعدته كلما كان ذلك ملائما ، وان على الشيوعيين أن يكافحوا بنشاط ضد الأعمال غير الديمقراطية وغير الشعبية التى تقوم بها الدوائر

الحاكمة ـ بينما يؤدون تلك الأعمال التى تدعم المكاسب التى تحصل عليها الشيوعية والتى من شأنها أن تنسف مراكز الاستعمار ٠

ونطالع فى البيان انه فى بلدان عديدة تأخذ الاتجاهات الفاشية اشكالا جديدة فهناك آلاف من المناضلين فى سبيل قضية الطبقة العاملة ، يتعرضون للتعذيب فى اسجون بالولايات المتحدة الأمريكية واسبانيا والبرتغال واليابان وألمانيا الغربية واليونان وايران وباكستان والجمهورية العربية المتحدة والعراق والسودان ودول أخرى ٠ ونقرأ فى البيان بأن هذه الاتجاهات الفاشية فى البلدان الرأسمالية غير الأوربية والتى تقع تحت النفوذ الاستعمارى الأمريكى سياسيا واقتصاديا وعسكريا ، مرتبطة بالاحتكارات الكبيرة ، وعلى هذا فواجب الطبقات العاملة فى هذه البلدان أن توجه الضربة الرئيسية ضد نفوذ الرأسمالية الأمريكية وضد الاحتكارات الكبرى ٠ وبهذه الكيفية توحد القوى الديمقراطية والشعبية تحت قيادة الشيوعيين ٠ وهذه القوى يمكن أن تضم البورجوازية الصغيرة والمتوسطة فى المدن ٠ وعندئذ يتيسر للشيوعيين أن يركزوا على تأمين المرافق الاقتصادية الهامة ، وأن يطالبوا باصلاح زراعى جذرى وبتخفيض التسلح واستخدام الاقتصاد بأكمله فى الأغراض السلمية ، ومن ثم فان حكومة شيوعية يمكنها أن تستولى على السلطة دون أن يجد الاستعماريون فرصة للتدخل ٠

وأوضح البيان أن درجة حدة البغضاء وأشكال الصراع الطبقى تتوقف على مدى المقاومة التى تبديها الدوائر الرجعية ٠ وهناك فى بعض البلدان الرأسمالية امكانية للاستيلاء على السلطة بدون حرب أهلية وتعتبر ايطاليا نموذجا واضحا لهذه الحالة وكذلك فرنسا ٠

وأما اذا لجأت الطبقات المستغلة الى العنف ضد الشعب ، فان امكانية الانتقال الى الاشتراكية بدون العنف يجب أن توضع جانبا ٠

ومعنى هذ ، وتفسيرا له ، أن الأنظمة التى تكافح الشيوعية وتمنع المظاهرات التخريبية ، يجب أن تتوقع ثورة عنيفة تتلقى التأييد المادى والأدبى من الكتلة الشيوعية وعلى رأسها الاتحاد السوفيتى ٠ واذا أردنا أن ندرك الوضع الذى

يصوره البيان وأخذنا الاقليم السورى كمثال ، بعد الوحدة ، فان الحزب الشيوعى السورى فى ذاك الوقت وجد فى المظاهرات والاضرابات فرصة للاتحاد مع أية أحزاب أو جماعات أخرى ، وحاول أن يقيم نظاما وطنيا للحكم معاديا لمصر ثم كشف هذا التكتيك عن نفسه بالتدريج وظهر أنه تحت سيطرة الشيوعي٠

وقد سمح فى ذلك الوقت لخالد بكداش أن ينشر مقالا فى مجلة « العالم الشيوعى Communist world وهى البديل الرسمى لصحيفة الكومنفورم وذكر فيه ان الوحدة المصرية السورية لا تقوم على أساس ، وان شعار الوحدة العربية يستغل لصالح القومية المصرية وهى تجسيد للسمات التوسعية للبورجوازية الكبيرة » ٠

والطريق الذى رآه الشيوعى الكردى الصميم ، هو أن تقوم جبهة تضم كل العناصر الوطنية والديمقراطية تعمل على الحذر من الاستعمار المصرى من أجل الوصول الى سياسة وطنية تحررية حقيقية هدفها السلام والديمقراطية ٠ وقد ردد بكداش نفس آراء خروشيشيف التى عارض بها الوحدة مناديا « بالحذر الوطنى » من مصر ٠

وفى تطبيق هذه السياسة يجب أن نمعن النظر فى البيانات والتصريحات السابقة ، والمسائل التى اعتاد الماركسيون أن يجمعوها فى أساليب غامضة ثم ينفذونها كلما أمكن ذلك ، ويمكن تتبع السياسة الشيوعية نحو الشرق الى ما بعد ستالين ٠

ففى سبتمبر ١٩٥٣ اتخذت القيادة الجماعية خطا سياسيا جديدا تجاه الأنظمة البورجوازية فى آسيا وأفريقيا على أساس أن حركة التحرر والثورة ليس من الضرورى أن تقودها الطبقة العاملة فان بلدا مثل الهند تتمتع باستقلال حقيقى ٠

ومضى حين من الزمن حتى أمكن تطبيق هذا المبدأ على الشرق الأوسط . فقد كتبت الخبيرة السوفيتية فاتولين Vatoline في ١٩٥٤ « أن عبد الناصر ارهابى ورجعى لدرجة الجنون » غير أن هذا الموقف تغير بعد مؤتمر باندونج حيث أحرز عبد الناصر نصرا شخصيا باهرا . ونظرا لتطور الأسلحة النووية والصاروخية ، ولأن الحروب العلية تتحكم فيها كلا الكتلتين ، فقد أصبح من الأمور الأقل خطورة عن ذى قبل ، أن يدخل الجانبان فى صدام محلى . وهذه الحقيقة تفسر بوضوح فكرة التعايش السلمى والتنافس الاقتصادى التى أشار اليها بيان الواحد وثمانين حزبا اذ قال « ان التعايش السلمى ما هو الا خطة لحشد الجماهير كما انه تطوير للعمل المركز ضد أعداء السلام ، وهذا لا يعنى التخلى عن الحروب الطبقية » .

ولا نغفل هنا ما قاله خروشيشيف فى المؤتمر الحادى والعشرين ، حيث أثار الى الحاجة الى تعبئة فعالة للمواد الخام الهائلة ومصادر القوى الموجودة فى الشرق لخدمة الاقتصاد السوفيتى وان الاتجار مع الدول المتخلفة خارج نطاق الفلك السوفيتى ومساعدتها ، سوف يقومان بدور هام فى اضعاف الرأسمالية وفى تقريب هذه للكتلة الشيوعية . وطالب جمهوريات آسيا الوسطى السوفيتية التى يقطنها المسلمون أن تقوم بدور خاص ، فانها بمثابة القنطرة بين روسيا الأوربية والآسيويين ، وبالدرجة الأولى مع الذين يشتركون معهم فى الدين من دول الشرق الأوسط .

والتسلل السوفييتي في آسيا وأفريقيا

ننتبه معا أخي القارىء الى موضوع هام ، نرى له بوادر ومظاهر فى الوقت الحالى وعندما نعية جيدا أمكنا تحليل المواقف السياسية التى قد تغمض علينا ويكون السوفييت طرفا فيها ولو من بعيد فنصل الى الحقيقة بسهولة وبوسيلة علمية ٠

قد يظن البعض أن ما يحدث فى آسيا وافريقيا نتيجة لتخطيط جديد ليس له سوابق قديمة من الاعداد ، لكنه فى الحقيقة تخطيط يرجع الى الثورة الروسية فى نهاية ١٩١٧ عندما عالج لينين مشكلة المستعمرات ورأى أن امتلاك الدولة لمستعمرات جديدة وزيادة الصادرات اليها ، هى الوسيلة الوحيدة التى تستطيع الرأسمالية فى هذه الدولة تصريف فائض منتجاتها ، وبذلك تتغلب على الأزمات الاقتصادية الدورية فاذا فقدت الدول الاستعمارية منافذها فى المستعمرات فانها تعجز عن التغلب على أزماتها ، وبذلك تصبح فريسة سهلة للثورة ٠

ولا شك أن فى هذا الرأى بعض الحقيقة التى ظهرت أخيرا فى بعض الدول الاستعمارية بعد أن أجبر على الانسحاب من مستعمراتها ، ويبدو لى أن رجال الثورة البلشفية الأوائل فكروا فى استبدال الاستعمار الغربى الذى كان قائما فى ذلك الوقت باستعمار روسى من نوع آخر ٠

وانتهازا للفرصة السانحة ، طالب لينين بايجاد تحالف بين البروليتاريا الثورية فى البلاد الرأسمالية والشعوب المضطهدة فى المستعمرات ، كما طالب بالتحالف مع الوطنية الثورية فى البلاد المتخلفة ، حتى ولو كانت الطبقة الحاكمة طبقة بورجوازية ٠

وتكون الكومنترن كما قلنا سابقا ، ليبذل مجهوده في المستعمرات . وأنشئت في موسكو جامعة للعلوم الشرقية ومراكز تدريب لطلبة المستعمرات ، لدراسة هذه البلاد ، لغاتها وتاريخها وأحوالها الاقتصادية ، للعمل على مساعدتها على التحرر من السيطرة الاستعمارية الغربية .

وتمكنت فعلا هذه المراكز من تدريب عدد كبير على الدعاية والاثارة والتخريب ، وأوفدوا الى بقاع كثيرة حيث عملوا على خلق النواة الشيوعية الاولى في بلاد العالم المختلفة . وقد سبق أن بينا علاقة الحركة الشيوعية العالمية بالشيوعية في مصر .

وعندما تكون الكومنفورم عام ١٩٤٧ وضم تسعة مندوبين من الاتحاد السوفيتي وبلاد الكتلة الشرقية ، التي كانت قد دعمت مركزها عالميا ، بالاضافة الى مندوبي الحزب الشيوعي الفرنسي والايطالي أعلن « جادانوف » عندئذ وهو عضو المكتب السياسي للحزب الشيوعي السوفيتي ، « ان الصراع بين الكتلتين يتركز في تمزق الاستعمار وهو نفوذه في البلاد المتخلفة » .

ومنذ تكوين المنظمات الشيوعية العالمية وهي تحاول جاهدة تدعيم نشاطها بالدول الآسيوية والافريقية ، وذلك بالتسلل اليها عن طريق الدعايات المضللة ، كحماية السلام والتعايش السلمي والجبهات الوطنية ، ومحاولة ربط منظماتها بمثيلاتها بهذه الدول وتكوين الفروع بها .

ولا يخفى ما كان لهذه السياسة من أثر بعيد المدى نحو تكوين ركيزة يمكن وصفها « **بالطابور الخامس** » من أبناء الدول المتخلفة والمستعمرة أو المستقلة حديثا ، تكون سندا لها في الوقت المناسب .

ولم يقتصر الأمر على اطلاق شعارات السلام والتعايش السلمي ومنح الشعوب حقها في تقرير المصير ومنح المعونات وتبادل الصداقة مع الشعوب ، بل أهم من ذلك ما يسير جنبا الى جنب مع ما تقدم ، وهو ايجاد طليعة ثورية

مثقفة بروح الماركسية فى كل من الأمم المسيطرة ، والأمم المغلوبة على أمرها على السواء تحقيقا للروابط الأممية ، والتضامن الطبقى فى سبيل القضاء على الاستعمار ، والتعجيل بالثورة الاشتراكية ،وعندئذ ترتبط الأمة المغلوبة على أمرها مع الدولة السوفيتية ارتباطا لا فكاك منه • وأما الطليعة الثورية فهى مجموعة الشيوعيين التى تدين بالولاء أولا وأخيرا للدولة الأم •

واشترك مع الاتحاد السوفيتى ، بلاد الكتلة الشيوعية فى القيام بحملة ثقافية ودعائية واسعة فى البلاد المستعمرة والمتخلفة وبلغت ذروتها فى كثير من هذه البلاد منذ منتصف الخمسينيات • فأغرقت الأسواق المحلية خاصة فى بلدان افريقيا وآسـيا بالمطبوعات التى تشرح التقدم السـياسى والاقتصـادى والاجتماعى والثقافى التى أحرزته الدول الشيوعية فى ظل نظامها ، كما نشرت المطبوعات الدراسية للنظريات الماركسية واللينينية والمبادىء الشيوعية ، بطريقة علنية أو سرية بحسب الظروف ، واستغلت المراكز الثقافية فى البلاد المختلفة فى عرض الأفلام السينمائية الموجهة ، والقاء المحاضرات والندوات واصدار نشرات الدعاية • كما لجأت الى الفرق الفنية المتجولة اتى لا تهدف الى كسب مالى بقدر ما تهدف الى الدعاية • وكم من الدعوات التى وجهت لبعض الأفراد لزيارة دول الكتلة الشرقية والتعرف على نواحى التقدم بها مع كثير من الوسائل لاخفاء سوءات المجتمع • ويعود الزوار الى بلادهم أبواقا للدعاية الشيوعية •

ومن أخطر وسائل التسلل اتى اتبعتها البلاد الشيوعية خاصة فى آسيا وافريقيا وبلاد أمريكا اللاتينيـة ، كانت المنح الدراسـية التى قدمتها للطلبـة والشباب، للتعليم والمسكن والمأكل والملبس • فانشأت ألمانيا الشرقية مدارس لتعليم أبناء افريقيا ، وأنشأت بلغاريا معهدا خاصا بالملونين من افريقيا فى مدينة قريبة من العاصمة التحق به فى عام ١٩٥٩ مائتا طالبا افريقيا •

وأنشأت روسيا جامعة الصداقة بين الشعوب الآسيوية والافريقية وأمريكا اللاتينية ومقرها موسكو ، وقد سميت بعد ذلك « جامعة لومومبا » ، وجذبت

اليها الطلاب من مختلف البلدان الافريقية والآسيوية ووجهت اهتماما خاصا الى طلاب افريقيا • وكان اتصال الطلاب بهذه الجامعة فى البلاد الآسيوية والافريقية التى تمنع الاتصال بالبلاد الشيوعية ، عن طريق بلد آخر محايد يكون واسطة الاتصال بينهم وبين الجامعة •

وساعدت عدة عوامل على نجاح هذه السياسة خاصة فى الفترة من نهاية الخمسينيات حتى يومنا هذا ، ومن هذه العوامل ما يأتى :

- الفراغ الأيدولوجى عند الشباب الذى لا يجد ما يشبع تعطشه للثقافة والاطلاع •

- تعتبر الثقافة الشيوعية دائما موضوعا جديدا على النشىء يقبل عليها طالبا المزيد •

- تضرب هذه الثقافة بصورة مستمرة على نقاط حساسة تمس كيان المواطنين المتعطشين للحرية فى هذه البلاد •

- تنفق الدول الشيوعية أضعاف ماتنفقه الدول الغربية لتنفيذ هذه السياسة ، كما انها تركز على أغراض بعينها ، وفى طبقات محددة ، كما تخص الدول المستعمرة والمتخلفة بالنصيب الاكبر من هذا البرنامج •

- ان الشباب فى الدول المستعمرة والمتخلفة وشبه المستعمرة والنامية ، معقد من جهة الدول الاستعمارية — وله كل الحق — فهو يفضل المنح الدراسية من البلدان الشيوعية عن مثيلاتها ، اذا وجدت من الدول الغربية •

- الملونون من الدول الافريقية والآسيوية ، يلقون ترحيبا واحتراما فى الدول الشيوعية ، فى الوقت الذى يلاقون فيه الاضطهاد والازدراء والتعصب فى الدول الغربية •

◉ رغم الارساليات الدينية التى جابت بلاد افريقيا تبشر بالدين المسيحى ، فقد ثبت أن الكثير من الافريقيين لا يعلمون الا قشورا سطحية من الأديان عامة ، ومازال كثيرون متمسكين بعاداتهم القبلية وأديانهم الوثنية ، وبذلك يسهل على أى مذهب جديد أن ينتشر بينهم كالشيوعية •

◉ لم تلق الشعوب الآسيوية والافريقية من الدول الغربية ، سوى المذلة والمهانة والاستعمار والاستغلال الاقتصادى ، فى الوقت الذى تسعى فيه الدول الشيوعية اليهم بالصداقة والمعونات والسلام •

◉ عمد الاتحاد السوفيتى الى توطيد الصلات بكل ثورة قامت فى بلاد آسيا وافريقيا وسارع بامدادها بالسلاح والمهمات والأموال وتوثيق العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية بعد نجاح هذه الثورات • ولنذكر بعض أمثلة : ثورات مصر والجزائر والعراق وثورات البلاد الافريقية وكوبا والكونغو وبعض بلاد أمريكا الجنوبية التىمازالت الاضطرابات تعمها بسبب الشيوعيين المحليين فيها .

وفى كثير من هذه الثورات نلاحظ أن بعض الشيوعيين من أبناء البلاد كان منفيا منذ قبل الثورة وعاد لبلاده بخبراته التى اكتسبها •

وهكذا أخى القارىء ، يمتد التخطيط منذ قيام الثورة السوفيتية حتى الآن ، ونرى آثاره تشتعل فى افريقيا بالذات ، وتنتهى الى صراعات دموية نطالعها فى الصحف يوميا ، فهل مازلنا نسأل حائرين كيف حدث هذا ؟ والى متى ؟

قد تختلف الوسيلة وتتباين السبل ولكن الاستعمار هو الاستعمار •

وأما السلام والتعايش السلمى والصداقة والثقافة والمعونات المحسوبة والسلاح المشروط والكلام المعسول فكل هذا :

غـــــذاء الحمـــقى

بسم الله الرحمن الرحيم

لا يكلف الله نفسًا إلّا وسعهَا ، لهَا مَا كسَبَتْ وعَليها مَا اكتسَبت ، رَبّنا لا تؤاخذنَا إن نَسِينَا أو أخطأنا ، رَبّنا ولَا تحمِل عَلينَا إصرًا كمَا حَمَلتهُ عَلى الذّينَ مِنْ قبلنَا ، رَبّنا ولا تحملنا مَا لا طاقة لنَا بِه ، وَاعفُ عَنّا ، وَاغفِر لنَا وارحَمْنا ، أنتَ مَوْلانَا فانصُرنَا عَلى القَوم الكافرين .

صَدَق الله العظيم

الفهرس

صفحة

صفحة

صفحة

طباعة

الشركة المتحـــدة للنشر والتـــوزيع
٤ شـــارع طلعت حرب (القـــاهرة)
« سليمان سابقا » ـ ت: ٧٤٩٨١٥

رقم الايداع ٣٢٠٣ / ٧٩

الثمن ١٠٠ قرش